

ألعاب صغيرة

## ألعاب صغيرة

رواية

إيهاب الفخراي

الطبعة الأولى : ٢٠١٩

رقم الإيداع : ٢٥١٣٠ / ٢٠١٩

ISBN 978-977-6739-12-3

٣٥٤ ص ٢٠ سم

الناشر: الحساء للنشر والتوزيع

{جميع الحقوق محفوظة ©}

التوزيع لجميع أنحاء العالم

إضافة  
للنشر والتوزيع

الإسكندرية

ج ٢٠٢٠ ع

المراجعة اللغوية: عادل أبو الأنوار

غلاف وإخراج فتي: أمير مصطفى

# ألعاب صغيرة

---

رواية

---

إيهاب الفخراني



[www.idafabooks.com](http://www.idafabooks.com)

---

# إِهْدَاءٌ

إلى هؤلاء..  
الذين ضاقت بهم الأرض بما رحبت..  
واتخذوا الوحدة خليلاً..  
والخيال مسلماً..  
إلى من طفق يخصف عليه من ورق العزلة ليداري سوءة  
حزنه..  
إلى من وجد أعباه الصغيرة من أجل بقائه..  
واتزانه..



## القسم الأول

تكون البدايات دومًا عادية جدًا تكاد تقسم إنها حدثت من قبل ملايين المرات تمامًا كما تحرك أول قطعة على رقعة الشطرنج.. من أين يبدأ كل شيء؟.. لا أعلم.. فهناك بدايات دومًا تسبق أي بداية.. فلكل أمر قد حدث دافع أحدثه، ولكل دافع ذكرى.. وكل ذكرى تدبل.. فمنها ما يموت ومنها ما يحيا إذا بعث لها من يحييها.. يبدو أن لكل بداية بدايات تسبقها.



١

كانت ثمة أشياء عجيبة دومًا.. براقه أحيانًا.. تكاد تسعى كأنها دليل  
ماهر يقود قافلة في صحراء.. ولكن كعادة البريق فإنه لا يلبث إلا  
أن يبهت، وكعادة الصحراء لا يتسع اتساعها إلا لسراب!  
عندما رآها في ذلك اليوم.. أدرك أنها ستكون بريقه الجديد.. يتذكر  
اللقاء في كل مرة فلا تزيد تفصيلا ولا تنقص، وكأنما حُفر اللقاء  
الأول في رأسه حفرا غائرًا.

كانت هي كل شيء.. هي المشهد وما شاهد.. هي الضوء والهالة.. هي  
الإيقاع والسكون.. هي كلما تكلمت أسرته وكلما سكتت أشعلت به  
الفضول، فإذا نظرت له انتبه وإذا التفتت عنه انقبض.. وكأنما هي  
السحر وهو المسحور له!

تستقر هي بهدوء في كل وجدانه من أول لحظة من قبل أن يتحداثا  
وكانما امتلكت مفاتيح مملكته من قبل نشأتها.

المشهد باختصار.. هو.. ثم هي من العدم تظهر.. فتخر أسوار  
مدينته وتستسلم لها مملكته ويفرش لها الطرق إلى قلبه زهورًا لها  
رائحة لا يدرك من أين أنت.. رائحة لم يشمها من قبلها ولا من  
بعدها.

رائحة ظلت تجاور المشهد كلما تذكره.. رائحة عطر اختلط بدخان  
أتى من احتراق قلبه شوقا لها!

السحرة لا يفلحون.. هكذا عرف وأمن.. لا كيد ساحر يدوم ولا يبقى.. فكما سحرته أحرقتة.. وكما سطع بريقها كما انقشع!  
حاول وصف ما حدث له كثيرًا.. لم يصل أبدًا للوصف الدقيق.. حاول أن يُعبّر ففشل وحمل الحقيقة ما لم تكن تحمل.. ولأنه أراد أن يفهم ماذا حدث وكيف حدث فقد أعاد سرد كل شيء لنفسه مرارًا وتكرارًا فلم يدرك لماذا حدث ولا كيف انتهت الأمور إلى هذه النهايات.. ومن فرط محاولاته لشرح ما حدث لنفسه حتى يعيد اتزانه الذي فقد.. من فرط التبريرات والتفسيرات غابت الحقيقة فما عاد يعلم هل أضاف إلى التفاصيل ما يبرئ به نفسه حتى لا يبدو أمام ذاته أحمق؟ أم أن الحقيقة نقصت أشياء تعمد إخفاءها فتسربت إلى عقله الباطن ونسبها عمدًا حتى صارت لا شيء؟

الواقع أنه لا حقيقة أمامه إلا حقيقة واحدة.. إنه انتهى إلى ما صار إليه وأنهم انتهوا إلى ما صاروا إليه.. لكن كيف حدث بدقة؟.. هذا سؤال صعب رغم أنه عاش كل شيء، ولكن من منا يملك هذه القوة الخارقة من مواجهة النفس؟.. من السهل جدًا أن نختلق مبررات ونضيف تفاصيل على أن نذكر الحقيقة هكذا كما هي.  
هو يدرك تمامًا أن ثمة تفاصيل قد شوهدت الحقيقة.. تفاصيل من صنعه هو أو من صنع الزمن.. أيا كان من صنع التفاصيل الصغيرة، ولكن من وضعها قد علم كيف يصبر على وضعها تفصيلاً تفصيلاً بتأنٍ وجلد.. حتى لا يشعر أحد بالتشوه الذي

يحدث للحقيقة.. وكأنه يحفر نفقا بإبرة صغيرة.. بهدوء وثبات وإيقاع منتظم.. لا يشعر أحد بوخز الإبرة في الحقيقة.. حتى خلق منها وبها نفقا يستطيع من يشاء أن يعبر منه متجاوزًا ما حدث إلى البر الآخر.

هولم يبتكر هذه الطريقة.. فالكل يسلك نفقه الخاص الذي يعبر منه عبر حقيقته المخزية دون أن يضطر للمواجهة أو النظر المباشر. ما أكد له ذلك أنه كلما قابل أحدًا روى له غير ما كان.. والكل سعيد فلماذا لا يسعد؟

في الثامنة عشرة من العمر.. يتحسس طريقه بضوء أتى له من أول سيجارة أشعلها في حياته.. فكان ضوءها الخافت مريبًا إذ لم يقده إلا بمقدار الضوء.. وكان دخانها المحمل بالغاز الخانق يكدر صفو الرؤية.

كان لا يستند إلا إلى ثمانية عشر عامًا من الخبرة لا تعترف بهم الحياة القاسية... ولكنه كان يعلم ذلك.. كان يعلم أن عليه أن ينضج.. ولكنه لم يعلم كيف.

ثمانية عشر عامًا ينتظر أن يحدث شيء فيعلم أن قد نضج.. ولكن لا شيء يحدث سوى دوائر متكررة من الأحداث والإخفاقات تنتهي بأن لم يزل غيبًا ساذجًا.

أزاح غطاءه.. ونظر إلى الساعة.. الثامنة إلا الربع صباحًا.. يدرك تمامًا ما سيحدث في الساعة والنصف القادمة بل وأكثر من ذلك..

فيستيق الوقت في كل مرة محاولاً أن يغير الأحداث عن إيقاعها اليومي فلا يستطيع.

الثامنة إلا الربع يستيقظ.. يتأكد أنها الثامنة إلا الربع بالرغم من أنه هو من أعد المنبة في اليوم السابق.. يتأكد.. ينهض من سريره إلى باب غرفته.. يفتح.. يجول بنظره.. الكل نائم.. يخرج علبة سجائره من جيبه.. تخرج له وقد عجنها تماماً إذ نام بها في جيبه.. يتذكر أنه لا يوجد مكان آخر لتلك العلبة إلا في جيبه وإلا قد يُكتشف أمرها.. يفتحها بحرص حتى لا تهترئ أكثر مما اهترأت.. يبحث عن سيجارة تبدو سليمة أكثر من أخواتها.. فيجدهم جميعاً سواء.. يفتح شباكه ويشعل السيجارة.. يدخلها بنهم حتى تنتهي قبل أن يراه أحد.. وكأنما يلقي بشهوة سريعة قبل أن يُكتشف أمره.. يحرص أن يلقيها من شباكه فتسقط دون أن تصيب شيئاً.. ثم يرش معطرًا.. ثم يردد في سخرية متكررة.. أنه من الغباء ممارسة تلك الرياضة اليومية فلماذا لا ينتظر حتى يخرج من البيت؟.. ثم يتغاضى عن حقيقة يعرفها.. إنه يريد هذا الشعور أكثر من ممارسة التدخين.

الثامنة.. تدق منبهات أخرى وتُفتح أبواب أخرى في المنزل.. أصوات متداخلة تعزف سيمفونية صباحية كلاسيكية.. تنفرد بنغمات صنابير المياة وتسليك الأنوف وأزيز الأبواب وشدة السيوفون الحميمة تتزامن مع صوت تقليب السكر في الشاي ونداءات الكل على الكل.. الثامنة والثالث تهادأ السيمفونية إلى صولو ممطوط

ومطول تقوم به عمته ينادى على اسمه.. ثم الجميع.. "اصحى  
تأخرت".. ثم صولو باسمه ثم الجميع "اصحى هتأخر".  
يتأكد من أن حدة تفاعل المعطر مع الدخان قد هدأت وأن  
الطقس في غرفته لم يعد محملا بالضباب وأنه عاد إلى أقرب ما  
يمكن أن يعود إليه.. في حركة خاطفة يفتح الباب ولا تكاد تميز  
الفارق الزمني إذ هو في الحمام وقد أغلقه وراءه.. لم يعلم أحد  
منهم أبدًا أنه دائما أولهم استيقاظا ولكنه يتركهم لحالهم حتى  
ينفضوا عن الحمام ليدخله هو مسرعا حتى لا يلاحظ أحد رائحة  
دخانه في فمه.. الثامنة والنصف يكون قد غسل أسنانه وخرج لهم  
برائحة ذكية تخفي وراءها رائحة التبغ التي لا تزال هناك، ولكن  
كل ما هنالك أنها قد أنهكها الفلوريد والنعناع.  
تمر الدقائق ولا حاجة للكلام.. ما دام قد تأكد الجميع أن الجميع  
في مكانه المنشود ومتوجه لمكانه المعهود.. فنظرات بينهم تصبح لها  
دلالة الكلام وتفي.. فتلك صباح الخير وتلك ردها.. وهذه مع  
السلامة وهذه مثلها.  
لا حاجة للكلام ما دام الأمر المستقر قائمًا والإيقاع اليومي يأخذ  
مجراه.. ثم إن أمه لا تتكلم فعزز هذا عدم الحاجة للكلام.  
التاسعة يفتح باب الشقة ويرحل.  
مهما حاول.. مهما تعجل الأحداث.. فالمستقر قائم والإيقاع يتخذ  
مجراه.. وهذا لم يبدُ سيئا على الأقل.

العاشرة صباحًا يطفئ سيجارته الرابعة.. كان قد أطفأ اثنين في الطريق.. قبل بوابة الجامعة ببضعة أمتار يعيد حساب رصيده من الجنيهات والسجائر.. ليعلم إيقاع اليوم.. لا يحتاج الأمر منه إلى حسابات ومعادلات ولكن الأمر كله يتم تلقائيًا.. فهو يجد نفسه متأقلمًا كل يوم أوتوماتيكيًا وكأنما هي مهارة وجدها عنده.. يحتاج الأمر فقط أن يقف قبل مدخل الجامعة ليحصي ما لديه ثم يكون اليوم متزنًا.

يعلم أنها ستكون بانتظاره.. كشمس دافئة تحنو عليه كل يوم بلا كلل ولا ملل.. العاشرة وثلاث دقائق يرن هاتفه.. فيظهر له على الهاتف.. (ربااااب).. بيتسم و"يكنسل".

تزداد ابتسامته عندما يتذكر حين غضبت منه لأنه بعد كل هذه العشرة الطويلة سنة وشهر!!.. مازال يسجلها على هاتفه رباب.. يتذكر كم كان سخيًّا عندما نظر لها مستخفا وقال "ولا تزعلي ندلعك وأدي كام ألف زيادة.. ربااااب".

نظرت له في صمت للحظات ثم أغرقها صمتها في سكوت طويل.. كاد أن يقول أي شيء فلم يستطع.. فلم يجد نفسه إلا وهو يقول.. "تعالى نقعد معاها عشان محدش يفهم غلط".

تطفو فوق صمتها بالكاد.. تنظر له بكل حزن الدنيا وتكاد عينها تنضحان فيضًا من حنان.. يصله كل ما بداخلها ولكنه لا يعلم لماذا يصمت.

"يالآ؟"

ترد أخيراً.. "يالاً".

العاشرة وخمس دقائق يصل إلى سلم الكلية حيث تجلس هي..  
وحدها تمامًا.. تحمل له كوبًا.. النيسكافيه.

يتناوله مسرعًا..

تقول له:

- جدع متأخرتش كان قدامك دقيقة كمان...

- عارف وهتشربيه إنتى.. عشان..

تكمل له:

- عشان النيسكافيه بيبرد بسرعة ميتشربش بعد خمس دقائق من  
صبه.

- فين الناس؟! ..

- أنا أهو..

وتبتسم ابتسامة واسعة وكأنما تحتضنه بها وتقول مستنكرة  
ومصطنعة الهزل بينما هو الجد:

- وأنا مش كفاية ولا إيه؟

يرد: أنت حبيبي.. يا واد يا روبي.

- واد ف عينك.

كان الجميع يعتقد أنهما أشهر قصة حب في الجامعة.. لا يفترقان..  
وكانا يحاولان جاهدين أن يوضحا حقيقة لم يصدقها أحد.. أنهما  
صديقان وكفى.

العاشرة والرابع.. عند باب المدرج.. مغلق على غير عادته.

- هو الدكتور قفل الباب يا رباب وللا إيه؟  
- لا بصراحة هو الباب مقفول من الصبح؟  
- يعني إيه؟  
- يعني يا عم النهاردة التلات.  
- إحنا بقينا بنقفل التلات وللا إيه؟  
تضحك ثم تقول:  
- إحنا ميبقاش عندنا حاجة التلات يا نبيه.  
لم يفهم الأمر.. هي من تبلغه كل يوم بمواعيد كل شيء، هو لا يعرف إلا أنها تتصل به كل يوم لتخبره بما سيحدث.  
- إنتى يا بت مش قلتىلى..  
- بصراحة أنا قاصده أجيبك النهارده.  
انتابه شعور غريب.. شرع يبحث في عينها عن علامات.. عن تفاسير، فلم يجد في عينها الصافيتين سوى هذا الحنان الذي يشع بلا حدود.  
- فى إيه يا رباب؟  
تقول مستنكرة:  
- فى إيه يا رباب!!.. بدل ما تفرح إننا هنقعد سوا أخيراً.. محتاجة أتكلم معاك يا أختى شوية وبصراحة كل ما آجى أتكلم معاك تقوللى بلاش نقعد لوحدينا عشان محدش يتكلم.. طيب أنا مش هعرف أشوفك غير فى الجامعة.. مش من حقى أتكلم معاك ولا إيه؟!!!

نظر لها طويلا.. انتظرت هي حتى قالت خجلا ويأسًا:

- مش إحنا صحاب برضه؟

نظرت له طويلا، بحثت داخله عن أي علامات فلم تجد إلا الجمود.

"تعالى طيب نروح نقعد في الكافتيريا".. ثم تذكر ما بجيبه من جنمهات..

"وللا أقولك تعالى نتمشى"..

كان يعلم أن له حدودًا في السير معها وضعتها له هي منذ بداية تعارفهما.. فهي لن تمشي معه خارج إطار الكلية حتى لو إلى كلية أخرى.

فضلا يدوران في حلقة متكررة حول مبنى الكلية، وقد يجلسان قليلا على سلم أحد المداخل.

ساعة ونصف من الدوران ولا شيء قيل سوى نهايات لأحاديث قد عُلقَت عن أخبار أصدقائهما وعن تطورات لأحداث وقعت ولم تبلغه هي تداعيتها حتى صمتت هي تماما فصمت هو.

- هتفضلي ساكتة كده؟

- ارغي أنت..

- إنتي عارفه إيه أحلى حاجة فيكي؟

- أحلى حاجة فيا إني بفهمك!!

- لا وبصراحة عنينيكي..

غرقت في خجلها حتى كادت تفقد الوعي، فمد لها ذراعًا لينقذها  
قائلًا:

مش هتقوليلي بقى جيتيني النهارده ليه مع إننا معندناش حاجة؟

- بصراحة؟

- آه بصراحة.

تصمت مترددة ثم تستجمع شجاعته وتقول مبتدئة بجملتها التي  
تكسبها أرضًا ومبررًا:

- مش أنا أنتيمتك؟

فيومئ لها أن نعم فتكمل.

- أنا عرفت إنك عايز إيمان تعرفك على ريهام.. يابني دي بيئة..

يضحك هو ويشعل السيجارة التي لم يشعلها.

- بس عشان انت بت إحنا كولاك بندشوف حاجات تانية..

- أنت من إمتي متخلف كده؟

- إيه؟!!

- سوري بجد أسفة.. أنا اللي بيعجبني فيك إنك بتبص للبنت على

إنها مش.. مش عارفة أقولك إيه بس أنت دماغك مش كده..

يدخن في صمت.. وهو يعلم تمامًا أنها تعبت الآن بالحد الفاصل

الذي وجد طريقه بينهما.. ففصلهما إلى صديقين لا أكثر.. فصل

بينهما وبين مرحلة أن يقع أحدهما في حب الآخر.. يعلم أنها الآن

تخاطبه وهي تعبر الفاصل إلى هذه المرحلة.. يعلم أن من واجبه أن

يرجعها إلى منطقة الصداقة وأن يُثقل من الفاصل ويزيده لها

وضوحًا، ولكنه لا يعلم لماذا لا يفعل.. هو يراها كل يوم وهي تبتعد عن الفاصل رويدًا رويدًا ببطء شديد وحذر.. ببطء قد يوحي لمن حولها أولها هي ذاتها أنها لا تتحرك فوق الفاصل ولكنها في الحقيقة تدرك تماما أنها تقع في حبه وأنها تنهال على الفاصل فتمسحه مسحًا وتذيب أي فاصل وتنطلق لمنطقة جديدة أكثر اتساعًا لتحبه فيها.. ولكنه لا يأتي معها إلى تلك المنطقة ويتشبث خلف فاصل الصداقة فلا يعبر.. فتصير وحيدة على اتساع ما ذهبت إليه.. ورغم مدى اتساع حبه له إلا أنه.. لأنه لا يأتي إليها فإن اتساع حبه يضيق فيخنقها.

فلا تجد حلا إلا أن تتحرك ببطء.. فلا يشعر أحد أنها تعبر الفاصل.. أملا أن يجدا بعضهما البعض وقد عبرا الفاصل إلى الحب.. هي تأمل أن تسحبه إلى هناك ببطء شديد حتى لا يجزع أو يرفض.

ولكنه كان يدرك ويراهما وكان واجبه أن يمنعها ولكن شيئا داخله قد غض بصره عما يرى وكأنما هو يوافق على أن تحبه.

كان يسأل نفسه كل يوم لماذا لا تمنعها فلا يدري.. يعلم أنه لن يستطيع أن يبادلها الحب سيكون من القاسي جدا عليها أن تُترك لما هي فيه.. عليه أن يمنعها.

ولكنه لا يفعل!!

حتى انقسم إلى قسمين بداخله؛ قسم يخبره أن لماذا لا تحبها وهي أحسن من كان عليك؟

والآخر يملي عليه حقيقة أن من واجبه أن يوقظها من وهم أن تحبه.

وظل يصارع كل من القسامين الآخر.. حتى وجد نفسه بلا أي مبرر أو تفكير مسبق.. فجأة يتصل بصديقة مشتركة..

"ألو.. إيمان.. أنا معجب ببنيت صاحبتك معانا في الدفعة.. عايزك تعرفيني عليها.. ربهام."

ويغلق الهاتف وهو لا يعلم أي جنون فعل.. فهو ليس معجبًا برههام.. يعلم أنها قد توافق على التعارف ولكنه سيحتاج بأي شيء وقتها..

ولكن ألن يؤلم ذلك قلب رباب؟.. هو يعلم تمامًا أنه يجرح قلبها ببرود..

ولماذا ربهام بالذات؟. هل يعاقب رباب لأنها ليست بالجمال الكافي لكي يقتنع بها؟. هل ما تراه رباب فيه حقيقيًا؟.. هل هو حقا صاحب تلك النظرة المتحضرة نحو الأنثى أم أنه يختلق لها كل ذلك ليبدولها مختلفا؟.. فهو في النهاية ذكرٌ عادي تثيره الأنوثة ويعلو الجمال فوق أي شيء حتى يختار أنثاه.

يشعل سيجارة أخرى على الرغم من أنه يعلم أن ذلك سوف يفسد ميزان سجائره الذي أقامه اليوم.. وستنفد إذا استمر بهذا المعدل.

- رباب أنا عايز أروح.

- بجد؟!.. أنت أكيد بتهمز!!

- لا .

- طيب ياللا بينا..

- لا.. أنا هروح لوحدي.

ثم ينهض تاركًا إياها ويسير مبتعدًا وهي لا تقوى على القيام للحاق به، فلا قوة لديها تكفي لكي تنهض وقد استجمعت قواها لكي تمنع نهبًا من الدمع يريد أن يفيض.

لم يلتفت وهو لا يحتاج، إذ يعلم حالتها تمامًا، يعلم أن قد جرحها وغادر.. ولو التفت لرأى أن قواها التي استجمعتها لمنع الدمع خارت ففاض الدمع منها.

أطفأ السيجارة وبعث لها برسالة ثم أغلق هاتفه..

"رباب أنتِ أحن وأجمل بنت في الدنيا.. مهما حصل مش هينفع أسيبك تخرجي من حياتي".

قرأت الرسالة فقضى الفرح على وجهها لحظات وخفق قلبها كأنما يراقص الرسالة، وما لبث أن رحل الفرح إذ حاولت أن تتصل به مرارًا فلم تجده إلا مغلقا.

تقرأ الرسالة مرة أخرى بعين واعية.. مهما حصل مش هينفع أسيبك تخرجي من حياتي؟.. مهما حصل؟.. يعني إيه؟ حتى لو ارتبطت بريهام؟!!..

وقفت هي وحيدة على سلم الكلية.. ووقف هو وحيدًا خارج الجامعة.. دار في ذهنه السؤال..

لماذا يا رباب؟.. لماذا حاولت أن تغيري استقرارًا بنيناها يومًا بعد يوم أو بنى هو نفسه؟.. لماذا أتيت بي اليوم ونحن لم نتعود أن نخرج عن الإيقاع؟.. لماذا اقتربت جدًا من الفاصل؟ ألا تدركين أن هذا قد يحرق ستار صداقتنا الذي يخفي ما في صدورنا؟..  
رباب ما كانش ينفع دلوقتي..

الساعة الثانية عشرة ظهرًا.. فليحاول أن يعاود السيطرة على إيقاع يومه..

يجلس على مقهى تأكد أنه لا يقع على طريق رباب في عودتها للمنزل.. نظر إلى علبة سجائره المهترئة.. عيس وهو يحسم الأمر.  
- حجر معسل وهات قهوة مضبوط.

التدخين يعيد له إحساسًا بالسيطرة.. يستطيع أن ينظم إيقاعًا ومعدلاً ثابتًا.. والمعسل بصوته الرتيب وكأنما يضيفي على ذلك الإحساس موسيقى تصويرية.. يعلم أن كل ذلك هراء.. وأنه لا يختلف عن حلقات الدخان التي يخرجها من فمه..

لماذا كان قاسيًا هذا اليوم؟.. لا يعلم.. لماذا لا يطلق رصاصة الرحمة على تلك المسكينة؟.. لماذا وضعها في هذا القفص الصغير كعصفور جميل يبهجه رؤيته كل يوم؟.. وكلما شعر بتملله ألقى له ببعض الحبوب..

الأهم متى حدث كل ذلك؟.. الأحداث دومًا ما تحدث فلا تشعر بها إلا بعد أن تصير جلالًا.. ولكننا ندرك جميعًا أنها ككرة الثلج تكبر رويدًا رويدًا، فإن تركناها صارت أقوى منا وأكبر من قدراتنا.. فكل

شيء يحدث يبدأ صغيرًا ويكبر قليلا قليلا ونحن نتعمد تجاهل الأمر فضولا منا في أن يتم الحدث فنراه أو رغبة منا في أن يقع. وما إن يقع حتى ندعى ونحن نصدق تمامًا أن قد فوجئنا.

هي السمراء الرقيقة.. سواد شعرها شديد ولكنه حانٍ.. يثير بهجة غريبة.. هي تتركه منسدلا في لا اتجاه.. فقط تتلاعب به النسومات.. ليس من نعومته حينئذ ولكنه مثلها تمامًا مطيع منسجم مع كل ما طلب منه لا يريد اعتراضًا ولا مقاومة.. وجهها الرفيع يعلو قامة طويلة.. يُظهر طول قامتها قوامها الرفيع إلا من امتلاء عند فخذها وأوسط خصرها امتلاء لا يُنفر وإنما يزيدا جاذبية.. عيناها السحر الأبيض إن كان هناك سحر أبيض.. لعله هذا السحر الذي يجعل من العينين ينبوعًا للحنان.. أكثر ما يجعله مدمنا لها هو أنها لا تُظهر حنان عينها إلا له.. أنف دقيق وفم أدق .. صوت منطلق سعيد إذا ما كان مع غيره.. خفيض متردد إذا كانت في حضرته.. وكأنما يخشى الانطلاق فيقع في المحذور فتنفلت كلمات لا تريد أن تنفلت.

قالت له صديقتها إيمان ذات يوم.. "أنت هتربط برباب؟".. فكانت الإجابة التقليدية أن لا.. هي صديقتي التي أعتز بصداقتها.. فقالت له إيمان:

- أيوه إوعى... أنا مستغرباك أصلا إنك مصاحبها.. مش عارفة شايف فيها إيه!!

يومها كان يتوقع أن يغضب من تلك الكلمات ويدافع عن صديقه الأقرب وعن جمالها المنتهك حقه.. ولكنه فوجئ بنفسه يصمت تمامًا ويمضي ويتردد في ذهنه الجملة، فبدلاً من أن تثير غضبه حمية لصديقه.. فإن الجملة تداعب غروره الغبي فتجعله يرضى. بالطبع كان عليه ألا يخبرها.. حفاظاً على مشاعرها.. ولكنه وجد نفسه يقول لها ما حدث.. ولكنه أضاف بعض الكلمات بحرص شديد كأنما يقوم بجراحة دقيقة.. تجعل من كلماته وكأنها الوفاء وكأنما هو يبلغها بما قالت لأنها صديقه وعليه أن يخبرها بمن تكلم عنها من ورائها.

كان في جزء خفي بداخله يجلس يشاهد وقع الكلمات عليها.. يضغط على جملته أنه يستحق بنتاً أجمل منها.. ثم يصمت لحظة ويضيف وكأنه لم يقم للتو بجرحها بمشرط كلماته.

- أنا مش عايزك تزعلي دي بنت هبله.. إنتي يا بنتي بمية زيه.

صمتت ثم نظرت له زائغة البصر.. وقالت بعد صمت:

- أقولك على سر؟

صمت أن قولي..

فهت صمته كالعادة فأضافت:

- أنا ممكن أبقى أجمل من كل دول.

لم يتمالك نفسه فقال:

- رباب إنتى لازم تهتمى بمنظرك شوية إنتى مش صغيرة.. شعرك  
اللي مش متسرح ده.. مش هقولك ميك أب وكده بس على فكرة  
فيه كريمات بتشيل الحاجات اللي فوق الشفايف دي.  
نظرت له بذهول مصدومة وهي ترى نفسها لأول مرة قد ثارت منه..  
- أنا عندي شنب؟!!!

ضحك بقوة..

- يا ستي بهزر معاك مالك خدتها على قلبك كده.  
"هتغير الحجر؟".. قاطع شروده قهوجي لزج كان بالفعل قد غير له  
حجره.

أي تفاهة تلك؟!.. الساعة الواحدة ظهرًا وانقضى نصف النهار في لا  
شيء.

تذكر أن عليه الآن أن يذهب إلى بيت أحمد، إذ أن الكل بالتأكيد  
قد اجتمع هناك.. فاجأته الدعوة.. هولم يرهم منذ أكثر من سنة  
منذ التحق بالكلية وصار كل منهم في مكان مختلف.. أسعدته  
الدعوة بالتأكيد ولكن لو كانت من غير أحمد لكان خيرًا ولكنها  
منه.. يكرهه بشدة.. الأمر لا يحتاج إلى موارد ولكنه يعلم أنه يفشل  
حتى في كراهيته فهو لن يقوم بأي شيء تجاهه سوى أنه غاضب  
منه من داخله.. أما حين يراه فسيضطّر إلى أن يبتلع كل ذلك  
الغضب ويندمج وسط الجميع حتى يمر الوقت فيهرب من هذا  
الجمع تمامًا كما تعود منذ أن أصبح أحمد أحد أفراد شلته في  
الثانوي.

شعر بمرارة في جوفه.. رغب بشدة أن يحدث رباب.. ولكنه يعلم أنه سيزيد ألمها لو حادتها.  
قرر أن يذهب إلى بيت أحمد.. البيت الذي لم يذهب إليه منذ سنة ونصف على الأقل!!



بدأ الأمر منذ ثلاث سنوات.. كان قد انقضى فصل دراسي من أول سنة له في المدرسة الثانوية.. فصل حقق فيه نجاحات لم يتوقع أن يحققها.. كان له من الأصدقاء ما فاق أن يحصى.. كان الكل يحبه وهو دائماً صاحب الجميع ولا يخلو أمر إلا كان هو فيه.. فلا مباراة لكرة إلا وهو مشارك بها ولا رحلة إلا وهو منظمها.. ولا مصيبة ينوون القيام بها إلا هو على رأسها..  
ثلاثة أشهرهم قمة ما تمنى أن يحدث له..  
فقد أمضى عمره قبل دخول المدرسة الثانوية وحيداً لم يستطع أن يكون من الصداقات إلا علاقات عابرة..  
كان لا يعلم لماذا لا يجذب نحوه إلا كل من هو معتوه أو قليل الكلام أو غريب الأطوار.. حتى صار يضيق بهم ذرعاً ويهرب منهم.. وكان يدعي أمام الناس أنهم ليسوا أصدقاءه حتى لا يؤثر ذلك على آماله في الحصول على المزيد من الأصدقاء الطبيعيين.  
يتذكر أصدقاءه قبل اللحاق بالثانوي كانوا ثلاثة أصدقاء.. ارتبطت بهم مرحلة دراسته الإعدادية..

عبد العزيز.. الصبي الذي لا صديق له إلا هو.. فإن غاب عنه صار وحيداً.. كان دائماً ما يحدثه عن عامله الخاص..

عبد العزيز كان أول من أقنعه أن يجلسا على المقهى.. كانت مغامرة لا بأس بها بالنسبة لسنه.. ثم كان أول من سأله عن علاقته بالبنات..

فوجد أنه بالفعل لا يعلم شيئاً عن هذا العالم.. وكان يسلم رأسه الصغير لرأس عبد العزيز الأصغر وهو يحشوه بكل ما هو هذر وغير حقيقي عن البنات ورغباتهن وكيف يستطيع أن يحدث فتاة.

كان لعبد العزيز رأس صغير شيطاني.. كان يؤمن ويقنعه أن يؤمن مثله.. أن البنات كائنات شهوانية.. يرغبن دائماً فيمن يتحرش بأجسادهن.. وأنه أي فتاة تكون سعيدة تماماً إذا ما عاكستها أو لامستها عن قصد أو غير قصد. كان لا يستطيع أن يقتنع بذلك بسهولة.. فقرر عبد العزيز أن يريه الأمر بأمر عينيه.. فاتفقا يوماً أن يخرجوا سوياً إلى وسط البلد.. حيث الزحام الشديد وأخبره أن يراقبه.

جلسا بالقرب من محطة الأتوبيس.. ووقف عبد العزيز منتظراً قدوم أحد الأتوبيسات المزدحمة حين وصولها بالأتين فيها والصاعدين إليها..

هي دقائق معدودة يختلط فيها الكل في كتلة بشرية ضخمة.. يصعد من يصعد وينزل من ينزل لا يرغبته وحدها ولكن بقوانين الدفع وغريزة البقاء، فلو ترك نفسه لزهقت من التدافع..

يقترب الأتوبيس من بعيد.. كحيوان إغريقي خرافي يراه في  
مسلسلات أدمن مشاهدتها.. له نفيرو فمه ضيق أو بالأحرى فمان؛  
فم أمامي وآخر خلفي كلاهما على جانب جسده يلفظ منهما الناس  
إلى الخارج ويلتقط غيرهم إلى الداخل..

وصل الحيوان الإغريقي الذي يحمل أرقام نقل عام.. فيصدر خوارًا  
وغازا أسود اللون من مؤخرته ثم يتوقف عن الحركة إلا من اهتزاز  
ثابت بفعل الموتور داخله.. يخشى السائق إيقافه خوفًا من ألا  
يعمل ثانية..

اقتربت اللحظة التي ينتظرها عبد العزيز.. الذروة.. التحم  
الصاعدون مع النازلين.. وهنا قفز عبد العزيز برشاقة فانسل بينهم  
تبحث يده عن أقرب مؤخرة أنثوية أو يصطدم كوعه بصدر شاء  
قدره أن يُتحرش به من.. عبد العزيز..

وسط كل هذا كان عبد العزيز حريصًا أن يخرج برأسه من وسط  
الزحام وينتزع يده للخارج فيلوح له بمنتهى السعادة وكأنما هو في  
الملاهي ويلوح لمن يشاهده بالأسفل!!

كان الأمر مضحكًا جدًّا وغريبًا عليه.. وإن لم يخف عليه أنه كان  
أمرًا مقززًا.. لم يستسغه..

لماذا لا يقطع علاقته بعبد العزيز إذن؟

الأمر أنه ليس له أصدقاء غيره.. سوى اثنين آخرين لا يعرف عنهما  
عبد العزيز شيئًا.. والحق كان عبد العزيز أخفهم ظلًا وأكثرهم

إثارة.. فهو دومًا ما يورطه في مغامراته الصغيرة التي لا يملك أن يقوم بها وحده أو بنفسه بمعنى أصح.

ولكنه كان حريصًا على إخفاء صداقته مع عبد العزيز هذا.. فكان أسعد ما في الأمر أنه كان بفصل غير فصله وكان يترب منه في أوقات الفسحة حتى لا يكتشف أحد صداقته بهذا العفريت غريب الأطوار.. لأن ذلك سيترتب عليه أنهم سينفضون عنه أكثر مما هم كذلك بالفعل.

كان عبد العزيز ذكيًا.. كان يدرك بساطة المعادلة.. عليه أن يتخلى عن صديقه وقت المدرسة مقابل أن يحصل عليه بعدها وفي الأجازات.

لم يكن لكل منهما غير الآخر وكل منهما قبل المعادلة.. وإن لم يصرحا بها لبعضهما البعض.

صارع كثيرًا في أن يحصل على صداقات جديدة.. أقرب للمنطق تؤهله مثلًا لأن ينضم لفريق الكرة بالفصل أو أن يصير أمينًا للفصل أو حتى نائب الأمين..

ولكنه فشل..

كان الكل يحترمه إذ كان متفوقًا.. ولكنه كان دائمًا في موضع لا يؤهله لكسب شيء..

كان دومًا السادس.. حتى كاد يلقب بهذا الاسم.

فهو السادس في كشف الفصل.. والسادس في نتائج الامتحانات ولو تغير الخمسة الأوائل ولكنه كان سادسًا دائمًا.. كان يعلم بالفطرة أن الأولاد في الفصل يميلون لمصاحبة نوعين..

المتفوق شديد التفوق.. الأول على الفصل حيث إن مصاحبته ستنتفعهم في فروضهم المنزلية.. وأنه حين يقف الأول على الفصل ليراقبهم في غياب المدرس فلن يفتن عليهم لأنهم أصدقاؤه.

أو حتى الثاني أو الثالث على الفصل إذ إنهم أقرب فائدة.. أما السادس فالحلقة طويلة جدًا لكي تصل إليه.

فيكفي خمسة أوائل يسعى الكل لمصادقتهم.. أما أن تتسع القائمة للسادس فهذا صعب.. لأن القائمة التي يضعها الجميع للسعي وراء مصادقتها تتضمن الأشقياء كما تضمنت الخمسة الأوائل.

حارب كثيرًا من أجل ألا يكون سادسًا ولكنه قدره.. كان أكثر ما أحرجه عندما قال له مدرس الرياضيات:

- يا بني أنت أذكى واحد في الفصل ليه بتستغبي في الامتحان؟..  
أخطاءك هبلة جدا.. لو ركزت شوية هتبقى الأول.

لم يفهم التلامذة الصغار حينئذ أن الرجل لخص مشكلة هذا الصبي بحق.. وأن المدرس لم يقصد إيذاه بل تعاطفا معه قال ذلك.. بل لعله لم يفهم لماذا صدرت تلك الضحكات كأنما هو يسخر منه لا يحمسه!

حتى هو وقتها غضب ولم يفهم أنه لو كان استوعب ما قاله لما صار سادسًا دومًا.

ظل يسعى لأن يخرج من الحلقة الضيقة التي صار فيها أثناء دراسته بالمدرسة الإعدادية ولكنه فشل.. حتى قرر أنه سينتظر إلى الثانوي فيقوم بالثورة على نفسه في مجتمع جديد ومدرسة جديدة.

رضي بعبد العزيز صديقا وبمغامراته الشقية.. وأثمرت مجهوداته باثنين آخرين صادقهما.. كان الأول طفلا هزيبا.. كان لا يتكلم أبداً ولكنه كان يجلس بجواره ويتسمم.. هيثم المريض.  
أما غنيمته الثانية من الأصدقاء.. فهو صبي وسيم لا يخاطب أحداً.. جاءه فجأة وبدون مجهود منه في اكتساب الصداقة.. فقال له:

- ينفع نبقي صحاب؟

فلم يستطع الرد.. ظهر له الأمر محيراً.. فهو من قضى كل الوقت بحثاً عن الأصدقاء وجرب الحيل كلها.. بعد كل ذلك يأتيه بهذه البساطة عارضاً عليه صداقته!! كان عليه أن يجيب تساؤلاً فرضه الموقف.. هل يضيف إلى صداقاته المخيبة للأمال خيبة جديدة؟.. وبذلك يصاحب أكثر الأولاد انطواء في الفصل.

ولكنه قرر أن يحكم على الأمر حسابياً.. فثلاثة خير من اثنين..

- أكيد أنت صاحبي.

وصارت صداقتهما غير مفهومة فهما لا يجلسان بجوار بعضهما ولا يتسكعان سوياً حتى في الفسحة ولكن اقتصر الأمر على بعض الأوقات الصغيرة، في الحصص الفاضية يأتي عمار.. صديقه

الجديد هذا.. ويجلس بجواره ويقدم له نوتة صغيرة يطلب منه أن يكتب فيها شيئاً له..

كان لا يعلم حقاً ماذا يمكنه أن يكتب.. كان يريد أن يكتب شيئاً مميزاً.. فلا يجد.. فتتزاخم الكلمات حتى لا يخرج منه شيء غير لذكرى يوم كذا أو إلى صديقي العزيز شكراً.. وعلى الرغم من سخافة ما يكتب إلا أنه يجد أن عمار قد سرّ أيّما سرور.. ويقول له: أنت صديقي العزيز!!

كان الأمر محيراً له.. ولكنه قرر أن يعبر المرحلة بهؤلاء منتظراً عالماً جديداً في المدرسة الثانوية لعله سيستطيع تدارك الوضع. قرر أن أسلم حل هو ألا يقامر.. فلو أنه ألقى بصداقته بأصدقائه الثلاثة غربي الأطوار فإنه قد يخسر كل شيء ويبقى وحيداً.. فالأمر كان من التعقيد بمكان عليه في هذا الوقت.. فإنه لو احتفظ بصداقاته تلك لاستغربه باقي الأولاد فليس هناك شيء مثير يجعلهم يسعون لاكتساب صداقته ولو أنه فارقهم أملاً في اجتذاب أصدقاء أكثر منطقية وإثارة وجذباً للأضواء لعله يخسر الكل ولا يكسب الجدد.

إذن فأقل الأضرار أن لا يحرك الأمور إلا ببطء شديد استعداداً لثورة قادمة حين يلتحق بالثانوية العامة.. ثورة يمكنه بعدها طمس ملامح حياته القديمة وإعادة رسم صورة جديدة لنفسه أكثر إثارة وجذباً للأصدقاء.

كان يحرص ألا يلتقي أصدقاءه الثلاثة.. فلا تتكون مجموعة يصعب حلها.. هو يصادق كل منهم على حدة..  
لكن مزيداً من الأمور كانت أيضاً تحتّم عليه ألا يُفِرط في الصداقات الثلاث..

كان يخاف من الشيء الذي أدرك معناه بعد عمر.. الوحدة. فعندما كان لا يعثر عليه أحد أصدقائه الثلاثة في الفسحة أو حتى قبل معرفته بهم.. كان يقضي الوقت وحيداً.. يمارس لعبة سخيفة.. كان مصروفه لا يتحمل إلا شراء كيس شيبسي واحد وبسكويت من النوع العادي وليس المغطى بالشيكولاتة أو زجاجة مياه غازية وبسكويت عثر عليه بالصدفة كان رخيصاً جداً ولذيذاً جداً ولكنه لم يكن يتوفر كل يوم..

كانت اللعبة هي انتظار الجميع حتى ينفضوا عن الكانتين.. وبهذا يضيع أكبر وقت من الفسحة ومن يراه يعتقد أنه فقط ينتظر دوره في الكانتين ولذلك لا يلعب معهم.. ولا يزاحم على الوصول للبائع، ولكن يتظاهر بالمزاحمة، وعندما يصل يختار إحدى الوجبتين، فإن وجد البسكويت الرخيص أضاف زجاجة المياه الغازية، وإن لم يجد فالشيبسي والبسكويت العادي..

ينظر إلى ساعته البلاستيكية فيجد أن ما زال هناك ربع ساعة لا يجد فيها شيئاً ليقوم به.. وسيكتشف الجميع أنه لا صديق له يقضي معه الفسحة فيظل يدور في (الحوش) جرياً كأنما هو يلعب مع أحدهم (كهربا) أو (عسكر وحرامية) ولكنه كان يجري بلا هدف،

يمسك كيس الحلوى حريصًا على ألا تقع ويرسم ابتسامة بلهاء على وجهه حتى لا ينكشف أمره، فإن رأى أحد أصدقائه الثلاثة اختفى عنهم في الحمام.. فخير له أن يجلس وحده على أن يراه الجميع علانية يجلس مع هؤلاء الحمقى الثلاثة أو أحدهم فيكون ذلك عارًا.

فإن حبس في الحمام فتح كيس الشيبسي أو أيا كان ما معه ونظر للساعة وقام بمهارة بسيطة لا يعلم من أين أتته فيقدر معدلًا وإيقاعًا مضبوطًا جدًا يأكل به حتى لا تفرغ الحلوى أو زجاجة المياه الغازية إلا وقد ضرب جرس انتهاء الفسحة.

مأساة يومية متكررة.. ولكن الأمر أنها كانت تحدث له أثناء المرحلة الابتدائية أيضًا ولكن في مدرسته الأولى كانوا يسمحون له بأن يبقى في الفصل أثناء الفسحة حتى شاع عنه أثناء دراسته الابتدائية أنه مريض ولا يستطيع أن يلعب مثلهم..

ومنذ أن ذاعت عنه هذه الإشاعة حتى كسب تعاطف الجميع وأصبح الكل يعامله بلطف.. هو لم ينكر الإشاعة ولم يؤكد لها.. هو اعتبرها هدية من السماء وفرت عليه محاولاته البائسة في كسب صديق.. ولكن كانت الضريبة أنه لا يلعب مثلهم فلو لعب معهم لانكشف أمره.

بعد وقت طويل كان يشك في هذا الأمر، هل كانت هذه هي الحقيقة أم هذا ما هيأته له أفكاره الطفولية حينئذ؟.. لماذا اعتقد أن للأمر علاقة بكونهم اعتقدوا أنه مريض؟.. فمن الممكن أن

الجميع كان لطيفا و فقط وأنه حين انزوى حاولوا جره إليهم فتمادى في الانزواء أملا في المزيد من التعاطف.. لا يعلم فقد مضى وقت طويل على هذا الأمر.. وهل بالفعل لم تكن له يد في أن تنتشر عنه إشاعة المرض؟.. أم أن رؤيته لاهتمام الجميع بجذته المريضة أنبتت الفكرة بداخله فجعلته لا يمانع في اكتساب صفة التلميذ المريض طمعا في اهتمام مماثل؟. كان الأمر معقداً جداً عليه كطفل وقتئذ، ولكن خلاصة تجربته في مدرسته الابتدائية أنه خرج بالكثير من التعاطف لا الصداقات، فما أن دخل مدرسته الإعدادية حتى فوجئ بالعدد الأكبر من التلاميذ، إذ كانت مدرسة حكومية ليست كمدرسته الابتدائية الخاصة ذات العدد الأقل.. لم يلحظه أحد ولم تفلح خططه فلم يجذب انزواؤه عنهم أي تعاطف بل جذب تجاهلا لا أكثر.

لم يجد سوى لعبته المملة يقضي بها الفسحة.. كانت اللعبة مملة ولكنها كانت اللعبة الوحيدة التي يملكها في وحدته.. فالكل يلعب ولا أحد يعرض عليه اللعب.. حتى عبد العزيز كان لا يظهر في الفسحة ويجلس معه، كان يقضي وقته مع تلاميذ جدد كل يوم.. ولو ظهر لاختفى من أمامه في الحمام. كان عبد العزيز يجرب حظه كل يوم مع شلة جديدة فلا تستمر صداقته بهم أكثر من أسبوع على الأكثر حتى يضيقوا به ويمتنعوا عن اللعب معه.. فكان يقضي معه يوما أو اثنين.. يحاول فيهما بكل جد أن لا يراه أحد مع عبد العزيز.. وما يلبث عبد العزيز إلا أن

يختفى مجربًا حظه مع آخرين يومًا أو اثنين أو حتى أسبوعًا حتى يطردوه من شلتهم فيعاود الكرة.

أما صديقه الثالث.. هيثم المريض.. فهو لم يره إلا بضع مرات لا أكثر.. وكان هو منفذه الوحيد لاختراع حكايات جديدة تضيف عليه بعض الإثارة فيخبرها لمن حوله بمناسبة وبدون مناسبة عليهم يعتقدون أنه شخص مثير فيجربون حظهم معه ويصادقونه أو يحكمها لعبد العزيز حتى يجاري مغامراته التي يحكمها له بلا توقف.

صديقه الثالث لم يكن سوى طفل عادي جدًا.. كان هيثم طفلًا هزيل الجسم منحني الظهر.. يرتدي نظارة نظرقل من يرتديها في سنه.. وقلّ من يرتديها أيضًا نظرًا لغلوثمنها، لكنها لم تخف تهمل جفنيه الواضح وبدت كبيرة جدًا ليس لضخامة حجمها وإنما لصغر رأسه الواضح.. كان يبدو عليه بتعبير زملائه في الفصل أنه "عيل ابن ناس".. كان منخفض الصوت جدا تكاد لا تسمعه.. كان إذا تحدث ابتسم وإذا صمت ابتسم.. انشقت عنه الأرض يومًا.. فإذ بعد مرور شهر من الدراسة بسنته الأولى بمدرسته الإعدادية تلك.. وكان يكاد أن يُجن من الوحدة، فإذا بالباب يطرق.. في الحصة الثانية.. ويُفتح الباب فإذا بالناظر بنفسه وقد اصطحب هيثم ودخل به إلى منتصف الفصل..

- ده زميلكم هيثم.. منقول جديد، هيثم صحته كويسة جدًا لكن هو الدكتور نصحه بإنه ميبذلش مجهود كبير.. هيثم ده في وشي أنا..

أي كلب فيكوا هيغلس عليه ولا هيرذل عليه عقابه مش عند حد.. عقابه عندي أنا شخصياً.. كانت هذه الكلمات كافية بنسف أي تعاطف مع الصبي الجديد.. نظرله وكأنه ينظر إلى الشخص الذي سرق هويته أثناء دراسته الابتدائية.. ولكن هذا يبدو مريضاً حقاً لا ينتحل المرض.. تمنى لو كان يستطيع أن يقوم فيضرب هذا الناظر على قفاه.. فهو يعلم أن الناظر كان يريد أن يضمن لهيثم مكانا هادئا وسط هؤلاء الشياطين فخوفهم.. لا يعلم أنه لو كان توقف عند حد إخبارهم بأنه مريض.. لكان اكتسب تعاطف الجميع.. الغبي جعل من هيثم تحدياً سافراً للكل وأوجد بداخلهم عداءً لا داعي له.. فبدلاً من أن يرحب به الجميع تحاشوه.

سأل الناظر عن من يملك بجواره مكانا خالياً.. تظاهر البعض بالتزاحم وتظاهر بعض آخر بأن المكان ضيق أو التخته مكسورة بينما بادر البعض بشجاعة بالنظر متوعداً لهيثم إذا جاء واقتراب إلى مكانه بينما اكتفى البعض بالدعاء بالألا يكون من نصيبهم.

بينما قدر هو الأمر بسرعة وبمهارة تزيد معه يوماً بعد يوم.. يقدر المكاسب والخسائر بسرعة كبيرة.. هو حتى الآن وقد مر شهر لم يكتسب صديقاً، وصديق جديد مكسب بكل تأكيد وخير من الوحدة..

بالإضافة أنه مع الوقت ستنقش غمامة الناظر وسينسى الكل التهديد والوعيد ولن يلبث هيثم إلا أن يصير تلميذا عادياً

كالآخرين.. بل على العكس سينتبي الأمر بتعاطفهم معه لكونه مريضاً، وهي فرصته إن كان هو وقتها صديقه المقرب لسيستفيد بكسب كل الصداقات الجديدة.

رفع يده..

- أنا جنبي فاضي اللي قاعد جنبي راح فصل المتفوقين امبارح.

بادر المدرس بأن بارك الأمر..

- يا حضرة الناظر فعلا ده مكان مناسب أهو يقعد جنب الولد

المؤدب ده.. ده ولد شاطر وطلع السادس في امتحان الشهر.

وكان أن جلس هيثم بجواره ذلك اليوم.. بدا له سعيداً وممتننا أنه

قد اختاره.. جلس بجواره ووضع حقيبته التي تكاد تصرخ ناطقة

أنها جديدة تمامًا.. وضعها على الأرض ولم يفعل كباقي التلاميذ

الذين يصرون على وضع حقائبهم الجديدة فوق الكرسي لا على

الأرض.

بادر هو برفعها وقال:

- يا هيثم حرام عليك الشنطة جديدة حطها ع التخته واللي مش

عاجبه يولع.

نظر باقي زملائه في التخته بغل حقيقي، فهذا معناه أن المكان في

التخته سيضيق عليهم أكثر وبمعدل الضعف.. مكان لهيثم وآخر

للحقيبة الجديدة.

كان هذا تحديًا كبيرًا منه وقد يفقده حب زملائه، ولكنه فضل المقامرة الآن أملا في المكسب البعيد.. وكان تحديه هذا بإعلانه أن الحقيبة لها الحق في التختة مثل الجميع إعلانا يثير الغضب في عرف التلاميذ، حيث إن التختة لا تتسع لكل هذا التبذير في المكان..

ولكنه غطى هذا التحدي والتعدي السافر على مساحتهم وحقوقهم في التختة بأن قال بصوت خفيض حتى لا يسمعه هيثم الذي استقر على الطرف بجواره:

- الولد عيان استحمله معلى، كمان الناظر ماسمعتوش قال اللي هيضايقه هيحصل فيه إيه؟

كانت جملة بريئة جدًا ولكنها كانت بمثابة إشهار السلاح لهم.. فانقلبوا صامتين كاظمين لغيظ لن يستطيعوا إخراجها.

بعد ذلك بفترة غاب هيثم كثيرًا فقد زاد مرضه، وكان يحكي هو في غيابه الكثير من الأمور التي لم تحدث.. فمرة يدعي أنه قد سافر معه لمحافضة أخرى ليكون بجواره في العملية التي سيقوم بها.. ومرة يدعي أنه هرب من بيته في منتصف الليل بالأمس لأن صديقه استنجد به عبر الهاتف.. لكي يلحق به بالدواء.. فقد تركه أبواه وذهبا لفرح أحد الأقارب وكان هيثم قد نسي مكان الدواء.. فتسلل من البيت في منتصف الليل واشترى له دواءً جديدًا وأنقذه..

واستمرت الحكايات في التوالي.. وكان الجميع يسمعونها حين يأتيه  
ليسألوا عن صحة هيثم..

كانوا يستمعون له بحماس شديد.. فيشعل هو حماسهم بتفاصيل  
كثيرة يضيفها دون سابق ترتيب ولكن في النهاية ما إن تفرغ قصته  
حتى ينفضوا عنه مكملين لهوهم ولعبيهم متمنين لهيثم السلامة  
سائلينه أن يبلغه سلامهم..

الحقيقة أنه كان لا يملك رقم هيثم ولا يراه..

وكان عندما يعود هيثم للمدرسة يسارع إليه ويخبره بكل تلك  
الحكايات المغشوشة ويقول له أن قد ألفتها حتى لا يستولي أحد  
على مكانك.. فلولا هذه الحكايات لنسوك واستولوا على مكانك  
وأنه لم يكن يسمح بذلك.

لم يبد هيثم اقتناعاً ولكنه كان يبتسم ويشكره بصوته الخفيض،  
وما إن تأتي سيرة هذه الحكايات المختلفة من أحدهم حتى يبتسم  
هيثم ويهز رأسه أن قد حدث.

لولا دخول هيثم لحياته في هذا الوقت لما لاحظته أحد.. ولولا أن  
بادر بصداقته لما كان له وجود في هذا الفصل، فهذه الدقائق  
المعدودة التي يقضيها في تأليف أخبار هيثم كانت صلته الوحيدة  
به.

ولكن هيثم لم يعد يأتي.. وطال الغياب.. كان هيثم دائماً ما يعتذر  
عن إعطائه رقم هاتفه لأن والده يرفض ذلك.. ولا يريد أن يزجج  
أحد راحته في البيت.. طال الغياب.. وبدأت حكايات هيثم المختلفة

تقل أهميتها للآخرين.. وكعادة الصبية.. فإنهم يتجاوزون الأمور.. بدوا في بداية الأمر قلقين عليه.. يسألونه أين اختفى.. ولكن في النهاية انطفأ بريقه.. ولم يعد يسأل أحد عليه.

عاد لوحده وإلى صديقيه. عبد العزيز بمغامراته الجريئة وظهوره واختفائه.. وإلى عمار الولد الهادئ الذي يخشى أن يترك مكانه في الفصل ويأتي ليجلس بجواره خوفاً من أن يعاقبه المدرسون.. فلا يأتي له إلا في الحصص الفاضية.. أما في الفسحة فهو يأخذ كل الوقت في قضاء فروضه المنزلية.

بعد غياب هيثم اخترع لعبته المملة.. وقضى كل الوقت في طابور الكانتين أو يجري بلا هدف حاملاً كيس الحلوى راسماً ابتسامة بلهاء، أو في الحمام يوازن إيقاع أكله وشربه مع الوقت المتبقي في الفسحة.

ثلاث سنوات.. لم يعد هيثم.. لم يدرك أحد أنه صديق عبد العزيز الصدوق خارج المدرسة ولم يلحظ أصلاً أحد صداقته بعمار.. كان يشك أصلاً أن عمار له وجود حقيقي.. فهو لا انطباع يتركه ولا حدث يحدثه.

بعد ثلاث سنوات كان قرار ثورته واضحاً وصريحاً.. يكفيه ما فات من الوقت.. حان الوقت ليخلق واقعا جديداً.. كان يعرف أنه لا بد أن ينضح أكثر.. يكتسب صداقات من باب قوة لا من باب شفقة.. لا يقبل بالمعتوهين أصدقاء.. عليه أن يثور..

ولكن داخله كان يعلم أنه لم ينضج.. انتظر طويلا أن يحدث هذا النضج.. ولكنه هو مازال هو..

ولكن القرار قد اتخذ بعد الامتحانات، يقطع علاقته بعمار وعبد العزيز، ويبحث له عن حياة جديدة لا يتواجد فيها أي من غربي الأقطار هؤلاء.

كان قد أقنع عبد العزيز أنه سيلتحق بمدرسة ثانوية بعينها حتى يقدم فيها عبد العزيز أوراقه وعند جد الأمور يدعى أن أباه قد غير مكان مدرسته.. وأما عمار فقد حُل أمره بشكل أيسر، إذ قرر أبوه أن يلحقه بمدرسة عسكرية داخلية.. حتى يجعل منه رجلا.. هكذا كما قال عمار.

ولكن عبد العزيز أصر على مغامرة وداع بعد آخر امتحان.. حيث إنه من الممكن أن يسافر مع أهله إلى المصيف في الإجازة فلن يراه حتى ميعاد المدرسة.. والتي كان يعد هو أن لا تكون نفس المدرسة حتى ينتهي من صداقته للأبد.

اتفقا أن يخرجوا سوياً في آخر يوم لهما في المدرسة.. كان قد وعده أبوه بخمسين جنهما كاملة في آخر يوم له في الامتحانات.. مكافأة له..

فكر قليلا.. قرر أن يوافق فهو يعلم أنه سيحتاج لذكاء وعفرتة عبد العزيز حتى يُنفق الخمسين جنهما أفضل إنفاق.. فلتكن المغامرة الأخيرة مع عبد العزيز.



## ٢

رباب تنظر لصورتها كل يوم.. أو بمعنى أصح صورها الكثيرة التي تحيط بها غرفتها.. تفتح عينها ببطء شديد في الصباح وهي تسمع صوتا أحبته منذ أن سمعته لأول مرة منذ عامين.. ابنتها الجميلة.. جميلة.

الكل أجمع أنها تشبهها تمامًا كما اتفق الجميع قديما أنها كانت تشبه أمها..

جميلة التي ما إن أتت إلى دنياها حتى صار لحياتها طعم وصار لها سبب لكي تحياها كل يوم.

تنفذ أشعة الشمس متسللة عبر ستائر هائلة أحاطت بالغرفة في قتامة شديدة على الرغم من أن الغرفة ذاتها شديدة البهجة في ألوانها.. تمتلئ بالدمى والصور المعلقة.. كل الصور لرباب في مختلف أعمارها.. وتحت كل صورة لها وهي في سن ابنتها جميلة توجد صورة لجميلة..

صوت جميلة يزداد فتفيق رباب أكثر.. تسحب سيجارة من علبتها على يمين السرير.. تشعلها..

- مدام..

يأتي الصوت من خارج الغرفة..

- استنى يا كريمة.. أنا مولعة سيجارة خلي جميلة عندك أنا جاية.

تزيح الغطاء فيبدو جسدها عاريًا تمامًا.. كما تعودت أن تنام منذ فترة.. لم تستطع أن تتخلى عن هذه العادة حتى في أشد الأوقات برودة.. التقطت شيشبًا بأطراف أصابعها وأكملت ارتدائه وهي تسير به.. وصلت للمرأة العريضة في صدر الغرفة.. أضاءت نورًا خاصًا للمرأة فانعكست لها صورتها.. وقد تناثر شعرها وتشابك وكأنه حن ويحن لعاداته القديمة.. وضعت السيجارة في فمها.. وقامت بلم كل شعرها إلى الخلف وطوقته.. نزلت بنظرها لجسدها العاري.. الرقبة الطويلة والصدر الصغير الذي أبي أن يرضع جميلة فحرمها من الإحساس الذي تمنته منذ أن علمت بحملها.. هذا الصدر الذي كانت تكرهه منذ أن أصبح جزءًا من جسدها.. كانت في بداية الأمر سعيدة حين بدا لها كأى طفلة ولكنها نمت وتوقف هو عن النمو.. كانت تعلم طوال الوقت أنها لا تملك هذا الصدر الذي قد يغري الرجال.. ولكن الصدر الصغير هذا كان أوسع وأكبر مما يبدو عليه كحضن طيب لمن يرغب فيه.. لكن أحدًا من الرجال لا يهتم إلا بكونه صدرًا لأنثى لا حضنًا لإنسان..

عندما علمت أنها لن ترضع جميلة.. زاد حنقها وغضبها منه.. وكأنه قد نبت هنا ليؤلمها لا ليسعدها كأى أنثى.

بطئها العاري المستوي إلا من ندبة جراحة الزائدة.. ندبة لم تفكر يومًا في أن تخفيها على الرغم من سهولة الأمر ومعارفها الواسعة من أخصائي التجميل.. ولكن هذه الندبة كانت ولا تزال تحمل لها شجنًا وعمراً مضى.. هي تريدها هنا.. هي تعلم تمامًا أنها تفسد عليها

منظر جسدها ولكنها لم تجرؤ قط أن تستمع لأحد ورفضت إخفاءها.

تزداد امتلاءً من أسفل خصرها وفخذها ثم تعود ساقاها لتشكلا قالبين مستويين تعرف أنهما فانتنان.. كلما نظرت إليهما ابتسمت.. ابتسمت للسنين الطويلة التي تعمدت فيهم إخفاء ساقها وهي تعلم أنهما أجمل ما فيها.. الآن لا تخفيهما أبدًا..

تساقط رماد السيجارة على قدميها.. فهزت قدميها وأضاءت الغرفة.. ارتدت رويًا وأحكمته حول خصرها..  
- كريمة..

- الحمام جاهز يا مدام.

خرجت إلى الحمام وألقت قبلة في الهواء لجميلة التي ضحكت فور أن رأت رباب.. حمامها اليومي المعتاد.. ألقت بنفسها في الحوض المجهز وقد أعدته كريمة وأضافت رائحة الورد وكُريّات الاستحمام المهدئة نثرتها داخل الحوض.. وقد وضعت مج النيسكافيه المحكم الغلق على جدار الحوض بجواره علبة السجائر المعدنية..

مارست رباب الطقوس اليومية.. أطفأت سيجارتها الثانية .. شربت نصف النيسكافيه.. ولحقت بها كريمة لتناولها ما تبقى..

- لا يا كريمة.. برد.. النيسكافيه يبرد بسرعة.. لازم تعرفي إن أنا ما شربش النيسكافيه بعد خمس دقائق من صبه.

- أعملك واحد تاني يا مدام؟

- لا يا كريمة.. هاتي جميلة شوية.

تحملها برفق.. تنظر لها..

- كبرتي يا جي جي وبقيتي شبه ماما.

قامت رباب تدور في الغرفة بابتها الصغيرة.. أشارت لكريمة أن غادري..

كانت تعلم أن غدًا عيد ميلاد جميلة.. جميلة الآن تتم عامين.. كيف انقضى كل هذا الوقت.. لا تعلم.. تعلم أن عامين لجميلة يساويان خمسة وثلاثين لها هي..

لماذا لم تأت باكراً يا جميلة؟ لماذا لم تكوني معي منذ البداية فلا أشقى؟.. كانت النظرة التي أراها الآن في عينيك ستكفييني فلم أكن لأغرق في دموعي كما غرقت..

غدا ميعادك تودعين عامك الثاني.. أما أنا فاستعد لاستقبال عامي السادس والثلاثين..

لكني أعدك أنك لن تغرق في دموعك يا جميلة.. ستكونين أميرة لا كأميرات الحواديت التي حكيت عنهن أُمي وجدتي.. فهؤلاء الأميرات السذج أضعن أعمارهن في انتظار الفارس.. هل تعلمين يا جميلة أن كل الحواديت تنتهي عند لقاء الفارس بالأميرة؟ لأن تلك الحكايات لو أكملت الحكى عن ما حدث فيما بعد لما صارت حواديت تُحكى، وإنما كوايبس يخشى سماعها وعظاتها لمن لا يتعظ.

ستكونين أميرة ذاتك يا جميلة.. بل ملكة.. والكلك راعك لك لا تركعي  
أنت ولا تغرقي في دموعك ..

غداً في وداع عامك الثاني وبداية عامك الثالث سألقي بكل هذا  
الهراء الذي يملأ غرفتك وغرفتي إلى الشارع.. غداً نصير ملكات يا  
جميلة.. غداً جميلة ورباب لسن أميرات حواديت..

لن تتسع صدورنا الصغيرة لهموم الآخرين المزعجة.. صدورنا  
صغيرة بما يكفي فقط لنا أن نحيا..

يكفيني خمسة وثلاثون عامًا يا جميلة.. يكفونني جدًا..

هل تعلمين يا جميلة أن خمسة وثلاثين عامًا من عمري مضوا  
ومنهم فقط عشرة أعوام ملكت فيهم جسدي؟..

أمي يا جميلة كانت هي من تملكه.. كانت تخشى أي جمال يظهر  
فيه.. كانت تخشى عليّ من أن يؤذيني أحد.. ليت حرصها هذا نفع  
يا جميلة.. فقد غرقت في دموعي وسيحت فيها.

لم أكتشف ساقى أبدًا.. فلم تسمح لي أمي أن.. أن أزيل شعرًا علق  
بها يا جميلة.. ستفهمين ذلك فيما بعد..

تبتسم..

في الجامعة.. كنت أرتمي كُما طويلا مهما كان الحر.. وبنطلون  
الجينز كان ردائي الدائم.. أخشى أن يرى البنات يدي وساقى.. فلم  
تكن تسمح لي أمي أن أزيل من عليهما شعرة كما تفعل باقي البنات..  
كانت حجتها حينئذ أنني سأقوم بذلك قبل زواجي، أما إن فعلت  
ذلك من الآن فسيزداد الأمر سوءًا وستزداد كثافة نمو الشعر.

الأمر مقزز يا جميلة.. أنا أعلم.. أنا فقط أحكي لك لكي تعرفي أن لك أمًا لن تفعل ذلك بك.

لم أعلم كيف صدقتها.. أمي التي لم تملك إلا أنا، كانت تحمل هم فراقني منذ أن ولدتني حتى أنني الآن لا أعلم هل كانت حقًا تخشى عليّ أم كانت تخشى أن أبدو جميلة فيخطفني منها أحدهم..

المسكينة وقتها لم تكن تعلم أنها هي من ستسعى لكي يخطفني أحدهم بعد أن أتممت من عمري الثلاثين.

نعم يا جميلة.. هي أمي تلك التي دفناها في الأمس..

- مدام.. فيه ضيوف تحت جايين يعزوا حضرتك.

قالتها كريمة من باب الغرفة فقطعت شرود رباب التي نظرت لها وكأنها تذكرت ما لم يخطر ببالها.. عزاء؟.. وماذا كان بالأمس؟.. ألم يكن فراقًا وألمًا؟.. لماذا يريدون أن يلاحقوني مستمرين في العزاء المنافق هذا؟.. أليس من حقي أن أتألم وحدي؟.. لماذا يريدون أن يسرقوا مني هذه اللحظات التي أفارق فيها رائحة أمي التي لم تزل عالقة في أنفي؟.. فأضطر لاستبدالها بعطورهم الخائفة.. وأضطر للدخول في هذا الكم من المجاملات الكاذبة.

- مدام.

- حاضر يا كريمة.. هكمل لبس وجايه.. خدي جميلة خليها تلعب.



ظهرت رباب من أعلى السلم المؤدي للدور الأرضي.. ظهرت كنجمة أحاطتها غمامة سوداء.. وجهها الرفيع الذي يزين قامة طويلة.. وجه له أنف دقيق وفم أدق.. شعرها قد لفته بإحكام إلى الخلف.. فستان أسود يكشف عنقا طويلا التف حوله عقد من الألمانظ.. يغطي صدرها ويبدو فضفاضًا من أعلى فلا يكشف صدرها ولا يصف منه شيئًا.. يضيق وكأنما صنع خصيصًا ليلتف حول امتلاء خصرها ثم يصل لركبتيها.. لتترك ساقها عاريتين تلمعان.

نزلت رباب من أعلى السلم إلى أسفله ببطء شديد وهي تضع نظارتها السوداء على عينيها.. وما إن ظهرت حتى عم صمت في المكان لم يقطعه إلا صوت كعبيها اللذين ينقران خشب السلم البني.. تتعمد وضع نظارتها حتى لا تنظر إلى ضيوفها مباشرة.. جالت ببصرها وهي تنزل إلى أركان فيلتها.. تطمئن أن كل شيء في مكانه وتسترق نظرات سريعة إلى أعين ضيوفها لتتأكد من وقع الفيلا عليهم.

تبدو كفيلا كلاسيكية.. وُضع كل شيء فيه وكأنما وضع في متحف.. السجاجيد التي أتت من كل مكان حول العالم.. والنجف الذي تدلى من أعلى السقف ضخم يعطى للمكان رهبة وأناقة.. لوحات زيتية على الجدران.. ووُضعت الشمعدانات كل واحد أسفل لوحة منهن.. وكل ذلك هو الطابق الأرضي.. طابق معزول تمامًا بالباب الخشبي الكبير عن ما أحاط بالفيلا من حديقة خضراء امتلأت

بالزهور وتوسطها حمام سباحة.. طابق أغلقت شبابيكه بستائر  
بنية قاتمة.

أما الطابق العلوي فالبهجة بعينها.. منذ وُلدت جميلة وهي تخطط  
له.. فقبل جميلة لم يكن سوى امتداد لكلاسيكية الطابق الأرضي..  
أما منذ علمت أن جميلة قد نبتت في رحمها.. ثارت عليه وجعلت  
من ألوانه البهجة وأزاحت كل الصور الزيتية والشمعدانات  
والأرائك المذهبة.. ونشرت صورًا لها هي من كل أطوار أعمارها  
وفردت تحت كل منها مساحة قررت أن تضع فيها صورة لجميلة  
تتفق مع سن رباب في الصورة.. منذ كانت رضية حتى الآن.. ذات  
الفكرة التي نفذتها في بيتهم في أمريكا.

ما إن هبطت رباب السلم حتى اصطف ضيوفها.. مجموعة من  
الفتيات والسيدات ارتدين السواد فشعرت كأنهن نسخ متكررة  
يشبه بعضها البعض، مجموعة من الملابس السوداء والنظارات  
القاتمة.. تعرفت على بعضهن ولم تشغل بالها بالتعرف على الباقي..  
لم تقل كلمة إنما اكتفت بهز رأسها والمصافحة وهي تسمع كلمات  
العزاء حتى وصلت لآخر الصف فجلست على كرسي تصدر صفي  
كراسي عن اليمين واليسار..

- كريمة..

قالتها رباب في لهجة نداء امتزجت بحزم.. فجاءت كريمة تحمل  
فناجين القهوة.. ولحظات وعلا صوت القرآن..

ردد الجميع كلمات العزاء مرات ومرات فشعرت رباب وكأنما أدارت لقطّة متكررة.. زفرت بشدة ثم أمسكت بفنجان القهوة..

- كريمة.. طفى الشيخ ده.

صمت الجميع فجأة.. وكأنما صعقتهم.. وحاولت سيدة كبيرة الاعتراض ولكنها لم تستطع سوى أن تتحول بداية اعتراضها إلى تزييف لسعال عندما خلعت رباب نظارتها ورمقتها بحزم..

- كريمة.. شغلى الشيخ عبد الباسط.. سورة مريم.

ثم رفعت النظارة ثانية على عينيها.. وما هي إلا لحظات وتلا الشيخ..

﴿كَهَيْعَصَ﴾.. فتهدت رباب.. وفرت دمعة ساخنة من عينيها..

انتمت على الفور ومسحتها..

نظرت إليهن.. وهن صاغرات كاظمات لغيظهن.. فهي تعلم تمامًا ما يدور بداخلهن.. لا يستطعن النظر في وجهها.. تعمدت أن ترص صفي الكراسي بهذا الشكل وأن تتصدر هي الجلسة على كرسي ارتفع عنهن.. كانت تعلم أنها تبدو كملكة وسط رعيتها..

بدأت بهدوء تجيل النظر إلى وجوههن.. أقاربها.. العاملين لديها في الشركة.. وأخريات تعرفت إليهن بالكاد.. تعرف أن ثمة قرابة أو نسب.. وأخريات لم تتعرف عليهن.. تمننت لو التقت بإحدى صديقاتها القدامى ولكن لا أحد..

تجرعت من القهوة.. ثم أشعلت سيجارة..

- متكسفوش.. أنا عارفة إن نصكو بيدخن.. مش معقول هتعزوا وأنتوا خرمانين.

كانت الجملة مربكة بحق.. فهن لم يعلمن ماذا عليهن أن يفعلن كرد فعل لهذه الجملة.. هل هي تسخر منهن؟.. هل عليهن أن يبتسمن على تعليقها؟.. أم أنه من غير اللائق؟.. تناثرت ردود الأفعال بين ابتسامات مترددة ونظرات بلهاء لا معنى لها.

قررت هي أن ترحم حيرتهن..

- كريمة..

جاءت كريمة مسرعة على الفور.. انتظرت إشارة سيدتها.. ففهمتها.. فجاءت بعلبة السجائر المعدنية.. وشرعت تدور عليهن لمن أرادت سيجارة..

﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا﴾

كان الشيخ عبد الباسط يتلو تلك الآية..

- كريمة.. شغلي سورة يوسف.. المنشاوي

وقفت رباب.. فوضع الجميع فناجين القهوة على أطباقها.. تمشت قليلا.. وصلت إلى نافذة مغلقة فأزاحت ستارًا بنيا قاتمًا قد تدلى أمامها.. فعبرت بعض أشعة الشمس فتلألأ العقد الأماظ في عنقها.. قالت:

- أنا عارفة اللي انتوا بتقولوه جواكوا.. واحدة واحدة فيكوا.. أنا جوزي ماماتش بسبي ولا أمي.. بالعكس.. دول عاشوا عشاني وأنا عشت عشانهم.. أنا عارفة إنكوا شايفيني بومة ونحس.. وإنكوا خايفين على مصالحكوا في شركات بابا وشركات جوزي.. ماما وجوزي اللي ماتوا إمبراح.. موجودين هنا.. مادام أنا موجودة

يبقى كل حاجة هتفضل زي ما هي.. وكل اللي كان ليه مصلحة أو شغل مصلحته وشغله زي ما هو.. وكل واحدة كانت بتيجي تاخذ شهرية من ماما.. شهريتها محفوظة.. الشركات ماشية والجمعية الخيرية ماشية.. والنحس اللي قدامكوا دي هتمشي كل حاجة زي ما كانت..

صمتت قليلا ولم تنظر لهن..

- كريمة.. وصلي الهوانم..

جاءت كريمة لتحمل فنجان القهوة وبقايا السجارة من سيدتها.. صعدت رباب إلى الطابق العلوي ببطء شديد دون أن تنظر إليهن، ولكنها توقفت عند أول درجة من السلم وقالت وهي لم تلفت إليهن:

- سعيكم مشكور.. وفي مكافأة شهر لكل العاملين.. وشهرية لكل الأسر اللي بتعيّلها الجمعية.

ثم صعدت إلى الطابق الأعلى.. وما إن اختفت عنهن حتى خلعت حذاءها ذا الكعب العالي وجرت حافية نحو جميلة.. فأخذتها في حضنها الصغير ولم تلبث إلا أن شرعت في بكاء حار..

\* \* \*

لم تشعر بالوقت ولكنها استيقظت فوجدت نفسها تنام تحت قدم جميلة.. نامت جالسة على الأرض بجوار سرير جميلة وقد أسندت رأسها إلى جانب السرير .. بدا لها مذاق لعابها مر.. علمت أن قد

بكت كثيرا.. ابتسمت في مرارة وهي تقول.. ما زلت تغرقين في  
دموعك يا رباب.. مهما ادعيت..

لكن أين كانت دموعك بالأمس وأنت تستمعين بكل هدوء لخبر  
موت أمك وزوجك؟.. خبر موت آخر من بقي لك في الدنيا.. الآن  
أنت من بقي في الدنيا لابنتك.. أنت وحدك.. ولا أحد بقي لك أنت..  
صرت وحيدة تمامًا وقد نبت منك فرع صغير مسئول منك أنت.

نظرت حولها.. هل هي في مصر حقا؟.. بعد كل هذه السنين.. بعد  
أن ظنت أنها قد فرت.. فإذا بالقدر يصير على أن يعيدها إلى هنا..  
وأين؟ .. في هذه الفيلا القاتمة.. نظرت حولها.. تذكرت كم أنهكها  
محاولة إقناع زوجها بتغيير ديكور الطابق الأعلى.. لم يكن يجد  
جدوى لذلك.. إذ لم يكن ينوي أن يعود إلى مصر الآن..

- أنت عارف إن في يوم من الأيام هنرجع مصر ولو على سبيل  
الأجازة.. أنا مش هقدر أخلي بنتي تعيش في المكان الكئيب ده.  
- نرجع مصر!!! إنت هتجنيني، إنتى مش قلتيلي إنك مش عايزه  
ترجعى مصر؟

نظرت لزوجها نظرة خالية من التعبير.. ثم قالت:

- أنا مش عايزة أرجع.. بس عارفة إنى هرجع.  
- مش فاهمك!  
- مش مهم ريحني بس.. أرجوك أنا هديك التصميمات كلها وأنت  
إديها لأي مهندس ديكور إن شالله من عندك في الشركة.. عشان  
خاطري.

- مع إني مش فاهم.. بس ولا تزعلي حاضر.

كان شديد الحنان.. هل بالفعل هي من قتلته بنحسها؟.. كانت تعلم أنها من داخلها لا تؤمن بذلك.. ولكنها أيضًا كانت توقن أنه لم يستحق تلك النهاية.. كان يستحق أن تخبره ولو مرة واحدة قبل موته أنها.. تحبه.

هل كنت تحبينه حقا يا رباب؟.. وما الضير في كذبة صغيرة كانت ستجعله مرتاحًا؟.. لماذا حرمته من هذه الكلمة؟!..

لا بل هو من حرم نفسه منها.. هو كان يعلم أنها لن تحبه.. لن تحب أحدًا أبدًا.. قبل بها زوجة.. وكنت خير الزوجة له.

كيف بدأ هذا كله وكيف وصلت إلى ما هي عليه اليوم؟.. لا تدري.. غداً وهي تتم الخامسة والثلاثين وتستقبل عامها السادس والثلاثين.. غداً وابنتها ستتم العامين وتستقبل الثالث.. سيكون مضي خمس سنوات عن يوم قالت:

"حاضريا ماما"..

وتزوجته..

هل بالفعل كانت مرغمة وأجبرتها أمها على الموافقة؟.. أم أنها لم تكن لتفعل شيئاً لم تكن تعلم أنها تريده؟.. هي بداخل ذاتها كانت تعلم تمامًا أنها تريد أن تتزوج منه.. وأنه هو الشخص المناسب الوحيد..

ولكنها فقط كانت تحتاج لضغط أمها كي لا تنكشف أمام نفسها.. كي لا ترى بوضوح ما خطت له..

هي وكما تعودت لا تتحرك مباشرة نحو ما تريد.. هي قادرة دومًا على ممارسة مهارتها الأكبر.. هي تجعل ما تريد يأتيها دون أن تذهب إليه.. تحرك كل الدوافع وتبيء كل الظروف حتى يحدث ما تريد.. دون أن تكون هي المسئولة.. لأن وقت موافقتها سيكون كل شيء بدا وكأنما تم قدرًا.. وأنها لم تكن تخطط له من البداية.

هي ذات المهارة التي جعلتها تخطط لتغيير ديكور الفيلا وهي تعلم أنها لن تعود لمصر.. تصدق ذلك تمامًا وتؤمن به.. ولكن شيئًا بداخلها كان يخطط بهدوء وروية ويهيء لها طريق العودة لمصر.. ظلت تخطط بهدوء دون حتى أن تلتفت في وعيها أنها تخطط.. وكأنما تحفر نفقا من أمريكا إلى مصر بوخز إبرة في الصخر.. حتى صار لها نفقها الذي جاءت به من أمريكا إلى مصر دون أن يبدو ولو لنفسها أنها خططت لذلك.

دق الباب..

- مدام..

التفتت رباب نحو الباب..

- جبتي النيسكافيه يا كريمة؟

- عدى عليه ثلاثين ثانية..

ابتسمت رباب ابتسامة صافية بدت فيها أشبه بجميلة ابنتها من رباب ذاتها..

- ضحككتيني يا كريمة.. طب ادخلي لحسن قدامي أربع دقائق ونص والنيسكافيه يبرد..

دخلت كريمة مبتسمة ابتسامة حذرة تخشى أن تكون تعدت حاجز الأدب..

- إنتي فهمتيني بسرعة إزاي كده يا كريمة؟  
بوغتت كريمة من السؤال.. وضعت النيسكافيه بجوار رباب ولم تجد ما تقوله..

شكرتها رباب ثم قالت:

- إنتي إزاي في أربعة وعشرين ساعة عرفتى كل طباعي وجهزتيلى كل اللي بحتاجه إنتي كأنك عايشة معايا من زمان؟  
نظرت لها كريمة برفق.. ثم قالت في تردد:

- والله يا مدام أنا لو أطول أعملك أي حاجة أعملها لك.. ميحسش بالولية إلا الولية إلا زيها..

صممت رباب لحظة ثم انفجرت ضاحكة:

- ولية!!.. بس خلاص قفلتيني. امشي اطلعي بره..

تصببت كريمة عرقا..

- أنا أسفة يا مدام أنا أسفة والله خاني التعيير.. أنا مهما عشت ملوكي في خيركوا بس أنا برضه مدب وبيئة.. سامحيني يا ستي..  
قصدي يا مدام.

لم تتمالك رباب نفسها من الضحك حتى أغرقها دموعها ضاحكة..  
- بس بس هلكتيني من الضحك.. أنا باتكلم جد. قوليلي بقى بجد إزاي عرفتى تبقى شاطرة كده؟.. أنا حاسة إنك تعرفيني من زمان.

- أولاً يا مدام أنا أعرفك من زمان.. من كلام الله يرحمه جوز حضرتك عنك.. ده كان بيحبك أوى يا مدام.. ماكانش بيبطل كلام عنك وعن حنيتك وطيبتك كان دايمًا يقول.. إنتوا عارفين ليه أنا مش بحس بالغربة في أمريكا.. وبحس بالغربة لما باجي أخلص شغل في مصر.. عشان في أمريكا فيه حزن مراتي.. أحلى مكان في الدنيا.. ولما اتجوزتوا خيرني بين إني أنزل مصر أو أقعد وأكمل في أمريكا.. ولولا أمي ماكنتش فارقته ولا هو ولا والده..
- لم تتمالك رباب نفسها فبكت.. وتلعثمت كريمة محاولة أن تنطق حرفاً فما لبثت إلا وبكت بدورها وخرجت الكلمات تبللها دموعها:
- عارفة يا مدام أول ماشفتك.. بصراحة انصدمت.. إزاي.. صممت كريمة فجأة فنظرت لها رباب..
- إزاي إيه يا كريمة؟
- ساميحي يا مدام أنا مدب.
- إزاي إيه؟.. إزاي واحدة لسه أمها ميتة هي وجوزها مفيش يوم وواقفة على رجليها وبمية رجل؟
- بصراحة أه يا مدام.. بس هفهمك. في الأول كنت فاكرة إن دي قساوة قلب.. وقلت إزاي دي اللي كان المرحوم بيقول عنها الشعر ده.. وكان منى عينه يتجوزها.. بس أنا عرفت أقراكي.. مين يبقى جامد كده أوى من بره إلا لو كان من جوه اتهد ومبقالوش إلا اللي بره يواجه بيه الناس.

لم تعلق رباب ولكنها رشفت من النيسكافيه.. صمتت لثوان.. ثم  
قالت فجأة:

- آه يا رغبة أهو الأربع دقائق عدوا.. قومي انجری اعمليلي  
نيسكافيه سخن..

ضحكت كريمة وهي تقاوم دموعها..

- عنيا يا ستي..

وقامت مسرعة..

نظرت رباب إلى الفراغ الذي كانت تشغله كريمة منذ لحظة..  
شاردة لثوان.. ثم تكررت في ذهنها كلمات كريمة عن زوجها وكيف  
وصف حضنها الطيب ومحفته لها.. انتظرت أن يزداد بها التأثير  
فاستعدت لموجة أكبر من الدموع.. ولكنها لم تأت.. الأمر أكبر من  
الدموع.. لم يعد هناك المزيد من الحزن لتقدمه له ولا لأمرها..

بل كانت تعلم تمامًا أن الشعور الحقيقي والأكثر سيطرة عليها الآن  
من الحزن هو الغضب.. كانت تريد أن تصرخ.. كانت تحتاج لأي  
مقدمات.. كيف رحلوا فجأة؟. كيف دارت الأمور في أربع وعشرين  
ساعة رأساً على عقب؟..

هي تعلم وتوقن أنها كانت ستعود لمصر.. كل شيء كان معداً لذلك  
بأسلوبها الحذر ولكنها كانت تريد أن تعود لمصر ملكة يسبق خطاها  
ملكها.. يؤسس لها مملكتها في مصر.. فتعود قوية مسيطرة على كل  
الأمور..

ولكنها عادت.. لمملكة تركها لها زوجها وتركها أمها.. فليس هناك من أحد سواها ليدير هذا الكم الهائل من الأموال والأشخاص والمسئوليات.. لم تكن تلك هي المملكة التي تخطط للعودة إليها.. كانت تحتاج معها زوجها ليتلقى عنها الجانب الممل من الأمر.. وتتفرغ هي لما تريده..

ولكنه مات وماتت معه أمها.. كفيلم عربي ركيك السيناريو.. يموتان في حادث.. هكذا في بساطة كأى خبر تقرأه في الجريدة فلا تلقى له بالا..

وصلنا جميعا إلى مصر.. كان من الطبيعي أن نرتاح في هذا المنزل الكئيب.. لماذا أصرا على الذهاب للشركة الساذجة تلك في هذا اليوم؟..

سيناريو موت ركيك.. حتى إنه يمكنك في كل لحظة أن تكتشف أن الخبر كاذب وأنها دعابة ثقيلة.. وأن الآن ستنادي أمها عليها ويأتي زوجها حاملا معه الزهور التي اعتاد أن يقدمها لها.. الحقيقة هي مدينة له بكم هائل من الزهور عليها الآن أن تردها له وتضعها على قبره..

ماتا.. نعم.. عليها أن تستوعب ذلك.. عليها أن تقنع أنها تلقت الخبر.. وهرعت إلى المستشفى وكررت كل المشاهد المعتادة التي تعج بها الأفلام ركيكة السيناريو وأنها صرخت ذات الصرخات التي تشاركها كم الممثلين الذين قدموا هذه الأدوار.. وأنها ارتدت وترتدي الأسود.. ووودعتهما في المقابر.. كل ذلك حدث..

عليها أن تمنح نفسها حق أن تصدق وتستوعب.. عليها أن تسمح  
للمدوع أن تنزل عليهما لا على نفسها.

اللجنة عليك يا رباب.. أمك ماتت.. رحلت وزوجك أيضًا ولا تفكرين  
إلا في نفسك ولا تنزل المدوع إلا على حالك.. افتحي هذا السد  
الذي في قلبك نحوهما.. لتبكي على موتهما.. فكري فيهما لا في  
نفسك..

ولكن ألم بينيا هما ذلك السد؟.. أمي هذه ألم تتخل عن كونها  
أمي؟.. وتحولت لرجل أعمال يدير أعمال أبي.. ألم تسع خلفي في  
كل لحظة وكل ثانية لأقبل به زوجا؟.. لماذا؟.. لكي تتصاهر  
الثروات وتتكاثر.. أمي التي كانت تخشى عليّ من كشف ساقى.. حتى  
لا يراني أحد أبدًا.. أمي التي لم تمنع قط قبل وفاة أبي رفضي  
المتكرر لكل من تقدم لي.. أمي التي فرحت فرحًا كبيرًا يوم علمت  
أن هذا الولد الصايع على حد قولها الذي أحبته في الجامعة لن  
يتقدم لخطبتي.. فرحت وهي تراني أنهار.. أمي التي كانت تريدني  
معها وتخشى أن أفارقها لو تزوجت. هي نفسها من أصرت على  
زواجي فيما بعد..

الآن كيف أبكي عليها؟ وهي التي انشغلت عن أمومتها لي بأمومتها  
الزائفة لأطفال الشوارع واليتامى.. أمي أنت لم تصلي في حياتك بعد  
وفاة أبي.. وانطلقت نحو المال وأحبته حبا جمًا.. وهؤلاء اليتامى  
الذين تظاهرت بالتعاطف معهم كان عليك أولاً أن تعطفي على

أقرب يتيم لك.. أنا!!!.. وتعطيني مالي الذي اعتبرته مالك.. لم أمانع..  
كنت أحب أن أراك سعيدة.. هنيئاً لك أكل مالي أكلاً ملاً..  
أبكي عليك؟..

لا أنا أبكي على نفسي.. كنت أستحق منك أن تعطيني فقط ساعة..  
ساعة يوم جئتك أبكي.. بسبب من أطلقت عليه الولد الصايغ  
بتاع الجامعة.. كل ما أردته هو أن تعطيني يومها ساعة تفتحين لي  
هذا الصدر أبكي فيه.. أن تخبريني كذباً أنك تتألمين لألمي.. أن  
تخدعيني بأنني أستحق من هو أفضل منه.

أمي.. هذا الولد ليس الولد الصايغ بتاع الجامعة. هذا الولد.. هو  
حب عمري.. هو أول من أحيا الموت الذي عشته منذ ولدت.. أمي  
أنا ميتة مثلك تماماً.. أنا أستحق أن أبكي على نفسي أيضاً.  
وجدت رباب نفسها فجأة وقد غرق وجهها بالماء حسبته دموعها،  
فنظرت فإذا بكريمة تنظر لها برعب حقيقي وقد أسقطت  
النيسكافيه على الأرض..

- مالك يا مدام.. يا مدام سامعاني.. يا لهووي يا ستي كفى الله  
الشر..

- في إيه يا كريمة؟.. إيه اللي بتعمله ده؟  
- بعمل إيه بس يا مدام.. إنتي كنتي فطسانة يا حبة عيني.. أنا على  
مرحت أعمل لحضرتك النيسكافيه.. جيت لقيتك مغفى عليكي.  
لم تستطع رباب أن تستوعب الأمر.. ولكن يبدو أنها قد أغمى  
عليها.. أمسكت مناديل مدتها لها كريمة لتجفف وجهها ..

- جميلة كويسة؟  
- آه يا مدام.. نايمة.  
نظرت لها رباب بلطف، حاولت أن تهدئ من روعها، حاولت أن  
تبتسم وقالت مداعبة:  
- تانى مرة لما يغمى عليا حاولي إنك تنقذي مش عشان تفوقيني  
أموت غرقانة.  
نظرت لها كريمة غير مستوعبة.. حاولت أن تضيف تعليقا ولكنها  
لم تجد.. تهتدت رباب بتعب وقالت:  
- إنسى إنسي.. ههزر معاكي.. نضفى القرف ده.  
سمعتا صوت جرس الفيلا..  
- روجي شوفي مين..



فجأة.. أظلمت الدنيا بأسرها.. وصمتت.. وجدت نفسها ملقاة على  
الطريق.. وقد ارتدت ثوبًا بات عمره اليوم اثني عشر عامًا.. ثوبًا  
حفظته بعناية كل هذا الوقت..  
طريق طويل مظلم.. تتصل سماؤه بأفقه ظلام وصل بإظلام..  
جاء القمر هادئًا رصينا يمشي على استحياء.. تسوقه بنت جميلة..  
تشبه ابنتها.. ولكنها بدت أكبر سنًا.. طفلة زاهية الطفولة. سمراء  
رقيقة.. سواد شعرها شديد لكنه حانٍ.. يثير بهجة غريبة.. قد ترك  
منسدلا في لا اتجاه، فقط تتلاعب به النسيمات ليس من نعومة

حين يتراقص وإنما هو اتساق مع طفولة مبهجة وكأنما انطلق كما تنطلق..

نظرت لها الطفلة وقد ساقى القمر نحوها واقتربت.. كلما اقتربت كلما انقشعت الظلمة.. ولكنها تنقشع قطعة قطعة.. فتبدل الظلمة ألوانا مبهجة وتنشق الأرض عن نوافير ساحرة تتراقص فيها المياه رقصًا.. تقترب الفتاة.. وتنزل من على سطح القمر.. فما أن تلمس الأرض حتى يشع نور شديد.. تصبح معه رغم النور عمياء.. لا ترى من فرط النور..

تشعر بيد رقيقة أمسكت يدها.. تقودها إلى مكان لا تعلمه..

- ابكي يا رباب.. ابكي على حالك..

ترتعد من الرعب.. إذ يأتيها الصوت من كل مكان..

- ابكي يا امرأة العزيز.. ابكي يا ملكة الممالك.. على حالك.. ألم يصبح الأمر من اليوم أمرًا؟

- ألم تخضع لك الرؤوس؟.. ألم تملكي ما كنت تريدينه؟  
- أبكي.

- ذهبت أملك قربانا.. وذهب زوجك قربانا.. لم يكن ذنبك.. لا تبكي عليهما.. فالله شاء أن تخضع لك الأرض.. فابكي على حالك..

- أتشكر أم تكفر؟

هدأ النور فإذا هي وسط نهر من المياه تسبح عارية..

- لم تكن عورتك بارزة فلماذا كشفت ساقيك؟  
حاولت أن تصرخ.. لم تستطع..

رأت نفسها وهي ينمو لها الشعر بقوة في ساقها.. فطفقت تخبئها..  
فإذ بالبنث جاءتها وقد تحولت عن رقتها وبراءتها.. واحتدت  
ملامحها.. ونزعت ما سترت به رباب ساقها.. وغسلتها بماء النهر  
فإذا بالشعر يزول.

وإذا بها تجلس على عرش كبير.. وتتوجهها البنث بتاج من قطع  
القمر..

- لك ما أردت.. لماذا تنكرين إرادتك وأيدك ما في الأرض؟.. اذهبي  
فافتحي الممالك.. أو اهلكي.. فكما أردت كان..

صوت تعرفه كلما ازداد علوًا هدم ما تراه.. صوت كريمة!!

- يا مدام.. يا مدام!!!!!! اسم الله عليكى.. طيب أرشك بمية ولا  
هتزعلي؟ أفوقك ازاي أنا دلوقتي?!!

فتحت رباب عينيها..

- أنا كان مغى عليا؟

- واضح إنك مرهقة أوى يا مدام.. ولا حضرتك على طول كده  
بتسورقي؟

لم تستطع رباب أن ترد ولكنها هزت رأسها لتنفى..

- يبقى يا مدام الإرهاق بتاع إمبارح وإنهارده تعبك.. لازم تاكلى  
وتبطلي سجاير إنهارده.. ونيسكافيه كمان..

أشارت لها رباب أن تساعدتها لكى تنهض.. فقامت كريمة  
بمساعدها.. نهضت بتعب وهي تنفض عنها ماءً أغرقها.. كان الماء  
أكثر من المرة السابقة..



تذكرت رباب على الفور البنت التي رأتها منذ قليل.. ولكنها رفضت عن رأسها ما رأته.. وتقدمت بحنو شديد لتفك أصابعها التي تشبثت بالاستارة برقبة، فإذا بجميلة تصرخ.. فتركتها على الفور..

- يا مدام.. البت اللي مش فاهمة حاجة.. عايزاكي تدخلي الشمس.. والنبي لتفتحي الستاير.

قالتها كريمة بهراة فنظرت لها رباب دون أن تدري كيف يجب أن تنظر لها، هل تنظر بلوم أم ترمقها بحزم أن قد تخطيت حدودك؟.. ولكنها اكتفت بنظرة خالية من التعبير وقالت:

- إن شاء الله.. كام يوم بس كده.

قالت كريمة كمن تذكر شيئاً فجأة:

- يوه زمان الرجل خلل. اتلخمت فيكي..

- رجل مين؟!!

- فيه ضيف تحت جاي يعزي.

- أنا في إيه ولا في إيه يا كريمة؟!.. ثانيا أنا مش قلت اللي يجيلي البيت الستات بس والرجالة يعزوا في الشركة!!

- بس ده..

- كل قرابيي جم العزا إمبارح.. قوليله لو عايز حاجة يجيني بكرة الشركة أنا نازلة من بكرة.

- يا مدام.. ده بيقول إنه صديق قديم.

انتاب رباب خوف مفاجئ.. أصاب بطنها ألم خفي لم تعلم من أين أتى.. انتظرت لحظات ثم قالت:

- صديق ده مالوش اسم؟  
- لا هو قال كده.. هو رجل كده طويل شوية وأبيضاني وتلاقيه كده..

قاطعتها رباب:

- قلتيله إيه؟  
- مقلتش.. قتلته استنى خمس دقائق.. وطلعت لقيتك مغمى عليكى.

اقتربت جميلة من رباب.. ومدت يدها الصغيرة وأعطتها طرف الستارة.. وابتسمت.. تناولت منها رباب طرف الستارة وأعادتها إلى مكانها بعنف..

- شيلى جميلة حطها مكانها.

تأكدت من لم شعرها للخلف.. تناولت النظارة السوداء.. ارتدت الحذاء ذا الكعب العالي.. وكأنما تحولت لشخص آخر تمامًا.. وتحركت للطابق السفلي..

لا تريد أن تفكر من ستلقى.. توقف عقلها عن التفكير.. تقاوم ألم بطنها الذي ازداد.. تتحرك بقوة لا تعلم من أين أتت وهى منهكة تمامًا.. أيما كان الضيف فلن يراها ضعيفة..

صديق قديم!!

عبرت ممرًا طويلًا يصل بين باب الغرفة والسلم المؤدى للطابق السفلي.. كانت تعلم فى نهاية الممر.. أن أمامها خطوة واحدة وتعلم من الأسفل.. توقفت.. شعرت وكأن الأرض تميد بها..

اقتربت الخطوة المتبقية.. نظرت..

فإذ به هو.. كما علمت من أول لحظة.. منذ أن نطقها كريمة..  
صديق قديم..

من يسمى نفسه هذا الاسم إلا هو؟.. حتى اليوم أنت صديق  
قديم؟!.. ما أقساك!!.. ما الذي أتى بك إلى هنا؟.. أيا كان السبب  
فالتى جئت لها ليست هنا.. هنا شخص آخر.. من أحببتك أيها  
الصديق القديم ماتت.. لماذا أتيت؟.. لتتأكد من موتها؟  
الألم يزداد.. سيكون من السخيف والمبتذل لو أنها أغمى عليها  
للمرة الثالثة في أقل من ساعة.

كان يقف أمام صورتها وهى فى الجامعة.. صورة لا يعلم إلا هو وهى  
أنها ليست صورة كاملة.. إنما نصف صورة.. النصف الآخر قد  
قطعته.. كان النصف الذى ظهر هو به ممسكا بيدها.. لم تستطع  
أن تمزق هذا النصف.. وإنما هو محفوظ لديها..  
اللعة..

يلتفت فجأة.. تلتقي أعينهما..

يختفى الألم من بطنها.. تتجمد أطرافها.. يبتسم لها ملوحا بخفة  
واستخفاف كعادته.. يعود الألم قويا هذه المرة.. ولكن لا يأتي إلى  
بطنها.. إنما إلى جرحها.. جرح الزائدة الدودية الذى رفضت تماما أن  
تمحوه.. هذا الألم الذى يأتيها كلما جاءت سيرته أو تذكرته.. ولكنه  
فيما سبق كان يأتي إليها وخزا.. بينما اليوم يعصف بجانب بطنها..  
يمزقها إربا..

تكاد أن تصرخ فيه.. لماذا أتيت؟..

ولكنها تعود إلى غرفتها مسرعة.

- كريمة.. كريمة.. قولي للأستاذ اللي تحت العنوان غلط.. قوليله

يتفضل بره.. قوليله أي حاجة خليه يغور من هنا.. حرام عليه

أنا مش ناقصة.

وجدت رباب ابنتها جميلة وقد اقتربت منها.. ومدت إليها كلتا يديها..

احتضنتها رباب.. ثم بكيا سويا.

\* \* \*

## ٣

نظر عبد العزيز في عينيه.. متسائلا هل يرحل؟  
لم يستطع أن يجاوبه ولكنه أطل النظر إليه.. ثم لم يلبث إلا أن  
قال:

- عبد العزيز؟.. أنا مش هقدر أطلع.

لم يعلق عبد العزيز وإنما فقط أدار وجهه ورحل وكأنما تبخر في  
الهواء..

نظر هو إلى الفراغ.. لا شيء..

هل يخبره عبد العزيز أن عليه أن يصعد!!

لو كان هذا هورأي عبد العزيز فإذن هذا رأيه هو أيضًا.. حسنا  
فلنتهي من هذا الأمر.

نظر إلى العمارة التي طالما دخلها وصعد إلى طابقها الأول حيث  
يسكن أحمد.. وحيث اعتادوا في الثانوية أن تجتمع عصابتهم  
الصغيرة.

منذ أن التحق بالثانوية وقد نجح في التخلص من كل ما أرقه من  
قبل.. ترك الانطواء تمامًا.. أقبلت عليه الحياة كما لم تفعل من  
قبل.. فاختبر تجربة الصداقة.. علم طعم أن يسعى أحد لصداقته..  
فهم معنى أن يكون محبوبًا.. كان ذلك يسيرًا وسهلاً.. تعجب كيف

انقضى عمره فيما مضى في دوامة البحث عن صداقات.. ولماذا  
تعثر من قبل في محاربتة للوحدة..

كان كلما تذكر أوقاته التي قضاها في حمام مدرسته كي ينصرم  
وقت الفسحة دون أن يشعر به أحد.. كلما تذكر ذلك تعجب من  
سذاجته.

كان عليه أن يعترف أن ثورته تلك كانت لعبد العزيز قوية في  
تأسيسها حيث كانت خسارة عبد العزيز.. هي بداية كل شيء.  
مغامرته الأخيرة مع عبد العزيز.. الحادثة.. موت عبد العزيز.. ثم  
كيف استوعب الأمر.. كل شيء كان صعبًا..

ولكن في النهاية عبر المحنة.. لا ينكر أنها خلفت في نفسه وعقله  
الكثير من التشوه الذي لن يذهب ولكنه في تلك اللحظات حقق  
انتصاره الوحيد على نفسه إذ امتطأها.. وحلق بها فوق ضعفه  
وساق نفسه كما أراد وعكس ما أرادت..

جعل منها نفسًا قوية وهى الضعيفة.. ظهر للكل محبوبًا وهو  
منكوب.. كانت الستة أشهر الأولى من دراسته الثانوية انتصارًا ليس  
له مثيل.. حقق فيه مكسبًا وانتزع فيه أرضا لم تكن يومًا ملكه..  
كان يحلم بأن يصادقه شخص أو اثنان فإذا به أشهر من في  
مدرسته بل امتد صيته للمدارس المجاورة..

حتى أنه كان يُعرض عليه من كل زملائه ويلحون عليه ليقبل أن  
ينضم إليهم في مجموعات دروسهم الخصوصية.

لا ينسى أبدًا فضل عبد العزيز عليه ومغامرته التي قضها معه والتي فقد فيها صديقه الذي لم يكن يطيق صداقته.

كان نجما.. وكان يعلم أنه ليس ذلك الشخص الذي يحياه.. هو يعلم حدود إمكانياته.. هل اخترقه عبد العزيز لهذه الدرجة؟.. هل حيا عبد العزيز في جسده فخلق به فوق ضعفه؟.. كان الأمر معقدًا إلى أقصى حد في هذا التوقيت..

كان يدرك تمامًا أن ثمة تفاصيل قد شوهت الحقيقة.. تفاصيل من صنعه هو أو من صنع الزمن.. أيا كان من صنع التفاصيل الصغيرة ولكن من وضعها قد علم كيف يصبر على وضعها تفصيلاً تفصيلاً بتأنٍ وجلد.. حتى لا يشعر أحد بالتشوه الذي يحدث للحقيقة.. وكأنه يحفر نفقا بإبرة صغيرة.. يهدوء وثبات وإيقاع منتظم.. لا يشعر أحد بوخز الإبرة في الحقيقة حتى خلق منها وبها نفقا يستطيع من يشاء أن يعبر منه متجاوزا ما حدث إلى البر الآخر.

ما حدث كانت بدايته مغامرته الأخيرة مع عبد العزيز والتي اختلف بعدها كل شيء.. كل شيء!



## ٤

صعد السلم إلى الطابق الأول.. نظر إلى الساعة.. الثانية والنصف..  
مر على رسالته التي أرسلها لرباب أكثر من ساعتين.. لعلها الآن  
غارقة في دموعها كالعادة.. أو لعله لم يقابلها أصلاً.. كان لا يعلم  
يقينا.

شعر برغبة شديدة في التدخين.. أخرج سيجارته.. نظر إلى الاسم  
المكتوب على باب الشقة.. إبراهيم عبد الباقي.. هي نفس اللوحة  
التي حملها بيت أحمد منذ كانا في الثانوية العامة.. وإن لم يكن  
يسكنها أحمد وعائلته.. هذه الشقة كانت متروكة تماما لأحمد..  
بينما رجل الأعمال الكبير.. إبراهيم عبد الباقي.. كان قد كبر جداً  
على أن تتسع شقة كهذه له..

هذه الشقة التي كرهها جداً..

جلس على السلم وهو يدخن السيجارة ويتذكر..  
سمع أصواتهم تأتي من خلف الباب.. لم يرتبك.. نظري يبحث عن  
عبد العزيز حوله ولم يجده.. تمنى لو كان معه الآن..

يتذكر أصواتهم.. يتذكر واحداً تلو الآخر.. حتى ميز صوته.. أحمد..  
هذا الفتى المدلل.. الذي هبط عليه من السماء ليسحب كل شيء  
من تحت قدمه.. هدم مملكته التي بناها في ثلاثة أشهر.. ثلاثة  
أشهر كان فيها نجماً لمدرسته وقبلة لأصدقائه..

فهبط أحمد إبراهيم عبد الباقي من حيث لا يعلم.. وجاء ليكون  
هادم ثورته..

انشغل الكل به.. تحدثوا عنه وبالغوا..

كان يشعر أن أحمد يعلم تمامًا أنه يكرهه وكان يشعر أن أحمد  
كان يقصد أن يسلبه كل شيء..

لم يستطع أن يقرر إن كان كل ذلك صحيحًا حتى جاءت اللحظة  
التي انكشفت فيها الأمور.

قال له أحمد ببرود شديد:

- أنت معجب بجاسمين مش كده؟

شعر بقلق ولم يجبه فأجابه أحمد بتلقائية:

- شفلك بنت تانية..

أطفأ سيجارته وابتسم.. ما كل هذه السذاجة؟!.. كانت تلك الأمور  
في هذا الوقت مهمة ولكن أن تسيطر عليه الآن فهذا أمر مبالغ  
فيه.. فلننه هذا الأمر.

أشعل سيجارة أخرى ورن الجرس..

فتح له أحدهم..

صمت الجميع وكأنما تعجبوا لقدمه.. تقدم نحوه أحمد..  
وابتسم..

- اتفضل.. يا جماعة هي دى الروح الرياضية.. أهو جاي بنفسه

يهينى على خطوبتي بجاسمين..

انفجر الجميع ضحكًا.

استوعب الأمر.. هو قد دُعي اليوم ليكون أراجوز هذا الحفل  
السخيف.. كان عليه أن يحسم الأمر..

عليه أن يقول أي شيء.. أن يكف عن النظر ببلاهة.. أن يثبت لهم  
أنه لم يعد ينتمي إلى هذه الأشياء السخيفة ولم تعد تشغله  
صداقتهم ولا النجومية المسروقة.. ولا كل هذه السخافة.. هو أنضح  
من كل ذلك.. لم يعد هذا الطفل الذي يخشى الوحدة.

- مش هتقول مبروك؟.. عموماً الله يبارك فيك..

ما المتعة أيها الأحمق بعد عامين أو ثلاثة لم نتقابل؟!.. أنا قد  
خرجت من حياتكم أيها الغبي.. ما المتعة أن تأتي بي بعد كل ذلك  
لتخبرني أنك ستخطبها.. تلك الحمقاء التافهة المراهقة السخيفة..  
التي كانت معجبة بي أيها الغبي .. حتى جئت أنت بطوفان أموالك  
ولزوجتك العالية فالتصقت بك كما تلتصق الذبابة بأي سائل لزج  
عفن.

وجد نفسه يقترب.. ويغلق الباب دونهم كما فتحوه له.. فسمع  
ضحكاتهم تتعالى من ورائه..

قرر أن يرحل.. فإذا بعبد العزيز ينظر إليه..

- برافو كنت هادي جداً.

- لم ينظر إليه.. ولكنه مضى فوجد قدميه تقودانه إليها.. ما أن  
رأته حتى قالت:

- أهلا إزيك؟..

- إزيك يا دكتورة؟..

- كنت قلقانه عليك أوى.
- متقلقيش عليا أنا بمب..
- و علاجك؟
- مباحدوش..
- ضحكت برقة ثم قالت:
- جاى تقولى حاجة مهمة؟
- فكر مليًا ثم قال:
- هو اللي أنا عملته ده صح ولا غلط؟
- أنا قتلتك أنا مش مقتنعة.. بس أنت أصريت.
- أنا عندي مصيبة جديدة.
- نظرت بخوف حقيقى وتعاطف واضح..
- خير احكيلى.
- جلس على أريكته المفضلة.. نظر إلى يمينه فإذا بالشباك الذي
- اعتاد أن ينظر من خلاله..
- الموضوع ده كله أنا شفته في فيلم أجنبى قبل كده..
- ابتسمت برقة..
- يعني هو آه ممكن..
- بس تفتكرى إنتى جزء من الفيلم؟.. ورباب؟.. وأنا نفسي؟
- بص أنت لما قررت متعالجش.. ده كان قرارك وقتلك أن ده
- هيضرك..

- أهوده بالظبط اللي ملخبطنى.. إزاي دكتورة تسمح لمريضها إنه ميتعالجش؟
- عشان أنت مش مريض.. المريض اللي مش عارف إنه عيان.. إنت بس محتاج مساعدة.. وأنا شايفة إنك تقدر تحققها لنفسك بسهولة.
- عبد العزيز امتلكنى تقريبًا فترة من حياتي.. من أول ممات وهو اللي مسيطر عليا.. افتكرت إنى بكده بقيت أقوى.. جه أحمد اللزج ده وهزمننا إحنا الاتنين أنا وعبد العزيز.. ضحك بصوت عالٍ..
- يعنى حتى عبد العزيز اللي في خيالى اتعقد.. مش كفاية أنا عقدت نفسى ده أنا عقدت كمان العقدة اللي عندى.
- ضحكت بحنان.. اقتربت منه وأمسكت يده..
- أنت مش قلت إنك شفت الكلام ده في فيلم أجنبي قبل كده؟
- آه.
- نهايته كانت سعيدة؟
- آه.
- شفت..
- وازدادت ابتسامتها إشراقا.. خلعت البالطو..
- متنساش إن أنا أمك.. وإنى بخاف عليك من الدنيا كلها..
- طيب حضريلى الغدا..
- حاضر يا حبيبي..

نظر إليها.. فإذا بها تقبله على جبينه.. وتقول:  
- إنت مش معقد.. ولا مجنون.. أنت أجمل واحد في الدنيا..  
سمع صوت الباب يُغلق وأبوه وعمته قد دخلا.. رمقاه بنظرة لم يفهمها ثم ألقيا عليه السلام..  
فرد.. اطمأنا على يومه في الجامعة.. فتذكر باب التي تركها تغرق في دموعها..  
قرر أن يكلمها ولكن بعد أن يفضوا عنه..  
اجتمعوا على سفرة اعتادت أن تجمعهم.. نظرت له أمه بحنان..  
نظر لها وتأكد أن أباه وعمته لا يريانه فقال محرِّكًا شفتيه دون صوت..  
- بحبك..  
فابتسمت أمه وقلدته دون أن تصدر صوتا..  
- وأنا كمان..  
شعر بأمان ..  
تظاهر بالانهماك في الطعام منتظرًا لحظة أن يسعل أبوه معلنا إنهاء طعامه.. وينهض لتلحق به عمته، ولكن هذه المرة لم يقم بهذا الطقس ولكنه مد يده لكوب الماء وتجرعه مرة واحدة ثم قال:  
- مالك؟  
باغته السؤال ومرت لحظات حتى استوعب أن أباه يخاطبه..  
- مالي؟

نهض وأمره باللحاق به ثم نظر له نظرة أكثر غرابية.. لم يتعود أباه هكذا.. دخل إلى غرفته وهو يمسخ يده بمنديل التقطه.. لحق به بهدوء وهو يبعد تلك النظرة عن ذهنه.. لا يريد أن يفكر بها حتى تفسر هي نفسها.. كان شعور الخوف يقترب منه حتى تملكه.. ألقى بنظرة خاطفة إلى أمه.. كانت تتحاشى النظر إليه.. كان يريد أن تُحرك شفيتها ليقراها كما تعود ولكنها أطبقتها.. فرت منه دمعة فأمسكت به عمته وساقته إلى أبيه.

كان الأمر سريعاً وقاسياً.. كان عليه أن يعي كل شيء في تلك الجلسة..

أخبره أبوه أن أمه عليها أن تبتعد قليلاً.. تملكه الغضب.. ثار.. حطم شيئاً أو أكثر. احتضنته عمته بقوة فدفعها.. ألقى أباه باتهامات عديدة.. حاول أبوه أن يشرح له.. لم يكن يريد ذلك.. لم يكن يريد شيئاً.. كان يريد فقط أمه.. أقسم إنه سيساعدها حتى تستعيد النطق الذي فقدته.. فسأله أبوه.. كيف.. لم يكن يعلم الإجابة ولكنه لم يجد إلا أن يقول:

- أنا مش محتاج أمي تنطق تاني.. لكن أنا محتاج أمي جنبي هي الوحيدة اللي بقيالي.
- أنت أناني.. الدكاترة بتقول إنها لازم تبعد لازم تقاوم فقدتها للنطق.. لازم نعرف السبب بهدوء ونعالجه.
- وإذا كانت هي مش عايزة؟..

- هي عايذة تفضل هنا عشائك لو سبناها هنبقى كلنا أنانيين..  
هنرضى إننا كلنا نبقى مبسوطين وهى اللي تتضرر.. أمك محتاجة  
تتعالج.. اللي أمك شافته كثير.. ارحمها..  
- أمى محتاجة تبعد عنك أنت.. وأنت عارف كده كويس.. عايذ  
تعالجها اطلع أنت من حياتها.. أوعى تكون فاكرنى مش عارف أنت  
عملت فيها إيه.. خيانتك ليها في كل لحظة هي اللي عملت فيها  
كده.

نظر له أبوه بغضب..

- أنت مش فاهم حاجة خالص.

أخبره أبوه بالأمر كله مرة واحدة.. لم تكن تلك أول مرة يسمع فيها  
هذه الكلمة.. سمعها من قبل حين أطلقوها على مرض جدته..  
هانتينجتون!!!.. حاول أن يجادل ولكن أباه قام فجأة وصفح الباب  
خلفه.. وجلست له عمته لتشرح له..

أمه في طريقها لفقد كل شيء وأن النطق ليس آخر ما تفقد.  
المرض ينخر فيها وأن عليها أن تسافر بعيدا لتلك المستشفى في  
لندن لتقضي ما تبقى لها من عمرها في هدوء محاولين أن يصلوا  
بها لأقل درجات الألم.. سيجعلها المرض تنسى كل شيء.. خيانة  
زوجها لها.. ابنها وكل ما حكى لها.. كل هذه الأسرار الصغيرة التي لم  
يجد إلا أمه مخبئا لها.. ستنساها.. بل وتنساه هو نفسه ثم تفقد  
قدرتها على الاتزان وتفقد تحكمها في هذا الجسد الضعيف.. عليه  
أن يكون يتيماً من الآن.. أخبرته أن الأمر قد ورثته عن أمها..

وأنها بحلول عامين أو أكثر ستصير جسداً يحركها لا تحركه.. يصدر اهتزازات لا معنى لها.. ستحتاج لمرضة لا إلى ابن. اتركها يابني.. اتركها لتواجه مصيرها.. لا تزد من عذابها. يا بني ما حزنت أمك على نفسها ولكن حزنت عليك. فتحت أمه الباب.. جلست بجواره بهدوء.. طلبت من عمته أن تتركهما..

جلست وقد تبدلت نظرتها.. حركت شفيتها لتفهمه.. أرادت أن تقول إن صدمتها كانت أكبر من قوتها.. لقد أعجزها الأمر.. عندما رأته صورة جدته وعلمت أنها ستصير إلى ما صارت إليه وأنها ستتركه وحيداً في أزمتها التي لا يعلم أحد عنها سواها.. أخبرته.. قالت:

"أنت أجمل حاجة في حياتي.. مش ممكن أسيبك أبداً مهما حصل" رنت الجملة في عقله وجلجلت.. مهما حصل؟.. ما الذي سيحدث؟.. تموتين بعيداً في هدوء.

قاطعت شروده.. كان لا يقرأ شفيتها وإنما يقرأ أفكارها قراءة.. وكأنما انتزعت قلبها خارجاً لتريه ما بداخله..

سأكون بجوارك.. مهما حدث.. اترك يدي.. دعني أغرق وانج أنت.. اطف بجسدك فوق جسدي دعني أغرق وانج.. انج من أجلي.. لا تدعهم يهزمونك كما انهزمت.. لا تترك نفسك لعبد العزيز كان ذلك خطأ.. سامحني إذ سمحت لك بذلك كنت أعتقد أن هذا في مصلحتك.

ولكن يا أمى..

كف.. أفق.. حارب نفسك وانتصر.. لا تدع كل شيء ينهار.. سأحاول  
أن أكون بجوارك ستكون روجي محلقة حولك.

ولكن..

ولدي.. اترك يدي الآن.. وابحث عن ذاتك.. الوحدة قاتلة.. ولكن  
قد تكون العزلة دارًا تلزمها حين ينهال عليك الجميع كضباع تمش  
منك ما تعرى..

قاوم.

وحضنته.. أخرجت من حقيبتها بالطو الدكتور الذي اعتادت أن  
ترتيديه له..

انتهت اللعبة.. لن أكون طبيبتك التي تسمع منك ما تريد.. نعم أنا  
يا ولدي من علمتك اللعبة حين وجدت أنك بحاجة لتحكى ما  
يحدث.. الأمر يا بني لا يحتاج إلى طبيب.. فأنا لست طبيبة.. أنا أم  
ظنت أنها بأمومتها وحبها ستكفيك.. ستشفيك من جراح طفولتك..  
أبوك؟.. سامحته.. ليس هو من أفقدني النطق.. الأمر كان معقدًا  
..كنت أحتاج قليلا من الوقت قبل أن يخبروني بهذا المرض الذي  
أصابني.. كنت أحتاج أولاً أن أنقذك قبل أن أبحث عن نفسي.. لم  
أضعك تحت قدمي حين أتى طوفان المرض.. لم أفكر في نفسي..  
وأنساك.. ولكن لعبة الطبيعة التي اعتدت أن ألعنها معك منذ كنت  
صغيرًا حتى تحكي لي كل ما يؤرقك الآن أصبحت عبثًا.. يبدو أنني  
قد أصبتك بضرر أكبر من النفع..

أنا لست قلقة عليك..

أعلم أنك لست بحاجة لعبد العزيز.. وإذا كان قدرك أنك ولدت  
وحيداً بلا إخوة.. ونشأت بلا صحبة.. والآن بلا أم.. فلتكن الوحدة  
قدرك ولا تخش..

يا ليت رباب هذه تفهمك.. أعطها يا بني هذا الباطو.. عليها تصيح  
لك أما وحببية.. لا أعلم بالضبط.. لا أملك لك نصحاً.. فقد  
حاولت مرة ولا أعلم هل نفعت نصحي أم أشقاك..  
اسمع.

أنت وحدك من سيحسم الأمر.. عليك أولاً أن تهزم عبد العزيز إن  
كان هو الشر داخلك أو الضعف.  
لا تجزع فالشر فينا.. والضعف.. نحن فينا الطين وفينا روح الله..  
فانصرو روح ربك فما الطين إلا من خلقه..  
لا أفهم يا أمي..  
- ياللا.

قالها أبوه وأخذها ودخلا غرفتهما..  
احتضنته بقلها فوعى أن آخر حضن قد اقترب بينهما..  
ووعى أن عليه أن يستوعب اكتمال وحدته.. سيرحلون!!..  
سيسافرون معها غداً.. ووعدته أبوه أن يزورها في لندن إذا تحسنت  
الأوضاع.  
قال والده: دعني أكفر ذنب أمك.. اهتم بحالك.. سنعود إليك أنا  
وعمتك عندما نطمئن عليهما.



## ٥

عندما رحلت أمه.. وافق أبوه أن يتركه يرحل.. أقام وحده.. أخبره أن عمته أيضًا عليها أن تهتم بشئونها وأنها ستعود لعملها في الخليج.. فتأكد له قدره في الوحدة.

بدا أبوه عجوزًا.. لم يدرك أن العجز قادر على أن يغزو بهذه القوة فجأة.. قرر أن يترك أباه حتى لا يزيداهما على هم.

ارتاح الكل لهذه المعادلة.. وانغلقت عليه زنازين الوحدة.. وفتحت عليه أبواب كل شيء.

مر الوقت وبدا أن الأمر صار حقيقة.. هي ليست دعابة.. هذا الوضع حقيقي على ما يبدو..

فكر أن يذهب إلى طبيب.. يحكى له عن كل شيء كما اعتاد أن يفعل مع أمه.. ولكنه كلما هم بذلك كان يتساءل.. هل سيخبر طبيبه بالحقيقة؟ هل هو يملك ذلك؟

لقد فقد بوصلته.. فاختلط الواقع بالوهم.. كانت أمه هي بوصلته التي تهديه ولكنها رحلت.. عليه أن يبحث عن الواقع بنفسه.. وعندما يمسك بكل تفاصيل واقعه سيذهب به إلى طبيب ما عله يفيد.. ولكنه في داخله كان يدرك صعوبة الأمر..

هو الآن وحده.. عليه أن يحصي ما لديه في هذه الدنيا الجديدة. فكان له ستة أشهر امتلكهم نجاح فيهم أن يكون كالأخرين..

حتى أتى أحمد إبراهيم عبد الباقي فنسف ما أقام.  
يذكر ذلك اليوم.. الذي وجد نفسه وحيداً مرة أخرى.. حاول أن  
يتمسك بما بقي له من قوة.. قرر أن يبدأ من جديد..  
كان أحمد إبراهيم عبد الباقي كما اعتاد أن يطلق عليه.. قد احتل  
مكانه تمامًا.. ثم بدأ تدريجيًا في إبعاد الكل عنه..  
ذهب إليه.. حاول أن يكتسبه صديقًا.. ليتقي شره.. أخبره بكل  
شيء.. أخبره أنه يحب تلك البنت جاسمين.. أطلعه على سره..  
سينتظرها بعد الدرس ليخبرها بكل شيء.. يخبرها عن إعجابه بها..  
ولكنها لم تأت.. هذا اليوم بالذات لم تأت.. ولم يأت أحمد.. أحمد  
إبراهيم عبد الباقي.. فهم سريعًا.. أن صديقه كان قد سبقه إليها..  
لم يفهم قط لماذا هي بالذات.. لماذا يصصر على أن يسلبه كل ما  
لديه؟

قرر أن يفضحه.. يخبر الجميع أنه قد غدر به.. طالبهم بمقاطعته..  
قرر التحدي.. أنا أو أحمد إبراهيم عبد الباقي.. عليكم أن تختاروا..  
من صادق فليس لي بصديق.. ومن قاطعه فهو الصاحب بحق.  
لم يصدقه أحد.. اتهمه الجميع أنه اشتعل منه غيرة.. قالوا له إنها  
تحب أحمد منذ التقيها.. وأن الجميع يعرف ذلك.. لماذا لا تتركهما  
في حالهما؟..

ولكنه يذكر ويوقن أنها بادلته بالإعجاب.. ألم تبتسم له عندما كان  
يسترق إليها النظر أثناء الدرس؟.. ألم تستجب لنظراته؟.. ألم تلمح

له بإشارتها؟.. لماذا انقلبت عليه؟. لماذا التصقت بشباكه اللزجة  
كحشرة ساذجة تسقط في شباك عنكبوت؟..  
حسنًا.. إذا كانت هي حشرة فليسحق ذكراها وذكراها..  
كان هذا هو رأي أمه..

يا بني ليست تلك أميرتك.. وهؤلاء ليسوا صحبتك.. لقد وقالك الله  
شهرهم.. هم عبيد الطين.. انساقوا وراء لمعان زائف.. أنت من  
خسروه.

طيبة أنت يا أمي ككل الأمهات أو أكثر.. لم تستطيعي مواجهة  
الحقيقة.. ابنك خائب تمامًا.. كم عام مضى وهو ما زال يصارع من  
أجل صديق.. واحترق مرارًا وتكرارًا..

أمي.. أنا لن أَلعب معهم.. لقد مللت منهم.. سيكون لي لعبتي.. لا  
تقلقي.. لطالما استطعت أن أجد لي لعبة تلهيني عنهم وتلهيهم عني..  
لا أحتاج لأحد.. أنا لست ساذجًا.. كل تلك الأمور التافهة لن  
تفقدني ذاتي.

أمي.. سأحيي عبد العزيز مرة أخرى ليكون صديقي..

- لكنه مات يا بني.

- أعلم يا أمي أنه قد مات.. ولكنني أحبه.. هو الذي أحبني من  
دونهم.. سأكتفى به صديقًا.. سأبحث معه عن أميرة تستحق  
صحتي.

- سيقودك هذا للجنون..

- ألم تعلميني يا أمي أن الخيال فرسي الذي أمتطيه؟

- الخيال إذا لم تروضه ساقك إلى الجنون.. أخشى عليك منه.
- أنت معي يا أمي.. سنروض الخيال سويا ..
- هذا الجنون بعينه!
- هل تتذكرين لعبتنا؟
- أيهم فهم كثر؟
- هل تتذكرين يوم اشتريت لي البالطو الأبيض.. وأخبرتني أنه سيكون صديقنا؟.. كانت فكرتك.. كلما أراد أحد منا أن يحكي للآخر تبادلنا..
- سأحكي لك يا أمي عن كل شيء.. فإذا فرمني فرس الخيال روضته لي يا طبيبتي.. من علمك هذه اللعبة يا أمي؟
- جدتك.. قبل أن تمرض.. أخبرتني أنها تريد أن أحكي لها عن كل شيء.. فلما خجلت اخترعت هذه اللعبة.. حكيت لها عن أبيك ففرحت وحاربت كل شيء لتزوجه لي قبل أن يطعنها المرض.
- أمي أنا أخاف منها..
- جدتك ليس بأطيب منها ولا أحن.
- ولكن.
- أعلم أنها تبدو مخيفة في مرضها هذا.. تتشجج.. تتحدث بصعوبة..
- يقولون إنها ستنسنا قريباً.. ألا يأتون لها بدواء؟!!
- الله الشافي.. الدواء هو ألا تنظر لها بخوف.. فلا يد لها فيما صارت إليه.
- هل ستصيرين مثلها.. وأنا أيضاً؟

- الله العليم القدير.
- ولكن الله طيب يا أمي لا يرضى لنا شرًا..
- عسى يا ولدى أن..
- نكره شيئاً وهو خير لنا.
- أنت ولدى الذي أحبه.
- كيف فقدت النطق يا أمي؟.. لماذا لا تحاربين لتنطقي؟
- لا تُحمل نفسك ما لا طاقة لك به.. فلكل منا طاقة وقد نفذت طاقتي.. كنت أريد أن أقاوم أكثر حتى أسمعك بصوتي ما حييت أني أحبك.. ولكني وهن النطق مني.. وانكوى لساني صمتا..
- وأبي؟
- لا يا بني.. قد سامحته وإن كان ذلك قد ثقل علي.. الرجال مسحورون بالنساء.. وأنا لست ساحرة.. أمك في سوق النساء لا تساوي.
- أنت ملكة نساء الأرض.
- عل الله يعوضني في جنته.
- ولكنك كنت تحبينه ويحبك..
- الحب إن لم يُرَو مات كأى شيء.
- هل عليّ أن أحب رباب؟
- وهل هذا سؤال له إجابة عندي؟!.. ولكني أسألك هل هي جميلة؟
- لا أعلم ولكن هناك من هن أجمل منها.. ولكنها مختلفة..

- إن لم تكتشف جمالها.. فأنت لا تحبها.
- لا أعلم.. أخشى إن أحببتها أن أفعل كما فعل أبي وأخونها مع من هي أجمل منها..
- فرت دمعة منك يا أمي.. كم أنا قاسٍ؟!
- لا تحزن أنا أعلم أنك ما قصدت إهانتي..
- أنا لا أشعر أنك فقدت النطق.. أنا أحادثك أفضل من ذي قبل!
- عسى أن تكرهوا شيئاً..
- هل قربنا صمتك من بعضنا البعض أكثر؟
- لا ولكني أصبحت أرى بقلبي وأنطق.. وأنت حبة قلبي.. زاد تواصلى معك.
- صمتنا طويلاً وإن تحادثت عيناها.. حتى قطعت صمتها بمنظرة فهم منها قولها..
- ماذا عن عبد العزيز؟
- سأعتبره معي في كل لحظة سأحدثه كما أحادثك.
- ولكن احذر.. فهو شقي..
- نعم ولكنه يسري عني ويهون عليّ حزني ووحدي.
- زُين للناس حب الشهوات يا بني ..
- لا تخافي أنا كنت أشاهده فقط لم أفعل يوماً مثله.
- ألم يكن لك صديق آخر؟.. عمار وكان لك أيضاً ذلك المريض..
- هيثم.
- هيثم اختفى يا أمي.

- وعمار؟
- عمار طيب.. لكنه ليس براقا ولا جذابًا كعبد العزيز.. كما أن هيثم المريض اختفى يصارع مرضه في مكان ما.
- هل هناك ما تخفيه عني؟
- نعم يا أمي.. كان عمار حقيقيًا.. ولكن صداقته أنا اخترعتها.. عمار كان حقيقة.. كان ولدًا منطويًا يجلس وحده.. شعرت أنه مثلي ولكنني خشيت مصداقته حتى لا نصير اثنين تعيسين.. ولكنني أحببته فتخيلت في لعبة اخترعتها أنه يأتي إليّ في الحصص الفاضية فأكتب له كلمات في كراسه الصغيرة ولكنه لم يأت لي ولا مرة.. صداقتي به لعبة اخترعتها.
- أنت مجنون!
- ضحكا سويا..
- كان عليك أن تذهب إليه حقا.. لا أن تتخيل أنه جاء إليك.
- عبد العزيز كان أقرب لقلبي.. اسمعي لي أن أتخذه صديقي.. سأحبيه في قلبي ليؤنسني.
- أرايت من اتبع إلهه هواه..
- لا أفهم!
- ستفهم يومًا.
- كنت أتمنى أن يصادقني هيثم ولكنه اختفى.
- كان عليك أن تذهب إليه في مرضه.
- فعلت يا أمي.. وكانت هذه هي مغامرة عبد العزيز الأخيرة.



## ٦

## مغامرة عبد العزيز الأخيرة

أمسك بالخمسين جنمها.. نظر إلى أبيه الذي هزله رأسه وقال:  
- يلا مبروك الأجازة.

ذهب إلى أمه.. أشارت إليه أن استمتع بوقتك.. فكر أن يدعوها للخروج معه ولكنه يعلم أنها سترفض، نظر لها.. وفهم ما ستقوله.. ستخبره أن عليه أن يذهب الآن..

كانت أمه قد فقدت النطق منذ بضعة أشهر.. كان يدرك تمامًا أن هناك أمرًا جليلاً ولكنه لم يكن يعلم.. هل أمه بهذا الوهن؟!.. تفقد النطق لمجرد أن علمت بخيانة زوجها لها..

يبدو أن هناك بواطن للأمور ترفض أمه الإفصاح عنها، حتى عندما حاول أن يرتدي لها البالطوكي تعترف له راوغت..

كان مترددًا.. يمسك بالخمسين جنمها وقلبه يرقص طربًا.. إحساس جديد تمامًا.. سيسمح له اليوم بأن يحمل الخمسين جنمها ليخرج بها ويقضي من الوقت ما يشاء.. ولكن في ذات الوقت هل يخرج ويترك أمه لحزنها؟..

نظر لها.. فنظرت له.. حرك شفثيه أن أحبك.. فابتسمت وحركت شفثيها أن أحبك.

لا يعلم متى ولا كيف تعلم أن يخاطبها دون أن يحتاج أن تنطق..  
فجأة كما اخترع كل الألعاب التي قضى بها على مشاكله.. اخترع  
لعبة جديدة.. تمكن بها من التواصل مع أمه.  
أحيانا يحركان شفاههما ليتحدثا، وأحيانا تطول النظرات بينهما  
فيفهم ما تريده ويندمج معها في حوارات ويحكي لها كل تفاصيله..  
لم يشعر لحظة أن أمه قد صمتت.. بل يشعر وكأنما بدأت لتوها  
في النطق.. وكأن صمتها كان فتحا له لعالمها وفتحًا لها لعالمه.  
قبل أن تصمت أمه لم يكن يحكي لها كل شيء، كان أحيانا يضطر  
للمراوغة حتى أثناء لعبهما لعبة الطبيب النفسي.. كان يخشى أن  
تلومه.. ولكنها الآن أصبحت أكثر تفهما له وأكثر انفتاحًا على عامله  
الخاص الذي بناه لنفسه.  
اعترف لها بكل شيء..  
أنه في الابتدائية كان يدعى المرض.. والآن في الإعدادية كان يختبر  
قصصًا عن هيثم زميله كي يستمتع بصحبة أصدقائه.. وعن عبد  
العزیز وعمار..  
وحكى لها وهو يبكي عن لحظاته التي قضاها في حمام المدرسة  
وحيدًا لا صديق له إلا كيس الحلوى، وعن جريه في الفسحة بلا  
هدف مدعيًا سعادته..  
لو كانت أمه تنطق لما استطاع أن يعترف أمامها بكل خيبته تلك..  
ولكنها الآن تحنو عليه، فعندما يحدثها عن كل ذلك يجد منها ما  
يهون عليه..

كيف وجد لغة التواصل تلك؟.. لا يعلم ولكنه وجدها..  
وكأن صمتها كان نعمة عليه.. فأصبحت أمه صديقه الآن..  
يتخاطبان بلغة لا يعلمها سواهما.. لغة تخرج من قلبه إلى عينه  
فتتلقاها عيناها إلى قلبها.. لترد عليه كما خاطبها من القلب إلى  
القلب..

ويستلان حديثهما وينهانه بتحريك الشفاه.. أن أحبك.. وأنا أيضا.  
نظرت له أمه مشجعة أن اخرج واستمتع بيومك هذا.. نظر لها أن  
سأستمتع من أجلك..  
ابتسمت له.. وقام فاحتضنها فاحتضنته.. بللت كتفه بدموعها..  
فمسح خديها..

- أنا خارج مع عبد العزيز.. أنا ناوي لما أدخل ثانوي أقطع علاقتي  
بكل اللي فات وعبد العزيز أولهم.. أنا أول ما هدخل ثانوي هتغير  
يا ماما.. أنا أقدر أخلى الدنيا كلها تحبني يا ماما.. أنا هعمل ثورة  
عليها.

ابتسمت له وقالت:

- أنا أثق بك.. اذهب الآن واستمتع..

خرج من البيت..

فإذا به يجد عبد العزيز.. واقفا أمام باب عمارته.. يقف أمامه  
برأسه الصغير الشيطاني.. قصير القامة له شعر قصير.. تنطق  
عيناه بالحماس.. ارتدى قفازا يبرز أنامله.. فإذا به يمد إليه يده

بقفاز مماثل تناوله منه.. فإذا بعبد العزيز يشير بإبهامه وقد طوى أصابعه الأخرى في قبضته.. أشار بإبهامه أن انظر خلفي.. نظر خلف عبد العزيز فوجد دراجتين قد ارتكبتا إلى حائط.. - اختار..

لمعت عيناه.. إذ لم يتوقع هذه المفاجأة.. دراجة.. فكرة لم تخطر بباله.. لم يكن هناك مجال واسع للاختيار إذ تشابهت الدراجتان تمامًا، إلا أن واحدة ربط إليها خوذة بلاستيكية.. نظر إلى عبد العزيز عاجزًا عن التعبير عن أي شيء هل يشكره؟.. هل يقول له أنت أعز أصدقائي؟ سيكون ذلك سخيًا، كيف يقول ذلك وهو يعلم أن هذا اليوم هو آخريوم له مع عبد العزيز؟!.. كيف يخبره أنه أعز أصدقائه وهو قد انتهى من وضع الخطة والقرار حيث لن يعرفه بعد هذا اليوم وسينتقل لحياته الجديدة في المدرسة الجديدة؟!.. بالإضافة إلى أن الكلمة سخيّة حقًا.. أعز أصدقائه!!.. وهل يملك أصدقاء؟!..

بادله عبد العزيز النظر.. فلما وجده لا يحرك ساكنًا أخذه من يده وقال:

- بتعرف تسوق ولا أركبلك سنادات؟
- ضحكا ببراءة ولكنه أخبره أنه يعرف.. انطلق قائلًا:
- كنت بأجر عجلة زمان وألف بيها الشارع كله.. بس كنت بزهبق..
- نظر لعبد العزيز وقد غلف حماس صوته الأسمى..
- كنت بزهبق عشان كنت ببقى لوحدي.

قفز عبد العزيز إلى الدراجة التي تحمل خوذة فارتداها وهو يمتطيها وضرب مسند الدراجة بكعب قدمه.. ثم قادها وهو يلف حول نفسه وكأنما يرسم دائرة خيالية حوله.. ثم أمسك بفراملها بعنف فجأة وهي بمحاذاة صديقه الذي وقف مشدوها متأملاً.. فإذا بها ترسم خطأً على الأرض..

نظر له عبد العزيز بفخر.. ثم انطلق بالدراجة بضعة أمتار مبتعداً عنه ثم دار بها بحدة فإذا بها ترتد متجهة نحوه بسرعة شديدة حتى ظن أن عبد العزيز سيصدمه.. تجمد في رعب.. وإذا بعبد العزيز تتعالى ضحكاته وهو قادم نحوه بسرعه الكبيرة.. كاد أن يبتعد عن طريق عبد العزيز ولكنه تعثر في قدميه وسقط أرضاً..

وما كاد عبد العزيز أن يصدمه.. إذا به يضغط فرامل العجلة بقوة ويحلق بظهره إلى الخلف ويرفع مقود الدراجة لأعلى، فإذا بمقدمة الدراجة ترتفع إلى الأمام لتبدو كحصان رفعه صاحبه لأعلى..

أصدر عبد العزيز صوت صهيلة الحصان ثم مد شفتيه ورطمهما ببعضهما البعض مقلداً الحصان..

ثم أنزل الدراجة أرضاً.. وسار بها بتؤدة وخيلاء.. نظر إلى صديقه الذي شحب لونه..

- ماتخافش.. من النهارده مش هتبقى لوحدك..

اقترب منه ثم مد ذراعه فأمسك بها ونهض..

- عبد العزيز..



وانطلقا بدراجتهما.. لا يعرفان لهما وجهة.. فقط تتعالى ضحكاتهما الهيستيرية.. وهما يتفاديان الناس والسيارات.. وينحرفان بدراجتهما بلا حساب يمينا ويسارًا.. يصطدم الهواء المنعش بوجهيهما.. فيزيدهما حماسًا.. لم يعلما كيف مر الوقت حتى انتصف النهار ظهرًا وتحول لمعان الشمس إلى حدة وحرارة، وكأنما تفاعلت معهما.. ضربتهما الشمس في أعينهما وبللت جباههما سيول العرق.. وامتد العرق ليغطي ظهورهما.. توقف عن القيادة.. وكأنما نهته الشمس..

- عبد العزيز..

- سيدي..

كانت ضربات قلبه تعزف سيمفونية جنون مع أنفاسه المتلاحقة.. فخرجت ضحكته متقطعة.. وقال بصوت متهدج:

- سيدي مين يا عم.. أنا شحرت.

- مولاي..

- مولاي مين يا عم إحنا بعدنا أوي.

- هذا شأن الفرسان.

حاول السيطرة على أنفاسه.. وعلم أنها اللحظة التي عليه فيها أن يختار هل يتمادى في اللعب أم يعي الواقع وأن ما يمتطيانه ليس سوى دراجتين لا يعلم أصلا من أين أتى بهما عبد العزيز.. وأن الخوذة التي يرتديها عبد العزيز ليست سوى خوذة بلاستيكية.. كان عليه أن يختار هل ينهي الأمر أم يستمر في التقدم لغزو العالم.

- الشمس.

قالها وكأنما الجملة انتهت.. نزل عبد العزيز من دراجته وتقدم نحوه.. خلع الخوذة..

- مولاي.. هي خوذة لا تليق بك ولكن الشمس شديدة يا سيدي.. هل تسمح لي؟

لم يتعجب ولكنه وكأنما غاص في اللعبة فجأة فقال بلهجة الملوك:  
- أنت مخلص يا عبد العزيز..

تناولها برفق ووضعها على رأسه وكأنما يضع تاجًا.. ثم مد يده منتظرًا أن يمسكها عبد العزيز.. فما إن أمسكها حتى نزل من دراجته كملك ينزل من عربته الملكية.. سقطت الدراجة أرضًا..

- قد الفرسين خلفي.. قررت أن أمنحك عطية ملكية مكافأه لك على إخلاصك.

استجاب عبد العزيز وأتى بالفرسين أو الدراجتين وجرهما خلفه وسار حريصا على ألا يسبق خطوته..

فهما أن هذا المشهد كان بمثابة اتفاق ضمني على قبول اللعبة وقوانينها التي خلقت نفسها بنفسها.. وأن كلا منهما رضي بدوره..

نظر إلى عبد العزيز ودار في ذهنه أن هذه اللعبة هي أول لعبة يمارسها مع أحدهم.. تذكر لعبته التي أدى فيها دور المريض في الابتدائية ولعبة الجري بلا انقطاع في فسحة مدرسته الإعدادية ولعبة الاختباء في الحمام وتنظيم وقت الفسحة المتبقي مع ما لديه من حلول.. كل الألعاب التي كان يخترعها ليمرر الوقت وحتى لا

يواجه نفسه ويعي الآخرون معاناة وحدته.. تذكر أمه المسكينة التي فقدت النطق تذكر تحاورهما الصامت.

انتبه عبد العزيز لتوقف سيده وأنه أطل إليه النظر..

- مولاي هل يمكن لي المساعدة؟

نظر له برفق وقال:

- أنت عارف إن أنا مبسوط أوى.. ودي أول مرة أتبسط فيها كده.

وكل أن كل سعادة الدنيا قد تزامت على وجه عبد العزيز.. فبكى بتأثر..

- بجد؟

- بتعيط ليه يا عم أنا بقولك مبسوط!

- أصلي كنت بحس في المدرسة إن أنت مش بتحبني وأنا كنت

فاهم وعارف أنت بتبعد عني ليه عشان يعني أنا كل العيال

بتقول عليا غريب ومجنون في المدرسة.. مش عارف أنت كنت

خايف مني ولا مش عايز تصاحب الواد الغلس اللي كل العيال

بتطرده من اللعب.. أنا ماكنتش بزعل منك.. بس اللي كان مش

بيزعلني منك إنى عارف إنك مش بتحب تصاحب حد مش

موضوع أنا يعني.. أنت ماكنتش بتحب تلعب مع العيال كلها

..وعندك حق دى عيال عبيطة.. ما بيعرفوش يلعبوا..

نظر له متعجبًا ثم قال:

- الحقيقة يا عبد العزيز.... أنا ما حدش جرب يلعب معايا وأنا

اعترضت

أنا مش بعرف أصحاب حد عشان كده كنت بضطر ألاقى حاجة  
أعملها عشان ماتخنقش فكنت بلعب لوحدى.  
نظر لنفسه وهو يعترف بكل بساطة بما لم يُحدّث به أحدًا ولا  
نفسه من قبل.. صدمه اعترافه على نفسه فندم.. اقترب منه عبد  
العزیز..

- مولاي.. أهو أدینا بنلعب سوا.. مش كده أحلى؟  
هز رأسه أن نعم ثم اعتدل في وقفته.. وأخرج من جيبه الخمسين  
جنهما.  
- العطية الملكية..

ثم انطلق نحو كشك على ناصية الشارع.. وجر عبد العزیز الفرسين  
خلفه.. دخل إلى الكشك ففتح ثلاثة المياه الغازية.. أخذ يتحسس  
الزجاجات.. حتى استشعرت يده برودة زجاجتين.. فانتماهما.. رفع  
الزجاجتين في الهواء..  
- فلنحارب الشمس.

نظر كل منهما للآخر وكأنما فهما في لحظة أن هناك لعبة صغيرة  
ستبدأ الآن.. ترقب كل منهما فعل الآخر.. ثانية أو نصف ثانية  
ينظران إلى بعضهما البعض يتحسس كل منهما تحرك الآخر.. ثم  
تحركا فجأة يسابق كل منهما الآخر.. ولكنه وصل قبل عبد العزیز  
إلى فتاحة المياه الغازية. ففتحها.. فلحق به عبد العزیز وفتح  
زجاجته.. نظرا إلى بعضهما البعض.. أخذ كل منهما شهيقا واسعا..  
ثم تسابقا يتجرع كل منهما زجاجته.. حتى انتهيا منها في وقت واحد..



- سيدي.. فرت الشمس.. لقد انتصرنا.. إنها تفر هاربة إلى الغرب..  
مولاي ملك مملكة الشرق.. هنيئا لك النصر.
- نزل من على فرسه.. تقدم أمام عبد العزيز.. تمشى وكأنما يتفقد  
الموتى في المعركة.. ثم عاد فربت على ظهر فرسه.. وأدار الجرس  
فأصدر الفرس صهيلته.. قبل رأس عبد العزيز.. ثم خلع قميصه  
ووضعه على الأرض وخر ساجداً..
- الحمد لله الذي أتم علينا النصر..  
ضحك عبد العزيز ثم قال له:
- والآن يا مولاي ألا نحتفل بالنصر؟  
أخرج من جيبه باقي الخمسين جنهما.. ثم قال لعبد العزيز:
- معك حق.. وغنيمتنا كبيرة..
- اسمح لي يا سيدي أن أكون دليل رحلتنا حتى أقود مولاي إلى  
حفل الانتصار.
- أذنت لك.
- تقدم عبد العزيز ثم نظر إلى صديقه..
- ورايا..
- انطلقا ولم يمض وقت طويل حتى وصلا إلى حديقة كبيرة.. أشار له  
عبد العزيز فدفع تذكرتي الدخول.. انطلقا حتى وصلا إلى مكان  
اجتمعت فيه الأشجار وتشابكت..
- رحلة صيد يا مولاي.
- نظر له لا يفهم فهز عبد العزيز رأسه..

- لا تقلق يا مولاي.

تقدما سوياً على أقدامهما جارين معهما الفرسين.. ثم جلسا بجوار شجرة.. أخرج عبد العزيز من جيبه سيجارتين قدم إحداهما له..

- لا أنا ماليش في كده..

لم يلح عليه عبد العزيز.. فأشعل لنفسه سيجارة..

- الآن علينا التخلص من الخيل.. بعيداً عن مكان الصيد..

لم يفهم ما يريد ولكنه تبعه فإذا به يربط الدراجتين إلى شجرة بإحكام وأغلق عليهما قفلا.. جلسا بجوار الشجرة حتى انتهى من سيجارته.. ثم قال له عبد العزيز:

- علينا أن نجتمع الحصى والطوب الصغير من أجل رحلة الصيد.

لم يرد أن يفسد اللعبة الجديدة فلم يستفسر من عبد العزيز عن مقصده، ولكنه ذهب معه يجمعان الحصى والطوب، وصحح له عبد العزيز أكثر من مرة اختياره حتى فهم أن عليه أن يختار حجماً معيناً ليس كبيراً فيتسبب في مقتل الفريسة أو إصابتها ولا صغيراً جداً فلا يكون ذخيرة جيدة لهما.. جمعا ذخيرة كبيرة وحملها معا في الخوذة.. ثم جلسا سوياً يعيدان فرز الذخيرة.

كرر عبد العزيز عزمته فرفض فدخن عبد العزيز وحده سيجارته الثانية..

ما إن انتصفت السيجارة حتى قام عبد العزيز فأمسك بها بين سبابته وإبهامه.. ثم كور يده وضرب السيجارة بإصبعه الوسطى.. فتراقصت في الهواء رأساً على عقب عدة مرات مجتازة عدة أمتار

ثم سقطت صريعة على الأرض وقد انفصل رأسها المشتعل عن جسدها المحترق..

نظره بانهار لم يستطع أن يخفيه وقال:

- والآن يا عبد العزيز ماذا سنصطاد؟

ابتسم عبد العزيز في ثقة وقال:

- اتبعني ولا تسألني.

كاد أن ينطق ولكن الثقة التي نطق بها عبد العزيز الكلمة ألجمته فسار خلفه.. وهو يشعر أنه لم يعد الملك الآن وأن الدور قد تغير فصار عبد العزيز ملكا..

لم يشعره ذلك بالكثير من الضيق ولكنه فضل أن يتنازل عن عرشه الآن مادام عبد العزيز هو الأكثر خبرة في الصيد.. ولكن فجأة توقف عبد العزيز وأشار له بالصمت واضعًا سبابته على فمه فقال:

- ما أنا ساكت أهويا عم.

- هششش.. مولاي عليك بالحرص يجب ألا يرانا أحد.

تعجب من قوله فقد بدأ يعيد له المنصب فأكمل عبد العزيز:

- مولاي.. أنا إن كنت أقود الرحلة الآن فهذا من أجل سلامتك..

ليس الصيد سهلا.

تعجب منه.. كيف قرأ تساؤله فكاد أن ينطق مستفهما ولكن قاطعه عبد العزيز:

- اتبعني ولا تسألني.

اختبئاً خلف شجرة كبيرة وأشار عبد العزيز إلى شاب وفتاة  
يجلسان تحت شجرة أخرى بالقرب منهما.. كانت الفتاة قد أراحت  
رأسها على كتف الشاب وأمسك هو بيدها مقبلاً إياها..  
- اجهز.

قالها عبد العزيز أمراً وقد أمسك بطوبية صغيرة من الخوذة وأشار  
إليه ليمسك بذخيرته..

- هنصطاد دول؟!!

نظر إلى عبد العزيز متسائلاً فامتعض عبد العزيز وقال:

- التردد يُمكن الفريسة من الهرب.. انتظر الإشارة.

حمل عبد العزيز خوذة الذخيرة بعد أن ناوله نصيبه من الذخيرة  
طوبية واحدة وجرى إلى شجرة أخرى وأشار إليه أن يبقى مكانه..  
كانت الفريسة في هذه اللحظة بينهما.. فكان عبد العزيز على يمينها  
أما هو فكان ما زال على يسارها..

أشار إلى عبد العزيز وهو يحمل الطوبية أن أألقي؟

امتعض عبد العزيز وأشار أن انتظر.. واستمر في متابعة فريسته..  
كان الشاب قد وضع يد فتاته على الأرض.. ومال برأسه نحو رأسها  
وهو يداعب بأنامله خدها الذي التصق بوجهه.. أشار عبد العزيز  
أن استعد، وما إن اقترب الفتى بشفتيه من الفتاة ليقبلها حتى  
أشار..

- هجووووم..

فرمى كل منهما بذخيرته نحو الفريسة.. لم يكن الأمر يحتاج إلى تنسيق أو سابق اتفاق.. إذ فر كل منهما بمجرد أن لمحهما الشاب والفتاة.. لم يستغرق الأمر سوى لحظات منذ وقع الطوب الصغير بعضه بجوار الشاب والفتاة والبعض الآخر عليهما.. حتى انتفضا.. كان على شفا تقبيل فتاته ولكن فجأة انتزعه من قبلته سيل الطوب والحصى.. في البدء انتفضا وقد فزعا ولكن بعد أن انتبها إلى مصدر الطوب حتى انهال الشاب عليهما بسيل السباب وأخذ من الحصى والطوب ودخل معهما في غارة مضادة. ولكن عدويه قد وليا ولاذا بالفرار.. فلم يجد بُدًا من التوقف مفكرًا في لمّ الأمور فهو في موقفه لا يريد أن يأتيه أحد الحراس أو الجنائنية في الحديقة.. ثم انشغل مرة أخرى مع فتاته.

هذه اللحظة التي لم تدم طويلا كانت كفيلة بإغراقهما في نوبة ضحك هستيرية وهما يلوذان بالفرار.. كان الدمع يسيل من عينيه وهو ينظر لعبد العزيز.. ضاحكًا ضحكًا هستيريًا لم يستطع إحكام سيطرته عليه فيوقفه أو حتى يضبط من إيقاعه.. كانت أنفاسهما تتسارع وقد اندفع الأدرينالين في دمهما.. فأوقد النار وأشعلها في دمائهما فكأنما أعينهما قد برقت من فرط الطاقة.. كانت عيناه تلمعان بقوة وهو يحاول إخراج كلماته من شفثيه اللتين خرجت منهما أنفاسه متلاحقة..

- إحنا شكلنا هناخذ علقه لوز.

مال عبد العزيز بجذعه للأمام مستندًا بكفيه على ركبتيه محاولاً  
تنظيم أنفاسه قائلاً:

- انتهى الصيد.. يالا.. إلى المعركة.

- يا عم ناخذ نفسنا!

- مولاي.. هذه المرة غارة كبرى سنقضي بها على أعدائك المتربصين  
بمملكتك .

- أعدائي؟!!

- طبعاً.. تحب ندمر مين من أعدائك؟..

- أنا ما عنديش أعداء.

نظر له عبد العزيز مطولاً ثم أجلسه على الأرض قائلاً:

- أنت لسه حاسس إنك وحيد؟

باغته السؤال فلم يرد فكرر عليه السؤال فلم يجد سوى أن قال:

- مين قالك إني وحيد؟ أنا ليا صحاب.. وفي البيت فيه بابا وماما  
وكمان عمتي بتيجي تقعد معانا في الصيف وفي أجازتها لما بتيجي  
من الخليج.

قام عبد العزيز ورسم خطاً بينه وبين سيده كما أسماه..

- سيدي مادمت تريد هذا الخط الفاصل بيننا دائماً ولا تعتبرني

صديقك.. فأنا لن أمسح هذا الخط.. أنا عارف كويس أوى إنك

بتحاول متبينش لحد صداقتنا.. أنا مقدر.

حاول الاعتراض ولكن عبد العزيز أسكته وأكمل:

- أنا مقدر وفاهم.. صدقي مش فارقة معايا. بس أنا شايفك صاحب وعشان كده النهارده أنت ليك الحق إني أعملك أي حاجة أنت نفسك فيها.. مادام مش هنبقى صحاب من بكرة.

- ليه بس إحنا أكيد هنبقى صحاب؟

- لو عايز نبقى صحاب امسح الخط اللي بيننا ده.

قام ليمسح الخط ولكن عبد العزيز أشار إليه بالتوقف..

- فكرتاني..

أكمل ما هم بالبده به ومسح الخط..

- أنا آسف لو ماكنتش صاحب كويس يا عبد العزيز، بس أنا طول عمري ماكانش ليا صاحب وماكنتش متخيل إنك صاحب جدع أوى كده.

أمسك بالخوذة.. وأعطى لعبد العزيز ذخيرة..

- أنا ماليش أعداء تعالى نكمل صيد.. يالا نعمل رحلة صيد متعملتش قبل كده..

اتفقا على الخطة ونفذاها..

انطلقا ليصطادا الثنائيات المنزوية تحت الأشجار يصطادون القبلات والأحضان المسروقة.. انطلقا في غارة موسعة.. امتلأت الحديقة منهما صخبًا وهما يقطعانها جريًا من أقصاها إلى أدها.. لم يكفا عن صيدهما الفرائس حتى قام بعض الجرحى من

فرائسهم مطاردين إياهم يريدون القصاص.. فجأة انقلب الأمر.. إذ أصبحا مطاردين..

فجأة أصبح الأمر جاداً.. هناك من يسعى خلفهما.. ولكنهما نفذاً الخطة فانطلقا في جهتين مختلفتين.. وصل عبد العزيز أولاً إلى مكان الدرجتين ففك قيدهما.. ولحق هو به فامتطياها.. وفرا ووليا أدبارهما.. وهما يسمعان الصيحات والسباب من خلفهما.. جاوا باب الحديقة بدراجتهما وعبرا الشارع وأسرعاً هارين.. انطلقا يخترقان الطرق بمهارة حتى وصلا إلى ذات الكشك..  
نزلا من دراجتهما..

- ماعتقدش أبويا اتشتم في حياته أد ما اتشتم النهارده.

قالها عبد العزيز ومرت لحظة صمت ثم فهم مقصده فانفجرا ضاحكين..

- الحقيقة إحنا أهالينا اتهمزأت النهارده.

ضحك كل منهما.. فذهب وأتى له ولصديقه بالأيس كريم.. فأمسك كل منهما ببسكويتة عظيمة بدت ككأس يحمل كرة اختلف ألوانها؛ هذه شيكولاتة بنية وذاك حليب أبيض بينهما لونا المانجو والفراولة وقد امتزجا يزين كل ذلك حفنة من المكسرات.. نظر عبد العزيز للأيس كريم العظيم وقال:

- نخب النصر..

ضحك ثم قال:

- أول مرة أتبسط كده.

لم يعلق عبد العزيز ولكنه ابتسم ودفن ابتسامته في فانيليا الأيس الكريم المكورة.. ثم مال بجذعه مطوحًا ذراعه في الهواء ثم أنهى الحركة منحنيًا ضامًا ذراعه لصدره..

- تحيتي يا مولاي.. دلوقتي مع مفاجأة الفسحة..

- هو لسه فيه مفاجآت!؟

- أو مال..

قالها عبد العزيز وانهمك في لعق كرة الأيس كريم وملاحقتها وهي تخر من جميع الجوانب.. مستمتعًا بها ومستمتعًا أكثر بإثارة فضول صديقه الذي ألح عليه ليخبره بمفاجأته.

لم يعره عبد العزيز انتباها وظل منهمكا في ملاحقة خيوط الأيس كريم التي تنساب على جانبي البسكويت المقرمش.. وما إن انتهى حتى مسح شفثيه بكمه فما حدث إلا أن زاد اتساخ شفثيه من بقايا الأيس كريم بمزيج منه ومن التراب والعرق..

- أنت ليه محسس الناس كلها إنك صاحب هيثم؟

قالها عبد العزيز ببساطة شديدة ولكنها وكأنما خرجت لتزلزل أذنيه وتلجم لسانه فلم يجد ما يرد به.. فأضاف عبد العزيز وكأنما يستمتع أكثر:

- خلى بالك أنا عارف إنك ولا تعرف عنه أي حاجة.. وإنك عامل نمرة قدام العيال.. بس عشان أنت صديقي أنا مارضتش أسيلحك.

شعر أنه يجب الآن أن يضيف كلمة ولكنه لم يجد.. فأنقذه عبد العزيز وقال:

- بص أنا عارف إنك قعدته جنبك ورحبت بيه يوم ما جه المدرسة عندنا بس ده مش كفاية.

وجد هو فيما قال مدخلا لأي شيء يقوله..

- أيوه أنا الوحيد اللي رحب بيه.. هيثم شكله طيب وغلبان وأنا صعب عليا إن العيال كلها مارضتش تقعه جنبها.

نظر له عبد العزيز ساخرًا واقترب منه قائلاً:

- صعب عليك!.. عمومًا هو لو كان صاحبك بجد كنت سألت عليه..

- مارضيش يديني رقم تليفونه بيقول باباه مش راضي.

- وده ماخلكش مستغرب ليه هيثم باباه مش راضي؟ مسألتش

نفسك أصلا عيل ابن ناس زي ده إيه جابه مدرسة حكومية

عندنا؟.. ويعنى إيه بيعي كام يوم متقطعين ويختفي؟

- أنا أكيد سألت نفسي كل الأسئلة دي بس هجاوب عليها إزاي وأنا

أصلا ماعرفش أوصل له ولما كان بيعي كان بيستكت دايمًا.

- بس مش عبد العزيز اللي تفوت من تحت إيده حاجة زي دي..

- يعنى إيه؟

- يعنى أنا كمان زيك.. حبيت الواد ده وصعب عليا.. وقلت بدل

مانبقي اتنين.. ليه مانبقاش ثلاثة؟!

- أنت تعرف توصل له؟

لم يرد عبد العزيز وإنما قفز على عجلته وأشار إليه أن يلحق به..  
وانطلق فلم يجد سوى أن يتبعه.

قال عبد العزيز وهو يزيد من سرعة الدراجة:

- لما تحب يبقالك صاحب بجد.. اعمل المستحيل عشان تثبتله  
إنك صاحبه.. مش تنطشه كده.. هيثم يستاهل منك أكثر من  
كده يا مصلحجي أنت.

حاول أن يدافع عن نفسه ولكنه ما كاد أن يرد حتى انطلق عبد  
العزيز بأقصى سرعة فلم يستطع أن يتكلم وإنما ركز كل طاقته في  
ملاحقته.

مرت ساعة كاملة منذ وصلا إلى منزل هيثم.. ساعة كاملة ملأت  
قلبه بما لم يتعود من قبل.. كان يجزم أنه قبل دخوله منزل هيثم  
كان شخصًا.. وبعد هذه الساعة التي قضاها معه أصبح شخصًا  
غير الذي كان.. فهم لأول مرة أبعادًا لم يكن ليفهمها..

فكر في أمه التي فقدت النطق عندما علمت بمرضها الذي ورثته  
عن أمها.. ترى يا أمي أيكما أكثر تألما أنت أم هيثم؟.. لعل لكل  
منكما عذابه الخاص.. هل أحكى لك يا أمي عنه عندما أعود أم  
أنه يكفيك ما بداخلك؟.. أمي هل سأفقدك يوما حقا كما افتقدت  
جدتي؟.. لم يحك لي أحد تفاصيل ما حدث لها.. ولكنهم قالوا إن  
مرضها هذا عظيم ومن الأفضل ألا أعرف.. كان ذلك قبل أن  
يصيبك أنت أيضًا أما الآن وقد أصابك.. فأنا أعلم أن عليّ أن  
أتعلم أكثر عن مرضك وأعي الأمر وأستوعبه تمامًا كما فعل هيثم..

أي قسوة تلك؟.. أن يدرك طفل صغير كل هذا الأمر.. فيتحملة  
ويسير به..

هذه الساعة التي مرت لم أتكلم فيها بكلمة، كان الأمر أكبر من أن  
أتكلم ولكني على الرغم من كل ما وجدته من ألم وأسى في هذا  
المنزل.. ولكني فهمت معنى أن أكون قويًا. هذا الولد قوي.. لم تفارق  
ابتسامته شفثيه طوال الساعة.. وهو يتحدث عن مرضه.. الذي  
حمل مصطلحًا طبيًا ما.. مصطلحًا لم أفهم معناه ولكنه بدا لي  
أيسر من المصطلح الذي أطلقوه على مرض أمي الذي ورثته عن  
جدتي.

قال هيثم وهو يودعنا لدى الباب:

- يمكن أشوفكوا ثاني مية مرة ويمكن دى تكون آخر مرة.. بس  
بجد أنا مبسوط بجنانكوا.. اتجنوا كثير وتعالوا..

ودعنا أبوه واحتضنتنا أمه.. لم أتفاجأ من حضنها الدافئ الذي بدا  
كحضن أمي ولكني فوجئت بي إذ أرتيت على كتفها وأقول:  
- أنا هخلي ابنك أعز صحابي.. أنا وعبد العزيز.

كان يسير بجوار صديقه على أقدامهما جارين معهما دراجتيمهما  
اللتين صاحبتاهما في مغامرتهم.. كان يفكر.. كيف كان هذا اليوم  
غريبًا.. يفكر في صاحب الوجه النحيل والقامة المنحنية ضئيل  
الجسم.. هيثم الذي تركاه منذ قليل.. يفكر هل اليوم نجح عبد  
العزيز في إحراجه؟ إذ بدت له خطته في الانقلاب على أصدقاء  
الإعدادية سخيفة.. وأن عليه أن يتخذهما صديقين.. هل يضم

- إلهما عمار الذي تخيل يومًا أنه صديقه؟.. أم يكتفي بهما؟.. من الصعب بعد ما حدث اليوم أن يستمر في خطته..
- عبد العزيز صديق رائع، فليذهب من ينفر منه إلى الجحيم.
- عبد العزيز عايز أعترفلك بحاجة..
- قال له كل ما يدور بداخله.. ولما فرغ ابتسم عبد العزيز..
- قدامك أد إيه وترّوح؟
- يعنى المفروض متأخرش.
- إيه رأيك في نص ساعة أخيرة؟.. نختم بيها اليوم..
- نص ساعة نعمل فيها إيه؟
- نظير..
- نظير!!
- معاك كام من الخمسين؟
- فاضل حبة حلوين..
- ورايا..
- قفز إلى دراجته وابتعد بها فتبعه.. لا يعلم لماذا لم يستشعر الحماس في هذه المرة.. لم يكن عبد العزيز منطلقا.. وكأن جبلا من شجن أثقل كاهل كل منهما.. هل ذلك بسبب هيثم وما خلفه في نفسيهما.. لا يعلم ولكن المرح الذي غلف يومهما كان قد انطفأ..
- وصار هناك شعور آخر يسيطر.
- وصلا إلى دكان يؤجر الموتوسيكلات.. فزع فسأله:
- عبد العزيز أنت بتعرف تسوق؟

- لأ.. بس مش مشكلة.. دي سهلة جداً.  
- لأ.. أنا مش هينفع أركب.  
- طب اهدى بس.. اركب ورايا ده هي نص ساعة.  
رفض بشدة.. ولكن عبد العزيز أصر..  
ركب عبد العزيز الموتوسيكل، لم يستغرق سوى عدة دقائق يدور  
حول نفسه والدكان حتى بدا له وكأنه يقود الموتوسيكلات منذ  
عشرة أعوام.  
هذا الشيء هو أكثر الأشياء إثارة في يومهما ولكن المرح كان مصرّاً  
على الغياب..  
لا يعلم أين ذهب الحماس.. هل كل ذلك بسبب هيثم أم أن القلق  
قد سيطر عليه فلم يعد منطلقاً كما كان في الصباح؟.. أم أن  
الشمس عندما انهزمت وغابت أرسلت إليهما بجنود الكآبة في  
مغربها فاحتلت صدره؟!  
- مالك؟.. اتبسط..  
قالها عبد العزيز وهو يدور حوله بالموتوسيكل ولكنه لا يعلم لماذا  
لم يستطع أن يتبسط..



حاول وصف ما حدث له كثيرًا.. لم يصل أبدًا للوصف الدقيق.. حاول أن يعبر ففشل وحمل الحقيقة ما لم تكن تحمل.. ولأنه أراد أن يفهم ماذا حدث وكيف حدث، فقد أعاد سرد كل شيء لنفسه مرارًا وتكرارًا فلم يدرك لماذا حدث ولا كيف انتهت الأمور إلى هذه النهايات.. ومن فرط محاولاته لشرح ما حدث لنفسه حتى يعيد اتزانه الذي فقد.. من فرط التبريرات والتفسيرات غابت الحقيقة فما عاد يعلم هل أضاف إلى التفاصيل ما يبرئ به نفسه حتى لا يبدو أمام نفسه أحمق.. أم أن الحقيقة نقصت أشياء تعمد إخفاءها فتسربت إلى عقله الباطن ونسبها عمدًا حتى صارت لا شيء..

الحقيقة أنه لا حقيقة أمامه إلا حقيقة واحدة.. أنه انتهى إلى ما صار إليه وأنهم انتهوا إلى ما صاروا إليه.. لكن كيف حدث بدقة؟.. هذا سؤال صعب! كل شيء حدث في وقته الطبيعي.. ولكنه كلما تذكر الأمر.. تذكره بزمان مختلف.. مرة وكأنها لحظات خاطفة.. مرة وكأن ما حدث قد حدث في دهر.. مرة يشك هل حدث أصلًا..

ابتعد عبد العزيز بالموتوسيكل.. لم يجد بدءًا من مشاركته المغامرة ما دامها شريكين من البداية. "عمو أنا كمان هاخذ موتوسيكل".

نظر..

كان عبد العزيز خارج المشهد.

ركب موتوسيكل صغير الحجم.

خرج به من الدكان راكبًا إياه.. صوته مزعج. لا يقوده ولكنه يركبه

وقد أنزل ساقيه كلاً من جانب وسار على قدميه محرّكًا

الموتوسيكل.

خرج من الدكان.

أصوات..

أصوات أكثر..

دم على الأسفلت.

ازدحام.

مات عبد العزيز!!!!!!

صمت..

ثم صمت أكثر!!

\* \* \*

٧

رباب

بعد كل هذه السنين يأتي.. هكذا بدون مقدمات.. وبدون مبررات..  
فجأة تنشق الأرض فيخرج منها غير عابئ بتوقيت ظهوره.. هل يعلم  
أن أمي وزوجي توفيا بالأمس؟.. بالتأكيد جاء ليعزي.. لماذا لم تثبتي  
يا رباب؟!!

اعتصرني الألم في جانبي.. لم أطق.. الجرح في جانبي وكأنما فتح من  
جديد..

لماذا تبدو كل السيناريوهات ركيكة؟ لماذا تعتمد كل الأشياء على أن  
تتم (فجأة)؟. أبي يعود لأمي فجأة.. ثم يموت.. تقرر أمي أن أتزوج  
فأتزوج.. تموت ويموت زوجي.. بالأمس!!.. وتظهر أنت اليوم!!  
جميلة.. أنا أسفة..

كانت جميلة قد انفجرت فجأة في البكاء.. فاحتضنتها رباب وحاولت  
تهديتها.. هل ما حدث منذ قليل حقيقي أم أن الإغماء عادت  
وتخيلت ما حدث؟.. أم أن كل شيء لم يحدث وسأفيق الآن لأجد  
زوجي وأمي حولي؟.. أولعلي أجد نفسي ما زلت تلك البنت الساذجة  
التي أحببت ذلك الشخص في الجامعة.

هل تتمنين ذلك؟.. الحقيقة أن ما حدث حقيقة!!..

بدليل أنها تسمع الآن صوت الباب بالأسفل وقد أغلقتة كريمة  
..إذن لقد رحل.. نظرت إلى الستائر الكثيفة التي غلفت شبابيك  
غرفتها.. وجدت جميلة وقد سبقتها إلى إحداها وجذبها.. تقدمت  
نحوها رباب.. جذبت منها طرف الستارة الذي تعلقت به.. ترددت..  
ثم اتخذت قرارًا ببطء عمره لحظات.. تمنيت خلال تلك اللحظات  
أن تستجمع قواها فترفض ما شرعت فيه وألا تزيح الستارة.. ولكنها  
لم تستطع.. أزاحت الستارة ببطء شديد.. كانت الشمس قد  
شرعت في الغروب.. بدا لها الكون وقد اكتسى بالحزن.. شعرت  
بجميلة وهي تلتصق بقدميها.. فرت دمعة من عينيها.. قطرة صغيرة  
ساخنة. ارتكزت على اكتناز خدها الأيسر فعلقته.. ثم انشطرت  
نصفين فرأحدهما فسقط من قمة خدها الأيسر فانزلق نحو  
شفتيها الصغيرتين.. مس بملوحته فمها فأطلق بركان مرارة وكأنما  
كان خامدًا بداخلها.. أطلقت أزيزًا هو صوت محاولة للسيطرة على  
فيضان تجمع بعنف في عينيها.. ما كاد يعلو صوت الأزيز حتى هزمه  
الفيضان فسالت دموع وكأنها حبست سنين لتخرج الآن.. ما إن  
رأته من النافذة وهو يبتعد خارجًا من منزلها.. وكأنما تراه يوم أن  
رحل من قبل.. مبتعدًا كعادته لا ينظر خلفه.. بدت لها مشيته  
مختلفة.. ولكنها فقط لاحظت ولم تتعمق في النظر.. رأته يبتعد  
فالتصقت بالنافذة.. لم تكن تعلم أن أزيزها تحول لنحيب.. حتى  
أنها لم تسمع صوت طرق كريمة على الباب ولا صوتها حين دخلت..

هي حتى لم تفرح حين التفتت إلى الخلف فوجدتها.. بل نظرت لها مطولا باكية وكأنما تشكو لها دمعاً حُبس بعينها سنوات.. حملت جميلة ووقفت في منتصف الغرفة لا تعلم ماذا تفعل.. فاقتربت منها كريمة.. وقالت بحنان:

- قتلته يبجي بكرة.

نظرت لها رباب محاولة أن تستوعب ولكن كريمة قالت:

- كنت خائفة يكون إحساسي غلط بس لما شفتك دلوقتي عرفت إني اتصرفت صح لما قتلته تعالى بكرة.

احمر وجه رباب غضباً ولكنها قالت بانكسار لا يلائم ما بدا عليها من غضب:

- إنتي إزاي تتصرفي من دماغك؟.. أنا قتلتك..

قاطعتها كريمة وهي تقترب منها وقد أمسكت يدها:

- سامحيني.. بس في النهاية أنا ست وأحس بيكي وعارفة إني عملت اللي إنتي عايزاه.. إنتي بس كنتي عايزة تبقي مستعدة لما تشوفيه مش كده؟

انهارت رباب على أريكة.. ثم أجلست جميلة بجوارها..

- مش عارفة.. أكيد العزا بنقابل فيه كل الناس مهما كانت مشاعرنا ناحيتهم.. كان المفروض آخذ منه العزا وأخلص.

جلست كريمة على الأرض أمام رباب.. ثم رفعت قدمي رباب على فخذيها.. خلعت عنهما حذاءين.. ووضعتهما أرضاً.. ثم حملت ساقهما إلى الأعلى لتمددهما رباب أمامها على الأريكة..

- أنا متوصية عليكى.. مع إنى حبيتك ومش محتاجة وصاية..  
تسمحيلي؟
- أسمحلك بإيه؟
- ممكن تسيبيلي نفسك حبه؟
- كريمة.. أنا عايزة أناام.
- قامت كريمة وخرجت تاركة باب الغرفة مفتوحًا.. حاولت أن  
تغمض رباب عينها ولكنها وجدت كريمة وقد جاءت تحمل بخورًا..
- ريحته حلوة مش كده؟
- تركت البخور في منتصف الغرفة وساقت رباب أمامها إلى الحمام  
تاركة جميلة تلهو في الغرفة..
- لم تقاوم رباب التي وجدت نفسها في حوض الحمام الذي أعدته  
كريمة.. كان ساخنًا أكثر من اللازم.. فكت كريمة شعر رباب  
وغسلته.. ثم وقفت حاملة البشكير منتظرة أن تخرج من الحوض..  
وما إن خرجت حتى لفتها به.. عادت إلى الغرفة فطلبت منها أن  
تستلقي..
- أنا عارفة إنك عملتى مساج في أكبر "سبا" في أمريكا.. بس كريمة  
لما تعملك مساج هتعرفي الفرق.
- شعرت رباب بكفي كريمة قد أمسكتها بكل عضلة في جسدها  
فكأنما فكتها كريمة فكا ثم أعادت أجزاء إلى بعضها البعض.
- بتصدقني في الحواديت؟
- قالها كريمة. فنظرت لها رباب وقالت:

- أنا كنت نفسى أصدق الحواديت يا كريمة.. كنت فاكرة إن أنا ههرب مع الفارس ونعيش في تبات ونبات.. بس الدنيا مش ساذجة كده.

- كنتى بتحبيه؟

- من؟

- أنا عارفة إنك ماكنتيش بتحبي المرحوم حب حواديت.. أنا بسأل على اللي طردتیه من شوية ده.

قامت رباب منزعة.. حاولت استرجاع صورتها كسيدة المنزل..

- إيه اللي إنتى بتقوليه ده؟

قالت لها كريمة:

- ممكن تحكيلى؟..

- إنتى إيه خلاكي تقولى إنى ماكنتش باحب جوزي؟

- أنا مقلتش كده.. أنا قلت مش بتحبيه حب حواديت.. ماتنسيش

إنى كنت مش بسيب المرحوم وكنت تقربياً مديرة أعماله.. أنا أعرف جوز حضرتك من وهو تقريباً عنده عشر سنين.

اقتربت رباب من جميلة التي نامت على الأرض فسحبت غطاءً من على السرير وافترشته بجوارها..

- أنا لو في كامل طاقى كنت حاسبتك على اللي إنتى قلتیه ده..

بس أنا فعلاً مش قادرة.. أنا محتاجة أستوعب اللي بيحصل فعلاً.. ممكن لو حكيتلك أقدر أرتب أفكارى وأفهم أنا فين بالضبط.. عارفة المشكلة ساعة المصيبة إيه؟.. إننا مش

بنستوعب والسكينة بتسرقنا.. أنا عارفة إني بكرة الصبح هصرخ  
وأقول أنا عايزة ماما.. وأحس إني يتيمة للمرة المليون.. وعارفة  
إني بكرة هفهم يعنى إيه أنا أرملة.. أنا عارفة إني لسه مصدومة  
أنا مشكلتي إني بتصدم وباخذ وقت على ما أفوق.. تصدق أنا  
لسه مفوقتش من صدمات قديمة لحد دلوقتي.. تصدق إني  
سبت الأخ اللي طردته من شوية ده من سنين. واتجوزت وخلفت  
وأنا لسه مصدومة وحاسة إن دي مجرد غلطة وهتصلح وإننا  
هنرجع لبعض.. وإني أكيد بحلم.. لكن لما شفته دلوقتي فقت..  
حسيت إني فعلا عشت كل الفراق والعذاب ده.. وإني فارقت  
وسافرت واترملت واتيمت.. وإني كل ده ماكنتش عايزة أشوف  
الواقع.. وعاملة نفسى مستحيلة وأنا كل اللى بعمله إني بأجل إني  
أقول لنفسي.. إنتى أتعس إنسانة في الدنيا.

نظرت لها كريمة وقد وجد كل منهما الآخر غارقا في دموعه.. قالت  
كريمة:

- جوزك كان بيحبك وعارف إنك مش بتحبيه.. بس كان عنده أمل  
إن في يوم هتقدرى تحبيه..

- هو قالك كده؟

- ما تحكي الأول وبعدين أحكيك.

من أين أبدأ؟.. لا أعلم.. فهناك بدايات دوماً تسبق أي بداية.. فلكل  
أمر حدث دافع أحدثه ولكل دافع ذكرى.. وكل ذكرى تذبل فمئها ما  
يموت ومنها ما يحيى إذا بعث لها من يُحييها..

لا أعلم هل البداية حين التقينا.. أم أن قدرًا سبق اللقاء أعدني لأهوي إليه.. ألم أقل لكل بداية بدايات تسبقها؟..  
يبدو على ما أذكر أنني كنت سعيدة حين كان أبي معنا.. أبي الذي كانت أمي تقول عنه إنه إذا مس التراب صار ذهبًا.. كانت تقصد ثراه، أما أنا الطفلة حينئذ فقد صدقت الكلمة كما قبلت.. حتى أنني راقبته طويلًا.. فلم أجد ذهبًا يجيء إذا مس شيئًا.. حتى فطنت بذكاء طفلة في الخامسة أو السادسة من العمر.. أنه لا يوجد في بيتنا تراب.. فالأمر يتطلب مس التراب.. حتى جاء اليوم الذي حصلت فيه على التراب من حديقة المنزل الذي عشت فيه مع أبي.. سرقت ترابًا في غفلة من الجميع وهرعت إلى غرفتي بجريمتي.. وانتظرت أبي الذي تأخر.. حتى يحول لي التراب ذهبًا.. ولكنه لم يعد..

الأمر ببساطة كما علمت بعد ذلك أن طلاقًا قد صار وأنني سأكون بعيدة عن أبي وأن الذهب لن يأتي..  
رحلت مع أمي.. إلى بيت صغير أصبح هو بيتي.. هل تحتاجين إلى المزيد من الشرح؟.. هل من الصعب عليك أن تتخيلي كيف تبدلت أمي؟.. فصرت أنا وأمّي والتراب..

صارت أمي أكثر خوفًا عليّ.. اختارت لي بعناية مدرستي الجديدة.. كانت مدرسة راهبات بالقرب من البيت.. لا أبذل مجهودًا للوصول.. لا أكاد أرى في طريقي سوى القليل ألقاه ذاهبة وأجده كما هو عائدة.. لم يكن المزاح هو سبيل الراهبات.. فأثرت السلامة والتزمت

بما فرضته أمي والمدرسة.. لا أذكر يومًا تحدثت فيه لزميلة عن شيء خارج المؤلف.. وكان البيت وكأنه امتداد للمدرسة..

أذكر حين بلغت.. كيف أصف لك الأمر؟.. أنا غارقة في دمي.. أحاول جاهدة أن أجد حلا حتى أخفي جريمتي.. أتصور أمي وهي تدخل الغرفة في أي لحظة فلا أعلم ماذا سأقول.. ولكن أمي حين جاءت في الصباح لتوقظني.. فهمت أنني لم أنم طيلة الليل.. لم تبد تساؤلًا.. نظرت للحظات.. لم تقل شيئًا.. غابت في غرفتها ثم عادت تحمل فوطاً صحية.. وسأقتني إلى المدرسة.. كان عليها فقط أن تغمغم ببضع كلمات عن خطوات الاغتسال وقالت فقط إن بضعة أيام ستمروستخبرني كيف يكون لكن بعد انتهاء دورتي الأولى.. إذ كانت تعلم أن الراهبات لن يخبرني بالأمر.

وكان شيئًا لم يكن.. لم نتحدث عن الأمر.. يومان.. ثم دخلت إحدى الراهبات إلى الفصل.. لتخبرنا أن حصة السابنس قد أجلت.. وتحدثت معنا عن البلوغ.

مر الوقت وكانت الفوط في كل شهر تستقر مكانها في الدولاب.. أفتح الدولاب لأجدها.. كما وجدت حمالات الصدر من قبل.

لم أكن تعيسة.. سيكون ذلك ظلماً.. كانت أمي فقط هي التعيسة.. أنا كنت أغفر لها كل ذلك حينئذ فأنا أعلم أنها قد حولها أبي إلى تراب.. عكس ما كانت تخبرني عن قدرته.. البنات يجدن طريقهن بأية حال.. كان عليّ أن أقدر حزن أمي فلم أكتوثر.. كنت فقط أريد أن يبقى الوضع كما هو.. فلا مزيد من التغيير..

أبي الذي اختفى كان تغييرًا كافيًا جدًا..  
سمعت أن بنتا أو أكثر قد عاقبتن الناظرة لما علمت بعلاقتهن  
بطلاب في مدرسة للبنين..  
كان الأمر وكأنه جريمة من العالم الذي لا أراه.. العالم المليء  
بالأشرار الذي تخوفني منه أُمِّي.. هذا العالم الذي لا يقع حتمًا في  
الطريق الصغير الفاصل بين بيتي والمدرسة.. العالم الذي أخبرني  
أُمِّي أنه موجود ولكنها لن تتركني فليس عليّ أن أخاف ما دمت  
بجوارها..  
كانت أُمِّي هي من تعبر بي هذا العالم دومًا إذا ما اضطررت للذهاب  
إليه لأشتري منه مثلًا حذاءً أو فستانًا.. كان العالم يبدو طبيعيًا..  
وإن كان بالفعل مخيفًا.. يسير فيه البنات يضعن أيديهن في أيدي  
أولاد.. أسمع فيه سببًا لم أعتد سماعه.. أرى فيه ضوضاء  
وازدحامًا يكاد يخنقني.. فأزداد تعلقًا بأُمِّي عليها تعبر بي مسرعة..  
نعم حتى سن السادسة عشرة.. كنت تلك الطفلة..  
ولكن يومًا أتى معلنا أن الصغيرة يجب أن تعبر العالم إلى الجامعة..  
ذهب أصدقاء المدرسة كل إلى كليته.. وصرت أنا إلى كليتي.  
سأحكي شيئًا تذكرته..  
ليلة ذهابي للجامعة طلبت من أُمِّي.. أن تأذن لي.. أن.. أن أفعل  
كأَي بنت.. بصي من الآخر يعني كنت حاسة إني عندي شنب..  
رفضت أُمِّي بشدة.. وحثرتني إن فعلت فسيزداد الأمر فأصير  
كالرجال.. وأني لن أستطيع أن أفعل ذلك حتى الزواج.

لم أعارض أو حتى أفكر في الأمر..  
أطلت في حديث كان يمكن اختصاره.. ولكني أخبرتك.. كل بداية لها  
بدايات..  
هو.. كان وحده..  
أنا كنت وحيدة..  
الاختلاف الوحيد.. أنني كنت مرتبكة بينما كان هو متزناً.. يحمل  
كوبًا من الشاي.. يشعل سيجارة.. يشرب في إيقاع منتظم..  
أول يوم لي في الجامعة وكأنني لم يجذبني شيء سواه.. لا أعلم لماذا  
اطمأن قلبي أنه ليس كأى شيء ينتمي للعالم المخيف الذي يقع في  
حدود ما هو خارج عن طريق بيتي والمدرسة.  
قد يكون لوحده.. راقبته طوال اليوم من مكاني الذي لم أبرحه..  
لا أعلم لماذا نذهب للجامعة في أول يوم.. لا يوجد محاضرات..  
ولكن الكل يأتي.. الكل يتعارف.. وأنا لم أبح الكرسي الذي وجدته  
خاليًا في الثامنة والنصف صباحًا.. حتى الثانية عشرة ظهرًا..  
كنت أراه يدور في دوائر ثابتة حول المبنى.. ما أن يختفي عن  
ناظري.. ليكمل دائرته حول المبنى حتى يظهر مرة أخرى لتكتمل  
الدائرة.. يرسم الدائرة مشيًا مرة أو مرتين.. ثم يجلس ليدخن  
سيجارة.  
تصادف أن تعرف عليه أحدهم مرة أو مرتين.. ولكنه بدا مضطربًا..  
ضبطته يزيف ابتسامه.. سمعته يقول.. إنه ينتظر أحد الأصدقاء.  
- لا لا أنا مستني حد روح أنت..

كان يكرر تلك الجملة دومًا إذا ما أوقفه أحد ممن عرفوه.. كان من السهل جدًا لأي شخص أن يلحظ مراقبتي له.. ولكنه لم يلحظ لثلاث ساعات ونصف من الثامنة والنصف حتى الثانية عشرة. ولكن بعد ثلاث ساعات ونصف.. عندما التقى العقربان.. تلاقى أعيننا.. كنت أتوقع من نفسي أن أهرب بعيني.. ولكنني تجمدت من الرعب.. لأنني أدركت أنني وقعت في أسر العالم المخيف. هذا الولد غريب الأطوار أسرني وخطفني من عالم أمي.. لا.. ليس الأمر كما يبدو بداية من فراغ.. أخبرتك من قبل.. أن كل بداية لها ما سبقها من بدايات.. القدر كان يعدني لأحب هذا الولد من أول يوم.

مروقت بدا دهرًا.. ولكنني قررت أن أهرب إلى أمي.. ورحلت.. وجئت في اليوم الثاني.. أبحث عنه في كل مكان.. فلم أجده.. ولكنني وجدته يجلس بجواري في المحاضرة.. تصببت عرقًا.. ولم أحرك رأسي قيد أنملة وشعرت أن جسدي لو تحرك سنتمترا واحدًا في أي اتجاه لتكسر إلى ألف قطعة.. ثلاثة أيام متتالية يجلس بجواري في كل المحاضرات.. في اليوم الرابع أحضر معه كوبين من النيسكافيه..

- أنا مش بقعد جنبك كل يوم صدفة.. بس إنتي مش متخيلة أنا بتعب إزاي عشان أحجز مكان جنبك.. فأنا مش ضامن إن ده ممكن يحصل كل يوم.. ده غير إنى كده هضطر أحضر كل المحاضرات وده شيء صعب.. مد يده بالنيسكافيه.. أنا جاييلك.

لم أعلم ماذا حدث.. ولكني لم ألتفت إليه.. فقط مددت يدي وتناولت النيسكافيه.. ثم أعدته إليه.. ببلاهة منقطعة النظر. ومضت المحاضرة وقد تجمدت حركتي.. فلما انتهت التفت فلم أجده.. فإذا بي أراه خارجًا يدخن السيجارة ويشرب بإيقاع منضبط.

تقدمت نحوه..

- أنا أسفة.. لكن أنا مش بعرف أتكلم.. قصدي عشان المحاضرة.. ثانيا النيسكافيه وهو بارد بيبقى.. بيبقى بارد!! كانت الجملة غير المنطقية هذه.. هي الجملة التي فتحت أبواب كل شيء.

فتحت أبوابًا كنت أحسبها جامدة. لم أكن أعلم أن لي قلبًا.. له باب إذا انفتح بدت سراديب مظلمة تنتظر إنارتها.. ولكنه فتح أبواب قلبي ولم يشعل بسردايه نورًا بل ظل واقفا يتأمل ظلمته.. لا هو يدخل فيضيء ظلمة ولا هو يمضي بعيدًا ليغلق الباب الذي كان قد انفتح.

نظرت رباب إلى كريمة التي قاطعتها قائلة:

- إنتي عارفة إيه المشكلة؟.. إنتي مش بتعرفي تحكي حواديت.

- مش فاهمة يا كريمة..

- إنتي شايفة الحكاية على إنها ولد وبنت اتقابلوا في الجامعة كان بينهم حاجة بتجمعهم وحبوا بعض ولا أيا كان اللي حصل.. قصص الحب ماتتحكيش كده.

- أنا معشتش قصة حب يا كريمة.. إحنا وقعنا في فخ الصحوية بقينا صحاب الناس كلها فاكرانا بنحب بعض ومخبين.. بس هو عمره محاول يصارحني بحبه كل مكنت أقرب منه كان يخاف.. عارفة أنا كنت بحس إنه محتاج أم.. أمه كانت عيانة ومش بتتكلم.. بيقوللي حالة نفسية عشان عرفت إن عندها مرض خطير.. محكاليش أوى عن تفاصيله مكنش بيرضى وماكنتش برضى أضايقه.

- وإنتي كنتي محتاجة أب.

- يمكن.. يمكن كل واحد فينا كان محتاج حاجة في التانى وكانت صورة الصداقة موفراها وهو يمكن كان خايف ياخذ خطوة تانية مش عارفة.

- إنتي مابتعرفيش تحكى حواديت.

- بس إحنا ارتبطنا.. أسبوع.

- احكيلى عن الأسبوع..

- أنا مبعرفش أحكى بس هحاول..

- أبوكي مات يا رباب..

كانت أمها قد اقتحمت عليها الغرفة، فتحت الباب ووقفت لديه لا تعلم لماذا تفعل ذلك ولكنها لم تجد شيئاً لتفعله سوى أن تخبر ابنتها.. وقفت تيكي ولا تكف عن ترديد الجملة..

- أبوكي مات يا رباب..

نظرت لها رباب.. تسترجع صورة أبيها.. ذلك الرجل الذي هاجر إلى أمريكا وتركهما.. كانت قد تقبلت الأمر.. ورضيت فلماذا كل هذه الضجة عن موته؟..

قامت إلى أمها واحتضنتها.. انتحبت أمها قليلا وقالت كلمات متقطعة عن وصول جثة أبيها غدًا، وسمعتها تقول: حبيبي مات يا رباب.. أبوكي مات يا رباب.. ولكنها حاولت أن تهدئها وأسندتها إلى أن نامت في سريرها وجلست رباب إلى جوارها.. تلك أول مرة تنام أمها في هذا السرير.. لم تمر دقائق حتى نامت أمها.. وجلست هي تحديق فيها.. حبيبيك يا أمي؟!.. أبي بعد كل ذلك هو حبيبيك؟!!

احتاجت إليه الآن. لماذا لا يرد على الهاتف؟.. سحبت هاتفها ونظرت إلى الرسالة التي أرسلها إليها اليوم.. "رباب إنتى أحن وأجمل بنت في الدنيا.. مهما حصل مش هينفع أسيبك تخرجى من حياتي".

نظرت إلى عدد المرات التي حاولت فيها الاتصال به ولكنه أغلق هاتفه..

قررت أن تحاول مرة أخرى.. كادت أن تضغط زر الاتصال ولكنها ارتعدت حين ظهر اسمه متصلًا.. فزعت ثم ابتسمت بمرارة وردت: - ألو..

- أنا آسف أنا عارف إنى كنت غريب إنهارده.

- أنا محتاجك...

- ماما هتسافر..

- فين؟
- ماما هتسافر برة ومش عارف هشوفها تاني ولا لأ.. عمتى اشتركتلها في برنامج تبع منظمة الصحة العالمية لمرضى الهانتينجتون ديسيز.. ماما كان ليها أولوية كمان عشان هي من العالم الثالث وكمان موضوع إنها فقدت النطق نفسيًا حطها على أول الليست لى هينضموا للبرنامج.
- مرضى إيه؟
- مش مهم ده اسم المرض اللي عند ماما.. لما أشوفك هقولك على كل حاجة.. أنا محتاجك جدًّا.. هشوفك بكرة؟
- أنا ممكن أجيلك دلوقتي بس المشكلة.. إن بابا مات.
- لم يرد بل ساد الصمت طويلاً.. هل استشعر الحرج لأنه حتى لم يلحظ نبذة صوتها وهم مسرعًا بإخبارها أمرأه.. جاء صوته منخفضًا:
- البقاء لله يا رباب.. هو هيدفن هنا ولا في أمريكا؟
- بابا بكرة هيوصل وهيدفن هنا.. أرجوك محتاجك جني..
- ماما بكرة مسافرة.. باباكي هيوصل امتي؟
- أنا بحبك..
- صمت تام..
- غرقت هي في دموعها.. حاولت أن تكتمها ولكنها عادت لها التي لم تستطع يومًا التخلص منها.. تغرق دومًا في دموعها.. كانت تصرخ داخلها.. أجبني.. قل شيئًا..

صمت.

قالت بصوت نبرته المر:

- أنا آسفة..

- أنا بكرة هودع ماما في المطار..

- أنا بكرة أكيد هكون في المطار برضه.. وهنطلع بعد كده على

الدفن.. بابا هنستلمه من المطار في حدود تسعة الصبح.

- سلام.

لم ترد.. فقط أغلقت الهاتف.. وتركت دموعها تنساب.. عادت إلى

جوار أمها

دفنت نفسها في حضنها.. وناما.

\* \* \*



ربط حذاءه.. ثم أقام جذعه فاستوى.. حاول أن يبدو متماسكا..  
لم ير أمه منذ الصباح.. انتظر على باب الشقة.. حاملا حقائبهما  
.. أمه وأباه..

لم يستطع أن ينتظر خروجهما من الغرفة.. يعلم أنها ستكون المرة  
الأخيرة التي تخرج فيها من باب تلك الغرفة.. بضع ساعات وستكون  
رقما لا شخصا.. ستكون رقماً في سجلات أطباء وأبحاث مطولة  
وتجارب.. هل هذا ما اطمأنت إليه؟.. أن تحرق ما تبقى من عمرها  
بين جدران المستشفى..

فتح الباب.. كاد أن يخرج..

انفتح باب الغرفة.. لم يلتفت ولكنه كان يعلم أن أمه ترمقه الآن..  
حرارة شوقها إلى حضنه تخترقه.. فدار إليها.. فوجدها..  
أمه..

ترك الحقائق وتقدم نحوها.. كاد أن يبكي ولكنه أخذ برأسها إلى  
صدره وضمها إليه وقبلها.. ثم نزعته هي رأسها منه واستوتت..  
نظرت إليه ثبتت عينيها في عينه.. حاول أن يتعد برأسه عن  
مواجهتها ولكنها أمسكت برأسه بكلتا يديها ثم قبلت جبهته..  
ووضعت رأسه في صدرها.. استسلم لها.. استمع إلى دقات قلبها  
تخترق أذنيه.. تحركا نحو السيارة..

أنا بحبك.. قالتها له رباب بالأمس.. كيف لم يرد ولو بأي شيء؟!..  
ركبوا السيارة.. نظر إليها.. حرك شفتيه.. بحبك.. حركت شفتيها..  
وأنا كمان.

بدأ تحاورهما كما اعتادا..

- أمي أنا لا ألومك أنك تركتني وسافرت ولكني أود فقط أن أقول  
إنني لن أضيّق بك ذرعًا حين ينال منك المرض مناله..  
- هل تعلم يا بني كيف سأصير؟.. سأصير لا أطاق.. سفري هذا  
رحمة للجميع.

- أعلم يا أمي ما ستؤولين إليه.. أعلم أن ذلك يؤلمك وأن ذكرى ما  
حدث لجدتي يعذبك في كل لحظة.. ولهذا لا ألومك.. أردت فقط  
أن تتأكدني أنك إذا أردت البقاء فلن أضيّق لحظة بك.

- سأكون بجوارك.. مهما حدث.. اترك يدي.. دعني أغرق وانج انت..  
اطف بجسدك فوق جسدي.. دعني أغرق وانج.. انج من أجلي.. لا  
تدعهم يهزمونك كما انهزمت..

كف.. أفق.. حارب نفسك وانتصر.. لا تدع كل شيء ينهار.. سأحاول  
أن أكون بجوارك.. ستكون روحي محلقة حولك..

ولدى.. اترك يدي الآن.. وابحث عن ذاتك.. الوحدة قاتلة.. ولكن قد  
تكون العزلة دارًا تلزمها حين ينهال عليك الجميع كضباع تنهش  
منك ما تعرى.

- أمي لا تخافي عليّ قد قلت لي ذلك من قبل وأنا أعدك أنني لن أتوه.. أنا واعٍ تمامًا.. أنا إن صادقت عبد العزيز بعد موته فهذا الأمر لا يدعو للقلق إن هي إلا لعبة أتقنت لعبها..
- ولكني لا أريد حين أغيب عنك.. أن أكون لعبة من ألعابك التي تعودت عليها منذ صغرك.. إن أردت خيرًا لي.. فلا تجعلني عبد العزيز آخر..
- أمي لماذا تخافين عليّ من عبد العزيز؟
- لأنه يا بني يسلبك نفسك ويحيا هو بدلا منك.
- أمي أنا أعني تمامًا ما أفعله.
- أنا لا أريد أن نخوض عراكا قبل مفارقتك.. ولكن أنا لن أكون لعبة جديدة لك.
- ولكني أحتاجك جدًا.
- فاستبدلني..
- أستبدلك وأنت أمي؟
- نعم.. رباب..
- رباب؟!!
- نعم.. تحبها؟
- لم يدق قلبي لسواها..
- وهي؟
- سلمتني مفاتيح قلبها.. فتركت يدها ممدودة وتركتها وكأنها صارت نسيًا منسيًا.

- إن كانت حبيبتك ستصير أمك.
- أنا أخشى لعبة لا أتقنها.
- هي ليست لعبة هي الواقع الذي تتفاداه..
- الواقع هو من لفظني يا أمي.. ما خلقته أنا خير وأبقي..
- الذي قلته كفر بين أستغفر الله..
- لا أقصد ولكنه خير لي وأبقي..
- ثق بالله.
- أعلم عسى أن أكره شيئاً وهو خير لي.. ولكني أيضاً عسى أن أحب شيئاً وهو شر لي.. الأمر محير!!
- رباب أنثى تمنحك مفاتيح قلبها.. رباب لا تريد منك سوى أن تتوجهها ملكة على مملكتك.
- مملكتي خربة.
- ستجعل هي منها جنة..
- أمي دعينا نتحدث عنك..
- أنا لن أعود.. وهي لك السكن.
- أنا إن أدخلتها مملكتي أصحابها وبائي فصارت مثلي أو أذيتها..
- أفصح لها عن أمرك.. فلها الاختيار..
- ستظنني مجنوناً..
- سيكون اختيارها..
- أمي.. هي لن تلعب معي بالباطو مثلك.. أمي لماذا لم تبقي عامًا أو عامين آخرين؟..

- ادع عبد العزيز..
- أنت لا تحبينه..
- دعني أتحدث إليه..
- حسنا.
- ماذا ستفعلان معاً بعد غيابي؟
- سنقوم بغزو العالم.. سنعيش سعادة أنا وصديقي.. فلا يشغلنا شيء.. قد نضم إلينا هيثم وقد لا نفعل.
- اتركه لرباب يا عبد العزيز وارقد أنت بسلام.
- إن شاء فعل وإن شاء أبقاني..
- وصلت السيارة لموطئ قدمها الأخير في مصر.. فنزلت من السيارة ووطئته.. كان يعلم أنها آخر مرة سيخوضان هذا الحديث.. آخر مرة يخاطب قلبها.
- التقت الأعين وتحركت الشفاه..
- بحبك.
- وأنا كمان.
- تحرك أبوه وأمه إلى الداخل.. أخذوا كل شيء.. لم يلتفت إلى أبيه وهو يوصيه بكلمات لا طائل منها.. كان قد استحضر عبد العزيز معه ليربت على كتفه..
- قال عبد العزيز:
- صرت يتيماً يا صديقي.
- هل من الجنون أن أحفظ بك طوال تلك السنين؟

- كدت أن تنساني فور دخولك المرحلة الثانوية.. ولكن تشاء الأقدار أن أستمع معك.
- ولكن يمكن زيارة سريعة لطبيب نفسي أن أتخلص منك.
- ولماذا لا تفعل؟
- أنا لست مريضاً.. أنا فقط أبقى كأي لعبة اعتدت لعبها.. عبد العزيز صديقي مات.. أما أنت فلعبة تهوّن وحدتي.
- أمسك بهاتفه.. واتصل برياب..
- ألو..
- أنا وصلت المطار حالا.. إنتي فين؟.. استنى أنا شايفك..
- وصلت رباب ومعها أمها وأشخاص لم يعرفهم.. لم تبد أمها الكثير من الحماس لمقابلته.. مرت الدقائق ثقيلة.. كان الأمر مهيباً.. كانت أول مرة يقترب من نعش إلى هذا الحد.
- عندما رأى نعش والدها يقترب.. يدخلونه في سيارة.. يسمع عويلا وبكاءً.. لم يحاول أن يخفف عن رباب بل وقف إلى جوارها وقال:
- ابكي يا رباب.. إنتي خسرتي خسارة كبيرة أوى.. أنا كمان خسرت..
- لو مش هنبكي دلوقتي هنبكي إمتي؟
- نظرت له رباب تصدمها كلماته.. كانت تتمنى منه أي كلمات غير تلك.. ولكنها تفاجأت إذ رآته يبكي معها بحرقه..
- أمي اللي هتواجهه أصعب من الموت يا رباب.
- خرجت منه تلك الجملة بلا وعي.. فجأة مست أطراف أصابعه رعشة.. وجثم على صدره انقباض.. نظر حوله فلم يجد أمه.. وعلم

ووعى وكأنه علم ووعى الآن فقط.. أن أمه غادرت إلى لا رجعة  
..وجد الدمع يجري منه لا حول له ولا قوة في منعه.

تسمر مكانه وهم يبتعدون بالنعش.. كانت رباب في بكائها الحارق  
تنظر إليه.. شعر أنها تمد يدها إليه.. ولكن هل سيستطيع أن يمد  
يده إليها هو الآخر؟ وإن مدها هل له من قوة ينزل بها سلطانا  
فيحيي لها أباه.. لا حول له ولا قوة..

هو المكان الذي لا حيلة فيه.. هذا النعش والقبر من بعده ستكون  
به الوحدة التي لا مفر منها ولا حيلة تنفع لها.. ستصير كل ألعابه  
وحيله لا قيمة لها.

علم أن الوحدة قادمة لا محالة.. ولكن وحدة الموت من فرط  
قسوتها تهون علينا وحدة الدنيا بل تبدو الدنيا بوحدها مكانا  
جميلا.

نظر إلى رباب وهي تركب السيارة وعيناها متعلقتان به.. كغريق!  
حرك شفثيه تمامًا كما كان يفعل مع أمه..  
- أحبك.

ولكنها لم تفهم.. داومت البكاء.. صرخ إليها بقلبه كما كان يفعل مع  
أمه.. أحبك.. ولكن لم يصله منها شيء..  
غادرت..

وجد نفسه وحيدًا تمامًا.. فكر.. ثم قدر.. ثم نظر..  
وقال رباب جاويتي..  
فنظر عن جانبه فإذا بعبد العزيز يقول:

- لا بل أنت تريد أن تبدأ معها لعبتك.. تريد أن تنقلها إلى خانة اللعبة. لماذا وهي بشحمها ولحمها تنتظرك؟
- أردت أن أحادثها كما حدثت أمي.
- وهل كانت أمك تحادثك؟
- فجأه السؤال فرد بغضب:
- بالطبع.. ألم تحدثها معي؟
- وهل أنا موجود لتستدل بي؟
- ماذا تقصد؟
- يبدو أنك نسيت أن أمك فقدت النطق.
- نعم ولكننا أوجدنا لغتنا الخاصة.
- وأين كانت قبل أن تفقد أمك النطق؟.. هل سبق وكانت أمك صديقتك؟
- نعم كانت تلعب معي لعبة الطبيب والبالطو.
- لعبة تلعبها معك أمك لتشجع طفلها على إخبارها بأسراره الصغيرة، ولكنك تعلم تمامًا أنها لم تلعبها معك إلا مرة أو مرتين ثم شغلها عنك شقاؤها مع أبيك.. أنت الذي خلقت كل شيء عندما فقدت أمك النطق.. تماما كما خلقتني.. أنت لا تسيطر على الأمور كما تدعى.. يبدو أنك لا تفهم أنك تحرق كل شيء لا يعجبك وتحول رماده إلى لعبة تهرب بها من ألم لهييها.
- صمت تمامًا ولم يرد على عبد العزيز بل بدده إلى سراب فصار وحيداً..

لماذا أراد أن يحول رباب إلى لعبة؟.. لماذا يخشى أن يقع في حياها؟..  
فليكن حياها أول الطريق.. الطريق الذي لا أم له فيه ولا صديق..  
الطريق الذي خشي أن يمضي فيه طوال الوقت.. الطريق الذي  
نكره وأخفى معالمه.. وضل عنه حتى لا يسير فيه.  
الآن..

غادرت أمه.. لو شاء لأحضرها في خياله كما يحضر عبد العزيز..  
ولكن ألن يكون ذلك مبتذلاً وفاضحاً لنفسه أمام نفسه؟.. موت  
عبد العزيز كان قاسياً لدرجة تسمح لنفسه أن يقبل إعادته  
للحياة.. ولكن أمه غادرت إلى مرضها.. يكفيه إخفاء سره أنها لم  
تكن تحدثه طوال هذا الوقت.. يكفيه ذلك تماماً.. فلا حاجة إلى  
كشف ضعفه أكثر من ذلك.

الآن.. يتخذ الطريق الصعب.. فإن كانت رباب ملكة مدينة قلبه..  
فلتحمل معه همًا أحنى ظهره طوال العمر الصغير الذي مضى إلى  
عمر أطول أكثر هدوءًا وهناءً معها..  
لكن هناك شيئاً يا عبد العزيز..

أمي.. لم تكن تحدثني.. نعم.. ولكنها كانت تعلم أنني ألعب تلك  
اللعبة.. كانت تعلم طريقي منذ الصغر.. هي وافقت أن تعطيني  
ضوءاً أخضر لأحدثها بما شئت.. الأمر نسبي جداً.. فهي تعلم أنني  
سأستطيع أن أقول على لسانها ما لو كانت تنطق لقاتله.

أنت لن تفهم الأمر فهو معقد جداً بالنسبة لك.. بالنسبة لطفل  
مات في الإعدادية.. وعاش معي بعد ذلك.. ولكن صدقني أنا أعني

تمامًا ما أقول.. وأدرك تمامًا حدود عالمي الذي خلقته.. أنا قادر على ضبط إيقاعه.. ورسم حدوده.  
نظر أمامه.. فوجد عبد العزيز الذي كان بدده منذ قليل يسير بعيدًا كنقطة صغيرة في الأفق!!  
وصل إلى المقابر..

تعالّت أصوات بمنع النساء من الدخول مع الرجال للدفن.. ولكن رباب كانت تصر.. حاولت أن تصرخ فيهم ولكن أمها سقطت من التعب أرضًا.. فجلست بجوارها ولم تلحق بالنعش إلى الداخل..  
نظر لها.. هي رباب.. الساحرة التي سحرته فاستعاذ من سحرها وتحصن.. رباب التي اخترقته ففر إلى أبعد نقطة بأعماق نفسه مختبئًا منها.. يفر كلما كرت.. يستتر كلما كشفت ستراً أو أزاحت حجابًا..

كانت هي كل شيء.. هي المشهد وما شاهد.. هي الضوء والهالة.. هي الإيقاع والسكون.. هي كلما تكلمت أسرته وكلما سكتت أشعلت به الفضول فإذا نظرت له انتبه وإذا التفتت عنه انقبض.. وكأنما هي السحر وهو المسحور له!

تستقر هي بهدوء في كل وجدانه من أول لحظة من قبل أن يتحداثا وكأنما امتلكت مفاتيح مملكته من قبل نشأتها..  
هي التي تفادها ففر منها.. ولكنها كانت شمسه فظل دائرًا في فلكتها.. تجذبه إليها من كل ناحية.. ولكنه يأبى أن يسقط في حضنها الدافئ الحنون.. خاف أن يحترق بحمها..

هي السمراء الرقيقة..

تجلس أمامه على بعد بضعة أمتار.. جالسة على إحدى ركبتيها  
تسند أمها التي سقطت أرضًا.. قد انسدل شعرها في لا اتجاه..  
احمرت عيناها.. فكأنما الحنان يتألم.. كان يريد الآن أن يذهب  
إليها يخترق كل هؤلاء الأشخاص الذين فصلوا بينهما.. لا يأبه بدفن  
ولا بنعش.. يخترق الصفوف المزدحمة نحو ساحرته.. فيعتذر لها  
ألف اعتذار.. ويمسح دمعًا قد سال على خديها.. يمسك بيدها..  
فيقبل ظهرًا منها وباطنًا.. ويصرخ.. أحبك.. ليس اليوم يا رباب  
أعلنها.. وإنما اليوم تتسرب من القفص الذي أرسلته بحبك إلى  
مكان سحيق بأعماق قلبي..

اعتذر ألف ألف اعتذار.. فأنا لولاك ما اتزنت روعي يا مولاتي  
وسيدة قصر شيد لك بقلبي.. ولكني إن أحببتك فأنا أخشى عليك  
مني.. لن تفهمي يا مولاتي شيئًا.. ولكني أحبك.. هل تسمعيني؟..  
كما تسمعني أمي..

أحكي لك يا أميرتي.. فاسمعي..

اليوم أنت بلا أب وأنا بلا أم.. وكأنما يا شمس عمري يغزل بنا  
القدر قصة شقاء.. فنرزق سويًا الشقاء.. ونتقاسم.  
أعلم أن الأمر كان صعبًا عليك.. إذ جئت وأنت الملكة تسلمين أميرًا  
غريبًا عنك مفاتيح مملكتك.. تعلنينها صراحة أن قد خرت أسوار  
مدينتك حبًا وشوقًا.. فتحت سراديب تزامت فيها كنوز حبك  
وحنانك.. أعلنتها ملكي..

فوقفت محتارًا لم أتقدم خطوة.. ولكن المؤلم في الأمر أنني أيضًا لم  
أتراجع خطوة.. فحبستك في حبي حبًا..  
ألف ألف اعتذار لن يكفوا..  
ولكني لن أستطيع أن أدخل مملكتك.. على الأقل الآن.. إن دخلت  
احترقت بما حملت معي من هم وغم.. وما لا تعلمين..  
وإن رحلت احترقت أنا.. أحرقتني وحدتي وفراقي لمن أعاد لي اتزان  
روحي.. يا شمسي.. يا فلگا أسبح فيه منجذبًا ومجدوبًا.. ألف ألف  
اعتذار..  
التفتت رباب.. فنظرت له.. وكأن كل الوجوه قد تلاشت.. ولم يبق  
سوى وجهيهما.. هي وهو..  
من فرط الدموع التي انسالت وتنسال.. كان المشهد مشوشًا.. ولكنه  
بدا لها ظاهرًا.. من وسط الجموع رأته..  
ميزت نظرة ينظرها.. كانت تفلت منه أحيانًا فتطير فرحًا.. إنها  
النظرة التي تروي جفاف قلبها كل حين كما يغاث الناس بعد  
السنين العجاف..  
اليوم ينظرها بلا توقف.. لماذا لا تأتين فأخبرك عن حبي لك..  
وتخبرني لم كان كل ذلك.. لماذا الهرب من واقع تعلمه؟ انظر إلى أبي  
الذي هرب.. هرب مني بلا سبب.. واليوم يرحل الرحيل.. ليس له  
تأجيل..  
قل لي ما ذنبي معك؟  
تحبسني فلا تطلقني

أنا الحبيسة عمري.. رأيت فيك نجاتي.. فإذا بك تأسرني وإلى سجن  
أبعد ترسلني.. ألم تركيف حبك؟ ألم تعلم أن قلبي لك؟!  
اقترب منها.. فقامت إليه..

مد يده إليها.. فمدت يدها..

تناول يدها.. فأمسك بها.. فإذا بها تخر دموعًا كحريق قد التهب..  
وقف جامدًا مصافحًا يدها لا يحرك يده ولا يقول شيئًا.. انتظرت  
طويلا فلم يغير شيئًا.. فتوقف الدمع متسائلًا.. وانفجرت شفثاها  
متسائلة بلا كلام أن ماذا تريد راجية من الله بدعاء خفي ألا  
يذبحها للمرة الألف بعد الألف.

ولكنه ترك يدها.. ثم قال:

- البقاء لله يا رباب.

ثم دار.. ورحل..

لم يلتفت خلفه لحظة.. فقط مضى..

وقفت هي على حالها بشفثها وقد زاد انفراجهما وبعينها وقد  
اتسعتا.. وفيض دمع جديد يأتي كموج كالجبال..

كانت تشعر أنها تصرخ.. ولكنها حاولت أن تتيقن هل هي تصرخ أم  
أن داخلها يضحج الصرخ ولا يصدر للخارج؟.. تكاد تشعر باختناق  
أنفاسها.. شعرت بعرق شديد ينساب على جبهتها.. وألم يأتي بقوة  
من أسفل بطنها.. ولكنها شعرت بعد قليل بألم بأطراف فمها.. فإذا  
به دم يسيل منه.. يبدو أنها لم تكن تصرخ بل كانت تحبس الألم  
وتعض طرف فمها بأسنانها كبتا للألم..

استوعبت الموقف.. أمها المسكينة لا تقوى على الوقوف.. أبوها في  
نعشه قد دخلوا به المقابر.. الزحام من حولها من كل مكان.. نسوة  
في سوادهن.. ورجال انشغلوا بالجنازة والدفن..

الألم يأتي من جانب بطنها الأيمن..

وهو يرحل.. يتعد دون أن يلتفت خلفه..

تجرعت ألمها وكظمته.. حتى انتهى كل شيء.. وعادت إلى البيت  
ونامت أمها في سريرها.. وازدحم البيت بالمعزين.. كادت أن تسقط  
من الإعياء..

فأمسكت بالمهاتف..

- ألو.. أنا أسفة.. ممكن تلحقني؟

أسرع إليها.. ركن سيارة أبيه .. صعد السلم جرياً.. لا يفكر في شيء..  
لا يتردد في ذهنه أي شيء.. فراغ فقط وإحساس بالخوف عليها  
سيطر عليه.. لا يريد أن يحسب ما يفعله أو يرى نفسه وهو ملهوف  
عليها.. ولا وهو يخترق صفوف المعزين الذين نظروا له بتعجب..  
وتساءلوا من هو؟

وجدها تجلس على كرسي في ركن صالة البيت منزوية انكمشت  
على نفسها تمسك بجانب بطنها.. لم تصدر سوى أزيز كبتا لألمها..  
وما إن رآته.. حتى صرخت صرخة مدوية.. وكأنما الصرخة قد  
حبستها حتى جاء.. صرخة هائلة وازت كل ما تجرعت من ألم..  
صرخة صمت لها كل من حضر.

- أنا بموت الحقني.

أخذها فحملها وشق بها طريقه وسط الكل ونزل بها السلم مندفعًا.. بين تعجب البعض وتدافع البعض الآخر للمساعدة ولكنه لم يسمح لأحد بمساعدته.. وضعها في السيارة.. ثم قفز إلى القيادة.. وانطلق.. تاركًا خلفه الكل غارقين في تعجبهم وقلقهم. مرت الأمور سريعًا.. وصل إلى المستشفى.. أخبروه أنها يجب أن تجري جراحة الزائدة الآن..

- لا تقلق الأمر بسيط جدًا المشكلة بس أنها اتأخرت أوي.. قالها أحدهم وهو يقدم له أوراقا كثيرة وقعها.. ثم مر الوقت.. وهو وحده لا يفكر في شيء، لا يجول بخاطره خاطرة واحدة.. وكأنه لم يرسل أمه اليوم إلى خارج البلاد..

لم يفكر كيف حتى وصل إلى هذه المستشفى ولا ما الذي فعله منذ قليل.. وكأن رأسه خاو. إحساس بالخوف تملكه.. شل تفكيره كان يحاول أن يتذكر متى شعر بمثل هذا الشعور من قبل. حتى رأى عبد العزيز..

- شعرت به يوم موتي.. لا تخف فالأمر أهون بكثير من موتي.

- رباب ماينفعش تموت.. أنا مبقاش ليا غيرها..

- أنت عايز منها إيه يا عم ما ترحمها.. ثانيا تموت إيه.. دي زائدة!

- أنا محتاجها أوي.. أنا ما صدقت لقيتها..

- وهتسيك بقى عبد العزيز مش كده؟

- أنا بحبها.

- بتحېما مرة واحدة!!.. طب قول محتاجها.. أخيراً لقيت الإنسان  
اللي يحبك واللي يقدرك، إنسان غير أمك وأبوك.. وإنسان  
مافهوش انشغال أمك وأبوك عنك.. ماتقولش بس بحېما قول  
لقيت اللي بتحبنى أخيراً.. أخيراً مش هبقى لوحدى.  
- بس أنا بحېما.  
- يا راجل.. طيب أنا مش هتكلم بس أنت عارف من جواك أنت  
خايف من إيه..  
- ماتنساش إني مصاحبك لأنى محتاجك لكن أنت ميت.  
- صح وهي عايشة أهي وكمان شوية هتلاقي الدكتور داخل عليك  
ويطمنك وبعديها تطلع الأوضة عندها وتشوفك أحلى واحد في  
الدنيا وتتولد قصة حب جديدة.. مبروك أنا روجي رياضية.. ولما  
إن شاء الله يموت الحب زى أى حب وتدور عليا هتلاقينى.  
- أنت عارف كويس إنى مش هينفع أحېا لأنى مش هتجوزها.  
- أنت مجنون رسى..  
- مجنون.. زمان أمي قالتلى كده لما سألتها.. ماما أنتى ممكن تعي  
زى جدتي.. قالتلي أنت مجنون.. ده احتمال واحد في المليون..  
وحصل.. ليه أنا كمان مورثش المرض ده؟.. أو على أقل تقدير  
أورثه لعيالنا لو خلفنا..  
- أنت خيالك واسع قوى. أنت بتقتل كل حاجة حلوة بينكوا  
عشان حاجة مستحيل هتحصل.

- بس حصلت مع أمي.. المرض ده وراثي وللا لأ؟.. جه لأمي وللا لأ؟..  
طب لو مجاليش ممكن يبجي لعيالي وللا لأ؟.. أبقى بدمرها زي ما  
أنا مدمر.. يبقى بحبها إزاي..

بدد شروده قدوم الطبيب.. وأخبره أن كل شيء بخير..  
جلس على أقرب كرسي.. تنهد وقد ارتاحت كل عضلة انقبضت فيه  
منذ قليل.. نظر أمامه فإذا بعبد العزيز يقول:

- ماتخافش كل حاجة ليها حل.. رباب مش هتخرج من حياتك مهما  
حصل.. اطمئن.. سيب ده على عبد العزيز..

قال له الطبيب كلمات مختصرة طمأنه فيها ثم أخبره أن يتبع  
إحدى الممرضات إلى غرفة رباب.. اتخذ طريقه خلفها وقد بدأت  
ملامح المستشفى تبدوله وكأنه قد دخلها للتو.. أزياء الممرضات  
والأطباء.. عربات تُجر هنا وهناك.. رائحة المرض والدواء في كل  
مكان.. رائحة الأمل واليأس.. الدموع والفرحة.. كل شيء قد  
اختلط..

هل أنت الآن يا أمي في مستشفى أخرى؟.. بعيدة تماما.. هل  
تفكرين في؟.. هل وجدت من يتحدث معك وتتحدثين معه؟.. أم لم  
يستطع أحد هناك أن يفك طلاسم سكوتك ويخترق صمتك؟..

عنابر عن اليمين وعن اليسار.. لم يشغل باله بقراءة ما كتب  
عليها.. حتى وصل مع الممرضة التي يتبعها إلى المصعد.. الذي وصل  
سريعاً بصوته المعتاد وانفتح فدخلت ودخل معها.. كان رجل وامرأة  
تبدو زوجته قد شغلا مكاناً بالمصعد والزوجة قد حملت طفلا

رضيغًا.. بدا عليهما أنهما في قمة الألم والقلق.. كان الرجل قد أسند زوجته إلى صدره وقد لف ذراعه حولها.. يحاول أن يبدو متماسكًا وهي تحمل الطفل الذي لم يكف عن البكاء..

كانت تخبر الطفل الذي لا يعي بالطبع شيئًا أن كل شيء سيكون على ما يرام.. كانت تحدّثه بلا توقف.. غير عابئة بمن حولها.. تخبره أنها تحبه وتحاول أن تداعبه.. وتخفف عنه.. وهي تمسح دموعًا تنساب على وجنتيها..

بدا له مشهدًا متكررًا متوقعًا في أي مستشفى.. بل وفي أي مكان.. أم تحدث ابنها الرضيع سواء كانت تلاعبه أو تخفف عنه أو أي شيء..

هل يفهمها؟ هو رضيع لا يعي من الأمر شيئًا.. هل أوقفها هذا عن الحديث إليه؟.. تذكر أمه..

هل كنت تتحدثين معي عندما كنت طفلاً تحمليني بين ذراعيك؟.. لماذا إذن لا أحدثك وأنت أمي؟.. حتى لو فقدت النطق..

نحن يا أمي لا نحتاج إلى الكلمات.. منذ جئت إلى هذه الدنيا.. فألقتني صدرك وأحببت رائحتك وصوتك وحضنك.. لا بل قبل ذلك.. منذ اتخذت من أحشائك متكأً ومسكنًا.. وتغذى جسدي بجسدك فكنا ذات الشخص.. كيف يحاول عبد العزيز أن يشكك في تحاورنا؟.. وما النطق؟!.. وما الحديث؟!.. كي يقفا كعائقين بين الجسد الواحد..

ولكن الآن أنت بعيدة جدًا.. جدًا..

أصدر المصعد صوته المعتاد وانفتح .. خرجت الممرضة فتبعها.. نظر خلفه نحو الأم وطفلها.. نظرت له الأم.. تلاقت نظرتها المليئة بالحزن والألم بنظرته الفارغة.. هل كانت تحاول أن تقول له شيئاً؟.. انتبه.. ولكن المصعد كان أغلق وجعل بينهما سدًا..

وقف على باب الغرفة وقد دخلتها الممرضة لتستأذن له بالدخول.. هل أجريت الجراحة بالفعل؟!.. كم مضى من الوقت؟.. أخرج هاتفه فتبين له أنه قد مر ثلاث ساعات أو أكثر.. وجد عشرات الاتصالات التي لم يرد عليها.. فاجأه اتصال آخر.. ولكن الممرضة جاءت لتشير له بالدخول.. فهز رأسه وأشار نحو الهاتف.. رد على الاتصال، وما إن رد حتى هاجمه صراخ وسباب..

كانت أم رباب.. استوعب الأمر.. لم يعلم ماذا سيقول، بالفعل أين غاب وعيه لثلاث ساعات؟.. حاول أن يبدو هادئًا.. انتظر حتى تمر عاصفة الصراخ والسباب.. وبين كل صرخة وسبة كان السؤال الذي لم تنتظر حتى لتسمع رده.. أن أين رباب؟  
تماسك ثم قال بهدوء..

- اهدى لو سمحتي رباب بخير.. حضرتك كنتي تعبانة جدًا ورباب اتصلت بيا عشان ألحقها ملحقناش نفهم حضرتك.. الزيادة عندها كان لازم تتشال.. والحمد لله عملت عملية.. وبقت كويسة. صمت مرة أخرى ليمرر عاصفة أخرى من السباب والصراخ.. ثم أكمل..

- أنا آسف أنا فعلا كان لازم أتصل اطمنكوا أو أرد على المكالمات  
بس أنا كنت متاخذ في الموقف أوى وكان لازم أوصلها مستشفى  
بسرعة.

أخبرها بعنوان المستشفى.. ثم أغلق الهاتف في وجه بقايا عاصفة  
الصراخ.. دق دقات خفيفة على باب الغرفة.. ثم دخل.  
كان كأنما يدخل حلما..

إضاءة بيضاء.. تصطدم مع بعضها البعض في كل اتجاه بفعل  
الحوائط شديدة البياض.. وأثاث الغرفة الأبيض.. فبدا له البريق  
يأتي من كل مكان.. وكانت هي في المنتصف.. تمددت على سرير..  
أحاطها هالة بيضاء.. هل تؤنسها الملائكة؟.. يقولون إن الله عند  
المرضى..

هل الله هنا؟!!..

هل هو هنا بذاته أم برحمته ونوره؟.. أربكه هذا الخاطر..

فتحت عينها.. ونظرت له..

كان يتوقع أن يراها في حالة مزرية.. فإذا بها تأسره بجمال لم يعتد  
أن يراه فيها.. ما إن التقت أعينهما ونظرا مطولا.. حتى انتفض من  
داخله.. وكأنما قد أتم وصل تيار كهربائي..

شعر أن كل البريق الذي حوله قد خفت وانفردت هي بالضياء  
والبريق.. كاد أن يسأل من أنت.. يشعر أنها المرة الأولى التي يلقاها  
فيها..

- شكلي مهيدل؟

قالتما بصوت يكاد يسمعه.. وابتسمت فزاد جمالها..  
 - أنا إزاي عمرى ما قلتك إنك جميلة أوى؟..  
 لم ير من قبل ولا من بعد ردة فعل كالتى فعلتها.. كانت الفرحة  
 والدهشة والألم والإعياء والخجل قد نثروا على وجهها نثرًا..  
 لم ترد.. ولم يصف كلمة..  
 لم يفهم ماذا حدث في هذا اليوم أبدًا.. من أنت؟.. من أين لك بكل  
 هذا النور؟  
 عندما رآها في ذلك اليوم.. أدرك أنها ستكون بريقه الجديد.. يتذكر  
 اللقاء في كل مرة فلا تزيد تفصيلاً ولا تنقص.. وكأنما حفر اللقاء  
 الأول في رأسه حفراً غائراً..  
 كانت هي كل شيء.. هي المشهد وما شاهد.. هي الضوء والهالة.. هي  
 الإيقاع والسكون.. هي كلما تكلمت أسرته وكلما سكتت أشعلت به  
 الفضول فإذا نظرت له انتبه وإذا التفتت عنه انقبض.. وكأنما هي  
 السحر وهو المسحور له!  
 تستقر هي بهدوء في كل وجدانه من أول لحظة من قبل أن يتحادثا  
 وكأنما امتلكت مفاتيح مملكته من قبل نشأتها.. المشهد باختصار..  
 هو.. ثم هي من العدم تظهر.. فتخر أسوار مدينته وتستسلم لها  
 مملكته ويفرش لها الطرق إلى قلبه زهوراً لها رائحة لا يدرك من  
 أين أتت.. رائحة لم يشمها من قبلها ولا من بعدها.  
 - هو إيه اللي حصل؟

كانت تحاول أن تتذكر فساعدتها.. أزاحت الغطاء ونظرت إلى موقع

الجرح.. ندبة مستقرة بجانب بطنها.. بدت لها بشعة..

- الجراح اللي عمل العملية دي إزاي يسبب شكل الجرح كده؟..

سألها:

- بيوجعك؟

- أوى.

اقترب منها.. يكاد يسمع صوت قلبها يدق دقا.

- عارفة يا كريمة.. لما قرب مني.. كنت حاسة إن روحي هتطلع مني..

قلبي دق لدرجة إنى حسيت إنه هيقف.

مد يده ووضع راحة كفه على مكان الجرح.. وقال لها "عشان كل ما

تشوفيه.. تعرفى إنى بحبك".

- حسيت يا كريمة إن الألم اختفى في ساعتها.. لكن بعد كده

فضل يألمنى العمر كله.

لم يشعرها هل تحدثا كثيرًا أم قل الحديث.. كانت الكلمات وكأنما

ولدت من جديد.. وكأن كل نظرة لم تكن نُظرت من قبل وكل

سكون لم يكن سكن من قبل.. وكل ابتسامة لم تكن أشرقت من

قبل..

مد يده فأمسك بيدها.. فدخلا في صمت طويل ونظرة جمعتهما.. لم

ينطق.. لم تنطق..

ولكنه من داخله كان يعتذر لها ألف ألف اعتذار.. كان مدينًا بهم..

ثم جاءه ما انتظره.. إذ تقول عيناها شيئًا.. ويأتي لها من قلبها

الحديث دون الكلمات ودون النطق.. قالت بألف ألف طريقة أن أحبك.. فهوى قلبه إليها.. وفتح فمه ولكنه لم ينطق بل حرك شفثيه أن أحبك.. تمامًا كما كان يفعل مع أمه.. ثم تزلزل فرحًا حين حركت شفثيها دون أن تنطق شيئًا أن أحبك..  
قرأ ما قالته شفثاها.. تمامًا كما كان يقرأ شفثي أمه..

- فاستبدلني.

- أستبدلك وأنتِ أمي؟

- نعم .. رباب.

- رباب؟!!

- نعم.. تحبها؟

- لم يدق قلبي لسواها..

- وهي؟

- سلمتني مفاتيح قلبها.. فتركت يدها ممدودة وتركها وكأنها صارت نسيًا منسيًا.

- إن كانت حبيبتك ستصير أمك.

فجأة اقتحمت أمها الغرفة بعاصفتها التي اعتادها في مكالمته لها.. وتبع أمها الكثيرون.. ازدحموا حولها.. فحالوا بينها وبينه.. وجد نفسه وقد ابتعد حتى نهاية الغرفة موسعًا لهم الطريق للاطمئنان عليها.. ولكن النظرة بينهما لم تكن قد انقطعت رغم الزحام.. ظلت النظرة بينهما تصل روحًا بروح.

إلى أن حرك شفثيه أن أحبك.. فحركت شفثيها أن أحبك ورحل.

خرج من المستشفى يمضى خفيف الروح.. سعيداً كطفل وجد أمه  
بعد أن ظن أنه ضل عنها.. ركب السيارة.. منتظراً أن يجد عبد  
العزیز فلم يجده في السيارة.

- إيه الرومانسية العظیمه دى؟.. أنا كنت هعيط .

قالها عبد العزیز وهو يقود موتوسيكلًا بجوار سيارته.. فرد عليه  
قائلاً:

- أنت ما حرمتش من الموتوسيكلات؟

- وأنت ما حرمتش تلعب ألعابك المملة دى؟

- أنا باحب رباب.

- أنت معتقد إن رباب هي المسكن الجديد بتاعك.. كفاية مسكنات  
وخذ علاج بقى.

- أنا بعرف أتحكم في كل حاجة ما تقلقش.

- أنت مش قلت مش هينفع تتجوز رباب.. عشان خايف من  
الهانتيجتون ديسيز؟ مش قلت يمكن يجيلك زي ما جه لمامتك

وجدتك أو يمكن بيعي لعيلك من رباب؟

نظر لعبد العزیز بابتسامة واسعة.. فابتسم عبد العزیز ذات  
الابتسامة..

- جرى إيه يا عبد العزیز؟.. أنت هتستعبط؟.. إذا كان أنت اللي  
حطيت الخطة معايا..

ضحك عبد العزیز بقوة..

- هي لسه ما تحطتتش.. خطوط عريضة بس.. تقدر تقول إلهام..  
كمل أنت بقى..

ضحكا بشدة.. ثم زاد عبد العزيز من سرعة الموتوسيكل فانطلق  
بقوة حتى اختفى..

نظر إلى الطريق الذي امتد بلا نهاية أمامه.. ثم قال:

- أنا باحبك يا رباب.. عمري ما اتخيلت كده..

ثم أخرج هاتفه وبعث لها برسالة.. كان يعلم أنه أرسل ذات  
الرسالة من قبل بالأمس..

"رباب أنتى أحن وأجمل بنت في الدنيا.. مهما حصل مش هينفع  
أسيبك تخرجى من حياتى".

نظر إلى الرسالة ثم قال:

- مش هينفع أسيبك تخرجى من حياتى.. مهما حصل..

كان عبد العزيز قد عاد.. يقوم ببعض الحركات المهلوانية  
بالموتوسيكل من حوله..

وهو يقول:

- تقدر تقول إلهام.. كمل انت بقى.. أنت مجنون رسعي!!





## القسم الثاني

يبدو الأمر دومًا وكأنما توقف فجأة وانتهى.. ثم قد ندرك أو لا ندرك أن الأمر كان ينتهي منذ البداية عشرات المرات حتى لفظ اللحظة الأخيرة.. فلا نية لبدء إلا ومعها نية لنهاية.

حتى قصص الحب التي نتمناها خالدة.. منذ أول لحظة ميلاد يعيها أنها تتخذ طريقًا بشريًا عكس طبيعتها.. فالبشر فانون تميل نفوسهم للفناء والإنهاء والانتها.. فلا يستطيع العقل البشري تصور الخلود إلا بقدرة تفوق قدرته أو بعالم بغير طبيعته.. فالحب يجري لمستقر له.. كما كل شيء.. فلا سبيل له إلا أن يموت.. ولكنه قد يكون خُلق أطوارًا.. كفراشة شقت طريقها بكفاح.. فإن مات الحب قد يعطي رحيقه لمودة أو عادة أو غريزة أو أمر واقع.. فالحب حلقة تصل لحلقة لا طريق ممدود بلا نهاية.



## ١

كانت.. في البدء أمه.. ثم صارت رباب..  
كان في البدء كل شيء منتهيًا من قبل حتى ولادته..  
وقف أمام باب فيلها التي بدت له عملاقًا ضخماً للمرة لثانية..  
جاء بالأمس ولمحها، كانت هناك على بعد بضع درجات من سلم  
خشبي.. هي الشمس وهو كوكبها الذي ابتعاده عنها اقتراب.. هي  
الفلك الذي سيح فيه فابتعد مقترَّبًا.. هل تفهم هي ذلك؟..  
بالأمس التقت أعينهما.. ولكن حنان عينها كان قد طمره الغضب  
والحزن.. رباب كانت غاضبة بالأمس.. كان ذلك سهل التمييز.. ما  
إن رأته حتى فرت.. لا أعلم هل توقعت ذلك أم لا.. ولكنني جئتُك يا  
رباب في ميعاد قد كُتِب لي أن ألقاك فيه.. وهل كنت أعلم أن القدر  
سيجمعنا بهذه السرعة؟.. كيف سأبدو حزينا لموت زوجك وأمك؟..  
وكيف سألقي بكلمات العزاء وهو يوم فرحتي الأكبر؟.. إن عدتِ  
كما كنت.. الشمس لفلكي.. يبدو ذلك أنانيًا بعض الشيء ولكن إن  
بدت لك بواطن الأمور لعلمت أن منتهى الحب هو شعوري.. كنت  
أنتظر هذا اليوم منذ ابتعدت عنك.. ظل الفراق يعصر قلبي  
والوحدة تحرق جوفي مرارة أملا في يوم كذلك اليوم.  
اليوم أعود كفارس مغوار يعيد فتح مملكته المغتصبة.. ملك ماهر  
سياسي محنك، ينجح في تنفيذ خطته.. يسترد بشرف الفارس ما

أخذه منه الزمن.. أنت مملكتي التي لم تكن لي يد في ضياعها..  
المملكة التي استلمت منك مفاتها منذ القتين.. لم أكن لأفرط  
فيما منحت.. ولكنه قدر الفرسان ومسئولية الملوك.. فلك ومن  
أجلك جبت صحراء الوحدة طريداً.. كملك ضاع ملكه وتكالب  
عليه كلاب الزمان.. يصارعهم من أجل البقاء.. ولم البقاء؟.. البقاء  
من أجل هذا اليوم.. نصر خارق.

لم أكن أعلم أن عدلاً كهذا العدل سيقع.. فيسارع الزمن بإزاحة  
زوجك بهذه السرعة.. كنت أحسبه زمناً طويلاً فصار قصيراً.  
أنا آسف.. لم أكن أريد أن آتي لك فاتحاً فيسقط موتي في معركتي..  
كنت أريده فتحة نبيلاً يليق بفارس حدودتك وملك مملكتك.. ولكن  
الضحايا يسقطون حتى في الحواديت..

حتى الخيال قد يصير قاسياً وقاتلاً.. ولكنك لا تعلمين شيئاً، ولو  
علمت لأدرت أن ذلك منتهى الحب وقمة التضحية.  
هل أنكر أن هذا ما تمنيته وسعيت له؟.. فلم يترك أحد لي اختياراً  
سوى ذلك.. كنت أظن تحقيقه مستحيلاً، ولكن الرياح أحياناً تأتي  
بما تشتهي السفن بالضبط..

قرع الباب.. فإذا بكريمة تفتح له الباب فيدخل..  
ما إن توقفت رباب عن تكلمة ما بدأت.. حتى قالت كريمة:  
- طب وبعد ما حبتيه وحبك إيه اللي خلاكي تسببه وتتجوزي حد  
تاني؟

عدلت رباب وضع ظهرها ونظرت لجميلة لتطمئن إلى وضعية نومها  
ثم قالت:

- عشنا أحلى أيام ممكن أحكيك عنها.. عارفة لما فجأة سد ينزاح  
ممكن الميه يبقى شكلها إيه؟.. فيضان مشاعر سنة ونص..  
وفجأة.. حول من الكلية لجامعة تانية وقالى إننا لازم نبعد عن  
بعض.

نظرت لها كريمة مستفهمة وقالت:

- كده بدون أسباب؟

هزت رباب رأسها وقالت:

- آه كده بدون أسباب.. حاول يشرحلى.. بس أنا مفهمتش وقتها  
كانت الصدمة عمياني.. فضل كل يوم لمدة أربع سنين يبعثلى  
نفس الرسالة إني احن حد في الدنيا وإنى مش هخرج من حياته  
مهما حصل وفضلت أكلمه كل يوم لمدة أربع سنين وميردش.. كل  
اللي عرف الحكاية دى قالى إنه مجنون بس أنا اللي كنت مجنونة  
إنى بعد كل ده كنت بحبه.. وكنت بتجن لما يتأخر في معاد  
رسالته.. رفضت كل العرسان اللي اتقدمولى.. لحد ما في يوم قطع  
رسالته المعتادة.. وقالى إنه مسافر لأمه في لندن.. لأن المرض زاد  
عليها ونفسه يشوفها.. وإنه بينصحنى إنى أتجوز وأنساه.. ساعتها  
كنت باختصار شديد عشان أوصفلك حالتي.. كانت أقرب إنى  
أنتحر.. لقيت فجأة الأرض بتنشق عن المرحوم.. مكنش عريس  
وبس.. كان فجأة إنسان قدر يستوعب ويتحمل منى اللي محدش

يقبله ولا يتحمّله .. صمم يعرف سبب رفضي.. قتلته كل حاجة..  
قتلته إن قلبي مقهور وإنى بموت كل يوم.. قالى إنه مش عايز منى  
حاجة إلا إنى أديله فرصة يسعدنى ويفرح قلبي كل يوم لحد  
ميموت.. وكأنه كان عارف أنه فعلا هيعمل كده.. وافقت لأنى  
حسيت إنى استاهل الشخص ده.. تصورى أنه يوم مجه يخطبنى  
قالى إنى لو حببت أطلق في أى وقت هو موافق.. بشرط أن يكون  
دى هيسعدنى !!.. كان شخص غريب.. كأنه جنى جالى يحقلى  
كل أمنياتي.. وينسيني كل حاجة ..

قالت كريمة بحنان:

- وكمان إداكي جميلة..

ابتسمت رباب وهي تمسح دموعها..

- أكيد.

دقت الساعة الضخمة في الطابق السفلي لحنا مقتضبًا ثم دقت  
اثنى عشرة دقة.. فإذا بكريمة تقوم مسرعة إلى الخارج تاركة رباب  
في ذهولها ثم تأتي بعربة تجرها تحمل تورتة حملت اسم رباب  
وجميلة.

- أنا آسفة.. أنا عارفة إن الوقت مش مناسب.. بس إنتى تستاهلي  
إنك تتبسطى حتى في وقت زى ده.. وده مش كلامى ده كلام  
المرحوم.. كل سنة وإنى وجميلة طيبين.

ثم بدأ احتفال صغير.. أيقظوا جميلة.. التي قفزت إلى حضن أمها  
وانهالت عليها قبلا.

كانت كريمة ترقب المشهد بهدوء.. تنظر إلى الفرحة التي تسللت إلى رباب وهي تلعب مع ابنتها.. لم ترد أن تزعجها فانسحبت بهدوء.. وجالت الفيلا ممسكة ببخور غزت بدخانه ورائحته كل ركن.. ثم توجهت إلى صدر الطابق السفلي.. وأدارت الكاسيت وزادت علو صوته حتى ملأ الفيلا كلها.. فصاح الشيخ عبد الباسط مرتلا..

﴿كَهَيْعَصَ﴾!

\* \* \*

استيقظت رباب لتجد نفسها في مواجهة الشمس.. انفتحت كل ستائر البيت.. رائحة البخور تزخم المكان.. وزهور قد ملأت غرفتها.. وكريمة تقف بين يديها.  
- النيسكافيه..

مدت رباب يدها وهي تزح عنها نومًا عميقًا كان قد نال منها.. ثم نظرت مستفهمة.. وقالت مقتضبة:  
- الستائر!!

فهمزت كريمة رأسها معترضة.. ثم جلست بجوار رباب وقالت:  
- إنهارده مفيش نزول الشركة.. ولا فيه قفل ستاير.. إنهارده فيه ضيف مهم..

نظرت لها رباب متسائلة فأردفت كريمة:  
- أنتي عايزاه معاكى وللا لأ؟

شعرت رباب بالدم يتدفق إلى رأسها غضبًا تزاخمت الكلمات ثم  
قالت:

- أنا مش فاهمة حاجة خالص.. أعتقد إنى لوشفته تاني هطرده..  
أو هعيط.

قامت رباب ونظرت نحو جميلة وقبلتها.. ثم أشارت لكريمة..  
- أنا عايزة أبقي جاهزة.. اطلعي برة شوية .. جهزيلي الحمام وأنا  
جاية.

وقفت رباب بمواجهة المرأة، وما إن خرجت كريمة حتى تعرت..  
ونظرت إلى جسدها الذي بدا لها.. ثم وضعت يدها على ندبة  
الجرح.. وقالت:

- أنا ليه سيبتك كل الوقت ده تعيش معايا؟.. ليه ممسحتكش  
من حياتي؟

فتحت كريمة الباب فوجدته.. كان ما زال يتأمل باب الفيلا..  
فنظرت له كريمة طويلا حتى قال لها:

- رباب هتشوفني ولا أمشي؟  
لم ترد ولكنها أدخلته وأجلسته على أريكة في وسط الصالة.. في  
مواجهة السلم.. ثم قالت:

- مدام رباب نازلة حالا.  
مضت هي وجلس هو.. من على أريكته المواجهة للسلم ينتظر  
شروقها.. فإذا بها تشرق.. السمراء الرقيقة.. بدت له في سواد  
ارتدته .. بدت له أجمل ألف مرة مما سبق.. رفعت رأسها

فالتقت الأعين.. نظرت له فانتظر فيضاً من حنان وشوق فلم يجد سوى صفة قوية من عينها.. فارتد ببصره بعيداً.. حتى استقرت هي أمامه.. وقفت أمامه مباشرة.. وصمتت.  
شعر أن الزمن قد توقف.. لم يستطع أن يتحرك قيد أنملة.. ولكنه أخيراً قال:

- البقاء لله يا رباب.

لم ترد ولكنها جلست أمامه.. وضعت ساقا على ساق.. لم يستطع أن يبعد نظره عن ساقها.. جال بخاطره أن تلك المرة الأولى التي يرى فيها ساقها.. رفع نظره إليها فإذا بها صامتة.. قال:

- إننى اضياقتى إنى جيت؟

زفرت ثم أخرجت سيجارة من علبتها.. أشعلتها.. قالت:

- أنت جاي هنا لمين؟

ما إن سمع صوتها حتى انشق من قلبه فيض من شوق لها..

- وحشنى صوتك أوى.

قاطعته بحدة:

- حياتك الباقية.. أنت لو جاي لرباب اللي تعرفها فيبقى أنت جاي

تعزى فيها هي كمان لأنها ماتت.. اللي قدامك دى رباب تانية..

أشارت إلى الفيلا من حولهما ثم أضافت:

- ولا أنت مش واخذ بالك؟

نظر لها مطولاً.. ثم ابتسم.. اقترب منها ومد يده إلى علبتها فسحب

سيجارة وأشعلها وجلس بجوارها..

- ولا أنا نفس الشخص..

اقترب منها أكثر وقال:

- وأنا جاي عشانك إنتي مش عشان رباب اللي ماتت.. جاي عشان رباب الجديدة والشخص الجديد اللي قدامك ده.. إحنا الاتنين نمشى بقى كفاية علينا كده.. أنا جاي أرجع رباب القديمة وأرجع نفسى.

قامت من جواره.. توجهت إلى نافذة قريبة.. فاقترب منها ووضع يده على كتفها..

- أنا عمري ما قصدت إني أذيكي..

نزعت يده بعنف وقالت:

- أنت عايز إيه؟

- عايز أقولك إني ما بعدتش عنك ولا يوم.

- لا يا رجل!

- مسيرك تفهني..

- حاول ما تستفزينيش.. افتكر إنك جاي تعزيني.

- ماما بتسلم عليكي.

نظرت له غير فاهمة ثم قالت بصوت خفيض:

- الله يسلمها.. هي..

ثم لم تجد ما تضيفه.. كانت تحاول أن تنتقي الكلمات..

- لا أكيد هي نسيتك تمامًا.. وأكيد هي نسيته برضه.. ماما دلوقتي برضه شخص تاني.. المرض بيقتضي عليها تمامًا.. بس أنا متأكد إنها لو كانت في وعيها كانت هتبقى بتسلم عليكى..
- الله يسلمها.. المقابلة انتهت.. أنا ورايا مواعيد كثير.
- الشركة؟.. إنتى تعرفى حاجة عنها؟.. تفهمنى في شغلها؟
- أظن إنك لسه ما فهمتش إنى اتغيرت.. أنا أقدر أمشي مليون شركة.
- إزاي تبقى مديرة شركة ومش عارفة أهم موظفينها؟
- يعنى إيه؟
- عمومًا أنا أهم موظف في شركتك.. ده لمعلوماتك.. فلو مش عايزة تكمل كلامنا هنا ممكن نكملة في الشركة..
- أنت لسه مجنون زى ما أنت؟
- ابتسم بهدوء زاد من استفزازها ثم قال:
- أكيد وإلا ماكنتش أستحمل إنك تبعدى عنى كل ده.. عايزة تشوفها جنان ماشى.. لكن أنا شايف إن ده جنون بيكي إنتى.
- تمالكت رباب خطواتها حتى عادت إلى السلم..
- أرجوك.. أخرج من حياتي كعادتك وسيبك من الجنان بتاعك ده.. أنا مش ناقصة.
- أنا لو سيبتك هتخسري كل حاجة.. إنتى مش هتعرفى تديري كل ده.
- نظرت له تحاول أن تستوعب جملته..

- أنت جاي بعد كل السنين دي عايز فلوس!!
- إيه الى انت بتقوليه ده؟.. فلوس إيه!.. أنا جاي ليكى إنتى..
- اقترب منها ثم نظرت في عينها وقال:
- رباب.. أنتى أحسن واحدة في الدنيا وأنا لا يمكن أسيبك تطلعى من حياتى..
- شعرت رباب بألم شديد في بطنها فأمسكت بجرحها الذي اتقد ألمًا.. فوضع يده على يدها وضغط بها على جرحها.. فشعرت بالألم يتبدد..
- صدقينى لو فهمتى هتعرفى أد ايه أنا بحبك.. أنا بحبك يا رباب.
- بكت رباب بقوة.. ثم قالت:
- لو سمحت اطلع بره..
- تركته رباب وابتعدت نحو غرفتها ولكنه أوقفها قائلاً:
- ممكن أشوف جميلة؟
- نظرت له رباب وقالت:
- لو سمحت امشي بقى.
- ولكنه قال بصدق أحسته:
- ممكن أشوف جميلة وأمشى على طول؟.. ولو عايزانى أمشى وماتشوفنيش تانى أنا موافق بس أشوفها.
- لم تستطع أن تمنع تأثرها بالصدق الذي شعرت به في كلامه.. فقالت وابتسامة تشق طريقها وسط دموعها:
- حاضر خليك هنا هجيبالك.

صعدت هي إلى الطابق الثاني بينما تجول هو يشاهد صور رباب وجميلة التي ملأت المكان.. حتى سمعها قادمتين.. التفت فإذا هي تأتي بها.. شعر بقلبه يهوي إلى قدميه.. كان ينتظر هذا اللقاء منذ زمن.. كان لا يعلم كيف سيكون اللقاء ولا متى.. لم يكن يعلم أنه بهذه السرعة.. اقترب منها.. حملها من رباب.. حاول أن يسيطر على رعشة أصابعه.. لمح عبد العزيز يجلس على كرسي في منتصف الفيلا يغمز له بعينه.. ولكنه ابتسم له مقتضياً.. وقبل الطفلة..

- جميلة.. اسم على مسمى.

ناولها الطفلة وهو لا يستطيع أن يخفي رعشة أصابعه أكثر من ذلك.. فجلس على أقرب كرسي..

- ممكن أسألك سؤال؟

أشارت له أن اسأل..

- إنتي كان ممكن تتخيلي حياتك من غير جميلة؟

وقفت تنظر إليه لا تعلم ماذا يقصد فأكمل هو:

- عمر في حاجة بسطتك أكثر منها؟.. يعني لورينا مكنش أراد إنك

تخلفي مثلاً لا قدر الله.. كنتي هتبقى سعيدة؟

- أنا عندي جميلة بالدنيا كلها.. هي أجمل حاجة في حياتي.

- هزرأسه.. ثم قام وتحرك نحو الباب..

- دى الحاجة اللي كنت عايز أعرفها.. عموماً أنا أسف.. ماكنتش

عايز أتعبك بس واضح إنى أرهقتك.

- استنى..

- قالتها بحرقه ثم جلست وقالت:  
- أنا عارفة إنك لو مشيت دلوقتى مش هترجع تانى أنا فاهمة..  
فبما إنها آخر مرة هشوفك فيها.. ممكن تقعد شوية.  
نظر إلى ساعته.. فوجدها الثانية صباحاً..  
- إنتى عارفة الساعة كام؟  
- لا.  
- اتنين.  
- اتنين!!  
- أنا لازم أمشى.  
- مش هشوفك تانى؟  
- تتجوزيني؟



كانت طلبت منه البقاء.. فبقي.. ظلاً جالساً يحدق كل منهما في الآخر.. لم ينطق أي منهما بكلمة.. حتى فجأة انهالت الكلمات..  
وسُردت الحكايات.  
حكى لها عن أمه..  
أمى تعبانة أوى يا رباب.. ماكنتش أعرف إن المرض ده ببذل أوى كده.. يمكن عشان جدتى ماتت بدرى وأنا كمان كنت صغير فمعرفتش أحس بخطورة المرض وصعوبته.. بس أمى بتتعذب يا رباب.. أمى المرض بيخليها مش متحكمة في ولا عضلة من عضلاتها..

أطرافها ورقبتها بيتتحركوا تحركات لا إرادية .. طول الوقت جسمها بيتنفض ويتهمز.. ذاكرتها أقرب للصفر.. أكثر حاجة مذلة في المرض ده إنك مش بتعرفي تعملى حاجة غير إنك تشوفها وتبكي..  
 أمى برنامج العلاج بتاعها قرب ينتهى.. المفروض ترجع من لندن لأن مصاريف العلاج بعد مانتهى البرنامج العلاجى هتبقى مكلفة جداً..  
 ومش عارف هقدر أتحمل مصاريفها لحد إمتى.. لازم أسافر أجيبها مصر .. إزاي معرفش.. إزاي هتركب طائرة وتتنقل هنا معرفش ..  
 الناس هتفتكرها مجنونة.. أمى مش مجنونة يا رباب.. أمى عندها مرض بياكل في أعصابها..

- ليه ما يروحش معاك باباك أهويهون عليك؟

- بابا.. بابا من ساعة ما ساب ماما هناك وهو منهار.. قدم على معاش مبكر.. قعد في البيت.. قعد فترة يسكروينام مع بنات أد عياله.. كان بييجي علينا الشتا تلاقيه نازل في عز المطر بلبس صيفي وهو شارب طينة وناس تجيبه آخر الليل مش عارف يمشى من السكر يرموه على السرير.. وهو بيشتهمم ويزعق فيهم.. أنا فاهم إنه كان عايز يموت ومش عارف.. الموت ساعات بيبقى رفاهية صعب توصيلها..

بعد كده ربى دقنه ولبس جلابية واعتكف في مسجد.. أنا قلت هيتدروش ومخه يفوت.. لكن بالعكس فتح بقالة وعطارة..  
 واتجوز ثلاثة..

ضحكت رباب حتى أيقظت جميلة من فرط الضحك ولكنها قالت:

- أسفة إني بضحك بجد.
- ضحك هو أيضا:
- بس بيني وبينك هي حاجة تضحك فعلا.. أقولك على سر؟
- تحمست كطفلة وهزت رأسها بفرحة أن قل..
- فاكدة ريهام؟
- عبست في وجهه ثم ما لبثت أن ابتسمت..
- طبعا المزة اللي كنت عايز ترتبط بيها زمان.
- أبويا السبب في الموضوع ده.
- إزاي يعني؟
- أبويا لما عرف إن أمي جالها المرض اللي ورثته عن جدتي.. بدل ما يحاول يسعدها ويستحملها خانها.. عرف عليها ستات تانية.. لما أمي عرفت فقدت النطق تماما.. أنا فاهم إن مش ده بس السبب.. بس كان كتير عليها إنها تعرف إن حياتها اللي المفروض قدامها كام سنة وتنتهى.. لأ دى الناس كمان اعتبرتها انتهت من دلوقتي وجوزها نفسه بدأ يتعامل على إنها ماتت..
- أنت عمرك ما فهمتني كده زمان.
- المشكلة إن ماما ما طلبت الشطلاق ولا خدت موقف هي بس سكتت.. سكتت نهائيا.. أنا كنت هتجن عايزها تتطلق منه أو تغضب تثور أى حاجة.. كنت عايز أقولها إنتى لسه مموتيش.. بس هي قالتلى.. إن كل الرجالة كده. وإن هي عاذراه لأنها دلوقتي مش هتقدر تقوم بدورها كزوجة ولا تلبيله يعنى احتياجاته..

- ساعتها يا رباب.. خفت أوى وشكيت في نفسى أنا كمان.. منا رجل  
وقررت إنى لازم لما أتجوز أتجوز أجمل ست في الدنيا..
- ريهام أجمل ست في الدنيا?!!
- مش قصدى يا رباب.. بس ساعتها كمراهق.. فكرت في الستات  
جسدًا.
- وأنا بقى ماعجبتكش جسدًا وعجبتك ريهام?!
- رباب أنا مش هعرف أفهمك. بس في النهاية لما حبيت.. حبيتك  
إنى.
- أنت مش واخد بالك إن كلامك بيوجع.
- لا بالعكس كلامى لما تفكرى فيه تلاقينى حاربت كل ظروفى وكل  
حاجة عقدتنى في حياتى عشانك.
- أنت ليه بتحسبها أوى كده?.. ليه كل حاجة بتحولها لعقدة  
ولمشكلة?..
- كلنا كده يا رباب مش أنا بس..
- أنت هتسافر لمامتك إمتى?
- مش عارف بس المفروض في أقرب وقت.



- شربا نيسكافيه.. لعبا مع جميلة وحكت له عن زوجها..
- حمايا كتب لجوزى كل أملاكه.. ده قبل ما يخطبنى.. كان ده بناءً  
على خناقة حصلت بين حمايا وبين إخوانه عمام جوزى.. كان  
جوزى الله يرحمه وأبوه وأمه سافروا أمريكا من زمان وبقوا

بيديروا كل شغلهم من هناك.. ولما اتقدملى قالى أن كل نيته إنه يسعدنى.. عرض عليا إنه يكتبلى حاجات كتير قتلته أنا مش عايزة مسئوليات.. أنا عايزة اتبسط وبس.. كان بيعمل أى حاجة عشان يبسطنى.

أبويا قبل ما يموت رجع فجأة لأمى.. قال إيه رجع عشاني وعشان يعوضني عن كل اللي فات.. رجع مليونير حول كل تراب الدنيا لدهب.. ماعدا أنا وأمى كان حولنا لتراب.. أمى فرحت ووافقت على طول ولا كأنه دمرلها حياتها.. ومات.. وفجأة بقت أمي عندها فلوس كتير أووى.. وأنا عندى فلوس كتير أووي.. أمي اللي عمرها ما كانت بتفكر تجوزنى وكانت فرحانة إنى معاها طول الوقت بقت هتتجن تجوزنى.. نسيته مبقتش شايفة إلا إزاي تكبر الفلوس اللي هي أصلا كبيرة.. لحد ما لقت جوزى ولقت إن ده أسرع طريقة تضاعف بيها الفلوس..

هي كانت حاسبها كده.. أنا كنت حاسبها إنى هروح أمريكا وأهرب مع حد كل حلمه إنه يسعدنى..

أشعلت سيجارة.. ثم قالت:

- أنت غبي أوى.

ابتسم وقال:

- أنا عارف.

- أنت حمار على فكرة.

- أنا عارف.. بس أنا عمرى ما نسيتهك.

- نظر إلى ساعته فوجدها الثانية صباحًا..

- إنتى عارفة الساعة كام؟

- لأ.

- اتنين.

- اتنين!!

- أنا لازم أمشي.

- مش هشوفك تاني؟

- تتجوزيني؟

\* \* \*

٢

تتجوزيني؟

أي سؤال ذلك؟.. لماذا أتزوجك الآن؟.. انتفضت.. دق القلب مراراً..  
أضاءت أنوار كانت قد أطفأتها منذ زمن..  
- أتجوزك؟

- أنا عارف إن الوقت مش مناسب.

- بالضبط.. بالضبط جداً.. أنت طول عمرك الوقت عندك مش

مناسب.. بس أنت مسألتي نفسك.. أتجوزك ليه؟

- عشان إحنا طول عمرنا لبعض.

- لأ أنا كنت طول عمري ليك.. وأنت عمرك ما كنت ليا.. وأنا

دلوقتي عشان أتجوزك أنت فاهم ده معناه إيه؟.. معناه إني ههد

الدنيا على دماغى.. أنت فاكر أهل جوزى هيسيونى أتجوز

بالسهولة دى.

- إنتى فاكرة أهل جوزك مهتمين بالشركة اللي عندك؟.. دى

فتافيت كانوا سايبينها لجوزك عشان يتسلى.

- أنا هعتبر إن الكلام ده ما اتقالش..

توجهت نحو الباب..

- شرفت.

لم يعقب.. لم ينظر إليها.. ولكنه غادر في صمت وأغلق الباب..

وقفت هي تنظر إلى الباب المغلق.. تعض على شفيتها.. كانت تشعر بكل ذرة في جسدها تدفعها للحاق به.. ولكنها لم تتحرك.. كررت في هدوء..

- مافيش حواديت يا رباب.. مفيش مكان تانى لحد..  
ولكنها وجدت يدها تمتد نحو الباب كادت أن تفتحه إلا أن جرس الباب دق.. فتحت فإذا به يقف في مواجهتها..

- أنا عملت المستحيل عشان ميقاش لوحدى.. ومعرفتش.. لو تعرفي يا رباب الوحدة حولتني لإيه.. كنتي حسيتي بكل الألم اللي بيعصرني كل يوم.. حتى أهلى وأمى مشيوا.. أعز أصحابي مات.. بس أنا قدرت اتعايش وأنط فوق ألم الفراق.. شفتهم في كل حاجة حواليا وعشت معاهم في خيالى .. لكن إنتى لأ.. أنا حياتى واقفة عليكى.. أنا عملت اللي مفيش إنسان يعمله عشان أحافظ عليكى.. لو ضعيت منى مش هعرف استوعب.. مش هعرف أعيش من غيرك مش مسألة حب وبس..

رباب.. إنتى الوحيدة في الدنيا دى اللي مديانى سبب إنى أصدق إنى عايش.. وإنى بعيش حياة بجد.. أنا عشت طول السنين اللي فاتت من يوم مبعدت عنك عندى أمل في اليوم ده.. إنى أرجعك وأمسك إيدك بجد.. أنا عارف إنك مش فاهمة ولا كلمة.. ولا هعرف أفهمك.. بس أنا مش عارف لو طلع كل ده على الفاضى وطلع إنى هخسرك زى مخسرت كل حاجة.. بجد مش عارف هستوعب إزاي.. أنا فكرت في كل الاحتمالات إلا الاحتمال ده.. لأن

الاحتمال ده معناه إنه اتهد آخر سبب كنت ساند عليه عقلى  
وحياتى.. أنا آسف إنى جبان.. آسف إنى أجبن حد فى الدنيا.. بس  
أنا بخاف لأنى لوحدى.. وخايف أكثر إنى أبقى لوحدى فى الوقت  
اللى هحتاج فيه حد جنبى..

نظر لها وإلى دموع انسالت من عينيها.. فأغلق الباب بهدوء ورحل.  
تسمرت فى مكانها.. لا تعلم ماذا تفعل.. تشعر بكل ما فيها قد  
سكن.. تنساب الدموع بلا انقطاع.. ثم شعرت بها تلتصق بساقها..  
جميلة.. تبتسم لها..  
فابتسمت رغما عنها.. فمرت الدموع عبر ابتسامتها فطعمت المر فى  
جوفها.. المر الذى رافقها لسنين.. وكأنه تجمع كله الآن.

\* \* \*

٣

كم سنة يأتي إلى هذا المكان؟.. كل يوم.. فيلا (أحمد إبراهيم عبد الباقي).. يجلس في سيارته ينظر هو وعبد العزيز.. كان ينظر كل يوم إليه وهو خارج من فيلته.. سيارة فارهة وجاسمين تودعه.. كان ذلك في البدء.. ولكن مع الوقت لم تعد تخرج لكي تودعه.. شعر بفرح خفي إذ شعر أن ثمة شيء دار بينهما.. هل تشاجرا؟.. هل اكتشفت فجأة أنها ظلمت نفسها مع هذا الكائن اللزج؟.. هل علمت حقيقته؟.. كائن لزج لا أكثر.

سأله عبد العزيز:

- لماذا تهتم بعد كل هذه السنوات؟
- لا أهتم.. ولكن هذا اللزج سرق مني كل شيء.. سرق جاسمين وسرق أصدقائي.. هل تعلم لو لم يكن هذا الشخص ظهر في حياتي.. لكان كل شيء قد تغير.. كنت تركتك لتموت في سلام وما اضطررت لإبقائك معي.. لم أكن لأستمر في كل ذلك.. كان سيكون لي حياة رائعة وأصدقاء.. ونجاحات.. لو لم يكن هناك أحمد إبراهيم عبد الباقي لما صرت أنا هذا الشخص المثير للشفقة.
- لكني لا أراه لزجًا لهذا الحد.. هو رجل متزن هادئ ناجح في عمله.. ألم تركيف صار ثريًا جدًا؟

- هو ورث كل شيء عن أبيه.. ورث كل ما يجعله هذا الذي تراه..  
أما أنا فورثت كل ما يتعسني.. لا أشك للحظة أن المرض الذي  
ضرب أمي وجدتي سيأتي لي يومًا فيضربني.

صمت عبد العزيز تمامًا..

ولكنه أشار لي يجعله يرى..

- مش دي جاسمين؟.. أهي خرجت تودعه.

نظر فعلم أنها لم تكن تخرج تودعه لشجار ما.. بل لأنها فقط..  
حامل.

ثم أصبح يأتي كل يوم فيما بعد ليبري طفلهما وهو يكبر.. يأتي إليهم  
الأصدقاء.. تعرف على بعضهم ممن كانوا يومًا أصدقاءه هو..  
يحتفلون مرة بطفلهم ومرة أخرى بمناسبات لا يعلم ما هي..

- عبد العزيز.. أنا اللي كان المفروض أبقى هناك مش أحمد..

\* \* \*

عندما علم بموت زوج رباب وأمها.. لم يصدق.. كان يشعر أن الله  
قد غير الكون من أجله.. هل صارت رباب حرة؟.. هل هذه هي  
اللحظة التي سيحقق فيها ما انتظره طويلاً؟ كان لا بد أن يذهب  
إليها.. حاول كثيراً أن ينتظر.. لم يستطع.

ذهب إليها في اليوم الأول.. لم تقابله.. ثم اليوم الثاني..

كان يريد أن يقفز منذ اللحظة الأولى فيصرخ:

- تتجوزيني؟

ولكنه لم يستطع.. إلى أن جاءت الثانية صباحًا.. باح بها.. أخرجها من صدره..

- تتجوزيني؟

انتظر إشراق وجهها.. ولم يشرق.. طلبت منه الرحيل.. لم يعلم ماذا يفعل.. لا يعلم لماذا لم يروفتها سوى جاسمين وهي تودع أحمد على باب فيلتهم.. ولكنه شعر هذه المرة أنهم ينظرون إليه.. ويضحكون.. ويشيرون نحوه.. تتعالى ضحكاتهم فتصم أذنه.. كان لا يحركه سوى محاولة الهرب من هذا المشهد.. غادر.. ولكنه لم يلبث إلا أن قرع الجرس.. أراد أن تفتح له الباب فيصرخ باكياً.. يهوي في صدرها الصغير.. ينهل من حناها الذي لا ينضب.

ولكنها عندما فتحت الباب.. تمنى لو أن التي فتحت هي أمه.. لو كانت أمه هنا لما احتاج أن ينطق.. كان فقط سيفتح قلبه فتفهمه.. ولكن رباب لا تعلم تلك اللغة التي نشأت بينه وبين أمه.. فتح قلبه ليخرج منه ما يشاء.. يعلم أنها لن تفهم شيئاً..

شعر أنه مثير للشفقة.. تركها عليها تعي ما قاله.. أو لا تعيه.. وجد أحمد وجاسمين في كل مكان.. تعلقوا ضحكاتهم لتهزأ منه.. ركب سيارته.. انطلق.. رأى عبد العزيز أمامه على الموتوسيكل.. بدا في أعينهما تصميم.. كان قد ترك نفسه لعبد العزيز ليقوده.. قادا بسرعة جنونية.. كان كل منهما يطحن أسنانه جزاً وغبباً.. ضحكات أحمد وجاسمين تزيد غضباً وتشعله..

وجد نفسه أمام فيلا أحمد إبراهيم عبد الباقي.. أوقف السيارة.. لم يفكر في شيء.. انهال على الباب ضربًا.. فتحت الأضواء.. علم أنه أت الآن ليفتح الباب.. قرر أن يخرسه.. سيلكمه في فمه ليصمت.. لن يلومه برقة.. لن يسأله لم سرقت حياتي.. لن يكون المؤدب اللطيف الذي لا يهتم به أحد.. سيفتح أحمد الباب وما إن يظهر له.. سيلكم فمه.. لكمة ستشفي صدره تمامًا..

ولكنه شعر بأن أحدهم سيفتح الآن..

لاذ بالفرار.. اختبأ بعيدًا..

رأى أحمد يفتح الباب.. نظر فلم يجد أحدًا.. وكان حارس الفيلا يهرول محاربًا النوم الذي علق بعينه.. وبخه أحمد ثم دخل الفيلا.. وأطفئت الأنوار..

نظر إليه عبد العزيز..

- مضربتوش ليه؟

ركب سيارته مبتعدًا ولكنه ما إن سار بضعة أمتار.. حتى عاد مرة أخرى.. وقذف الفيلا بالطوب.

ورحل.



## ٤

لا تعلم كيف قضت ليلتها ولكنها وجدت نفسها تصحو على صوت كريمة.. كانت تصارع بقايا النوم بين جفניה.. وتحاول منهكة أن تنفض عنها شظايا تعب نثر على جسدها..

فكرت للحظة أنها بالأمس كانت تحلم وأنه لم يأت ولم تطلب منه الرحيل.. لم يقل لها.. تتجوزيني؟!.. ولكنها كانت تعلم أن ما حدث بالأمس كان حقيقة.. جاء ورحل..

لماذا؟.. ولماذا الآن؟.. لماذا لم تأت قبل كل شيء؟..

مدت كريمة يدها بالنيسكافيه.. تجرعته.. ثم قفزت إلى حمام ساخن.. وقالت بهدوء:

- هنروح الشركة.

اختارت بين عشرات الفساتين.. ثم ما لبثت إلا أن ارتدت أولهم.. وضعت النظارة السوداء..

- كريمة.. يالا بينا.. مش عايزاكي تسيبي جميلة لحظة.

- حاضر يا مدام.. السواق مستني تحت بقاله نص ساعة..



توقفت السيارة.. كان الكل قد احتشد مستقبلاً إياها.. أشارت لهم بيدها ثم دخلت إلى الشركة.. انقبض صدرها فحاولت أن تدفع الأكسجين إلى داخله دفعًا.. ارتقت سلمًا فصعدت إلى طابق ثانٍ.

كان الطابق الثاني هو طابق الإدارة.. يدور فوق طابق أرضي مفتوح يمكنها خلاله رؤية المكان كله.. يلف المكان حائط زجاجي.. ويعلوه سقف من زجاج ملون..

وقفت تشع الشمس من خلفها لونها الذهبي.. تنظر إلى موظفيها كملكة تنظر إلى رعيته.. قالت بصوت حاولت أن يبدو قويًا:  
- أول حاجة هعملها إنى هتأكد أن المكافأة اللي أمرت بيها اتصرفت.. أى حد عنده مشكلة مكتبي مفتوح.

ثم توجهت نحو مكتبها الذي قادتها إليه كريمة.. التي قالت:  
- أنا هاخذ جميلة للبيبي إريا.. الكاميرات في مكتبك بتشوف المكان كله.. وفيه كاميرا للبيبي إريا.. أى خدمة يا مدام؟  
أشارت لها أن انصرفي.. ووقفت تتأمل باب مكتبها.. تستوعب الموقف برمته..

أنت الآن ملكة يا رباب.. مملكتك بلا ملك.. وما فائدة الملوك؟!.. لا تنهي ولا تحزنى.. تسلي مفتح مملكتك بهدوء ملكة.. من أجل أميرتك الصغيرة التي تلعب الآن مع كريمة.. لا تفكري في أمس ولا في أي أمس.. لا مكان بصدرك لفارس لا يستحقك.. هو لا يعلم كيف تغير الوضع، يظن أنه سيأتي بعد كل ذلك لتفتحي له قلبك يسكن منه ما يشاء.. افتحي الآن هذا الباب.. نحو عرشك.. لتعتلي هذه المملكة التي دفعت ثمنها.. وراح ضحيتها أمك وزوجك.. وقلبك!

مدت يدها.. انفتح الباب عن المكتب.. باغتها ما رأت.. الحائط الذي امتلأ بصورها وجميلة وزوجها في كل مكان.. خفق قلبها.. دخلت.. فإذا بباب جانبي يُفتح.. وخرج منه.. ارتعدت ولكنه باغتها وقال:

- معلش أنا بدخل الحمام كثير.. السكر بقي.

نظرت فإذا بوالد زوجها يقف في منتصف المكتب.. قالت:

- أهلا يا عمي.. إيه المفاجأة الحلوة دي.. أنت مسافرتش؟

لم يرد ولكنه خطا نحو المكتب وجلس..

- أنا طيارتي كمان كام ساعة.. ياريت تقعدني وتهدي وتستوعي الموقف بهدوء.

أشار لها لتجلس أمامه.. فك أزرار بدلته الرمادية.. بدت لها متسقة مع شعره الأبيض.. نظر لها بعينيه الضيقتين وهو يحك لحيته البيضاء الخفيفة التي دارت حول وجهه.. ثم حك أنفه الطويل وعدل من وضع نظارته التي ارتكنت عليه..

- إنتي جاية هنا تعملي إيه؟

بدا لها الأمر جليًا.. هذا الرجل هنا يصارعها ملكها..

- جاية شركتي.. حضرتك عارف إن المرحوم كاتبلي الشركة دي باسهي.

ضحك باستهزاء واضح ثم قال:

- وماله.. بس إنتي تفهبي في الشغل؟

شعرت بالضيق يسيطر عليها ثانية.. فكرت في إشعال سيجارة ولكنها ترددت.. أضاف وهو يشير نحو الكاميرا:

- كان أحسن تقعدي مع جميلة بدل متسيبها مع كريمة..  
قررت أن تحسم الأمر..
- بص يا عمى.. أنا خسرت كل حاجة.. واطلمت كويس أوى إن  
الخسارة صعبة..  
ثم أخرجت سيجارة..  
- ومش ناوية أخسر حاجة تانى.  
أشعل لها سيجارتها ونظر مباشرة في عينها..
- بصى.. فلوسك وحقك من ميراث مامتك وجوزك محفوظة..  
وأوعى تفتكرى إنى هنا عشان آخذ منك الشركة.. الشركة دى  
اللى إنتى شايفاها حاجة كبيرة.. راس مالها كله ميعديش كام  
مليون.. أنا شغلى وأملاكى لو اتخطوا جنب الشركة دى.. شركتك  
متبانش.
- أمال حضرتك هنا ليه بالظبط ؟  
لم يحرك عينيه وإنما استمر في النظر نحوها مباشرة وكأنما يريد  
اختراق ما بداخلها..
- مين الرجل اللي سهر معاكى لحد اتنين بليل في فيلا ابني اللي أنا  
سايبك تعيش فيها بمزاجى؟  
باغتها.. حاولت أن تسيطر على ارتباكها ولكنها لم تفلح..
- ده صديق قديم كان جاى يعزى.  
- لاتنين بليل!!  
قام بهدوء وجلس أمامها..

- بصى.. إنتى لسه صغيرة.. عايزة تتجوزي حقك.. بس مش بفلوس ابنى.

قامت من مكانها وجلست على الكرسي خلف المكتب.. وقالت  
محاولة أن تبدو متماسكة:

- تشرب حاجة؟

ضحك بشدة ثم قال:

- إنتى عايزة الشركة كلها خديها.. لكن جواز بفلوس ابنى.. لأ..

- أعتقد إن أنا عايشة في فلوسى من أمي وجوزى وده حقى.. أنت عارف إن ماما دمجت فلوسها مع فلوس المرحوم.

- قلتك مش أنا اللي أصغر نفسى عشان كام مليون.. أنا طيارتى  
كمان كام ساعة.. وكمان أسبوع هيجيلك تذكريين لأمرىكا واحدة

ليكى وواحدة لجميلة.. هتعيشوا معانا في أمريكا..

- أنا مش هقعد في أمريكا.. أنا أقدر أربى بنتى كويس.

- بنتك!!.. ماشى ..

- اسمع.. أنت عارف كويس أوى أنا تعبت أد إيه عشان أخلف

البنت دى.. ولا أنت نسيت المعامل اللي لفينا عليها.. أنا مش

عايزة أكون وقحة بس أنت عارف إن ابنتك ماكانش بيخلف.. وإننا

صرفنا ألوف عشان نجيب جميلة.

وقف ثم توجه نحو الباب..

- أنا عارف كويس أوى كل حاجة عن ابنى.. لكن إنتى اللي

متعرفيش أى حاجة.. متعرفيش أنا كافحت أد إيه عشان أسعد

ابني.. حتى جوازك منه كان عشان أسعده.. الشركة اللي إنتي فيها دي مش أكثر من لعبة جبتها لابني عشان يتسلى.. أنا اللي مش عايز أكون وقح.. إنتي نفسك لعبة جبتها لابني عشان يتسلى.. وماعنديش مانع إنى أسيب اللعب دي لحفيدتي عشان تلعب بيها.. بس أنا عايزك تعرفي مين الشخص اللي كان سهران معاكى إمبارح ده.. الشخص ده هو اللي أنا اشتريت منه اللعبة بتاعت ابني.. اشتريتك منه.

صمت قليلا وكأنه يراقب وقع الكلمات عليها.. لم يخب ظنه إذ بدت مصدومة لا تفهم شيئاً.

- اسأليه أنا جوزتك ابني ليه.. وهو سابك ليه.. ساعتها قرري عايزة تيجي أمريكا ولا تفضلي هنا.

- استنى ..

صرخت به وهو يهيم بالرحيل..

- أنت عايز تقول إيه؟

- ابتمس ساخرًا..

- هو فاكرا إنه أذكي مني ومن ابني.. بس أنا مش هسمح إنه يفضل

مصدق كده كتير.. ابني مات.. واللعبة خلصت.. الولد ده

مجنون.. عايزاه روحيله.. لكن صدقيني ساعتها هتخسرى كل

حاجة.. أنا ممكن أدوس الشركة دي ببساطة جدًا.

- أنا مش فاهمة حاجة أبدًا.

- خليه يفهمك..

أشار إلى شاشة الكاميرا..

- مش هو ده؟

حدقت بالشاشة فإذا بها تراه يدخل الشركة.. يلقي التحية على

الجميع فتدرد له.. وقف مع أحدهم فأشار إلى مكتبها فهز رأسه..

وصعد.. طرق الباب.. ففتح له والد زوجها الباب.

- أهلا أهلا..

دخل المكتب.. ينظر إلى رباب.. التي تسمرت مكانها..

- أنت تعرف مستر ممدوح؟

لم يرد ولكنه نظر إلى ممدوح وقال:

- طبعا مستر ممدوح والد المرحوم.. حماكي..

ابتسم ممدوح ساخراً ثم أغلق الباب.. نظر في ساعته.. وأشار لرباب

لكي تقوم من كرسيها..

- عن إذنك..

قامت تجر ساقها.. جلس بصدر المكتب.. واتخذها هما كرسيين

أمامه..

- ممكن تفهمي أنت بتعمل إيه في شركة ابني؟

تفادى النظر لرباب..

- حضرتك عارف إنى دراع ابن حضرتك اليمين.. وأنا اللي بدير

الشركة من مصر.. طول فترة وجوده في أمريكا.

أخرج ممدوح بعض الأوراق.. ثم قال:

- والشركة بقالها سنتين بتحارب أحمد إبراهيم عبد الباقي ليه؟..  
إيه المصارييف اللي مش متسجلة في الحسابات دي؟.. أنت فاكرني  
نايم على وداني طبعًا..

رفع رأسه ونظر لرباب ثم التفت إلى ممدوح قائلاً:

- كل مليم بيتصرف من الشركة وكل سياسة ماشية عليها الشركة  
بعلم المرحوم.. وهو وكلني للإدارة..

- وده مقابل إيه؟

قالها ونظر لرباب وكأنه يريد أن يؤكد لها شيئاً ولكنه رد على  
سؤاله بحزم عندما لاحظ نظرتة نحو رباب..

- مستر ممدوح مالوش لازمة التلميحات دي.. أنا لو مش أد الثقة  
مكنش إدهالي المرحوم.

- المرحوم اللي أنت ماصدقت إنه مات عشان تعمل كل اللي في  
دماغك.

هب واقفا وقال:

- مستر ممدوح أرجوك.. أنت عارف كويس أوى علاقتي بابن  
حضرتك ومش أنا اللي أخونه.. وأرجوك كفاية كلام مالوش  
داعى..

أمسكت رباب ببطنها الذي اعتصره الألم..

- ممكن أفهم إيه بيحصل هنا بالضبط؟

ابتسم ممدوح وقال:

- تحب تفهمها ولا أفهمها أنا؟

- لو سمحت يا مستر ممدوح.. أنا مش عايز أى حاجة وأنت عارف  
كده كويس.. أنا كل اللي يهمنى إن الأمانة اللي ساها المرحوم  
تكون محفوظة.. وأنا هنا عشان أسلمها لرباب..

ثم ابتلع ريقه وأكمل بصعوبة:

- مراته..

قال ممدوح بصرامة:

- أحمد إبراهيم عبد الباقي.. تدميره هي سياسة الشركة؟

- أحمد إبراهيم عبد الباقي أكبر منافس لنا.. وإحنا بنشتغل  
بيزنس.

- ومن إمتى كان منافس لنا؟.. مين غير نشاط الشركة عشان  
ينافسه مش ده تم في غياب ابني؟

- بعلمه يا مستر ممدوح.. بعلمه..

- أنت عارف كويس أوى إن كل الوضع ده غلط من البداية.. وأنا  
ماكنتش موافق على كل ده.. أنا وافقت بس عشان ابني يكون  
مبسوط.. لكن أنت مش شايف إننا خريناه مبسوط على حساب  
رباب.. ودلوقتي أنت بتحول كل حاجة عشان تحارب واحد أنا  
معرفش علاقتك بيه.. أنت مش شايف إنك أناني؟

نظر له بغضب حاول أن يتمالك نفسه ولكنه وجد نفسه يصرخ:

- مستر ممدوح.. أنا مش أناني.. أنا لو أناني ماكنتش سيبت كل  
حاجة حلوة في حياتي عشان أسعد ابنك.

ثم نظر لرباب التي احمر وجهها تمامًا وبدت كما لو أنها ستسقط  
مغشياً عليها..

- وأسعدها..

نظرت له رباب بغیظ وقالت:

- تسعدني!!.. إنتوا مجانين.. لو سمحتوا سيبوني في حالي.. أرجوك  
يا عى خده واطلعوا بره.

تحرك ممدوح نحوها..

- رباب.. الوضع كله غلط.. الولد ده بيلعب بينا كلنا.. أنا ممكن  
أمشى وأسيبك ومبصش ورايا.. أنا علاقتى بمصرا انتهت لما ابني  
مات.. أنا ممكن أرجع أمريكا.. لكن أنا بحذرك إنه يكمل لعبته  
معاكى.. ده مجنون.. لكن أنا مش هسمح إن حفيدتى تتربى مع  
المجنون ده.. مجنون زى أمه بالضبط.

لم يشعر بنفسه إلا وهو يمسك ممدوح من ربطة عنقه ويدفعه  
إلى الخلف..

- أمى مش مجنونة يا أستاذ ممدوح.. أمى مريضة.. وأظنك أكثر  
واحد في الدنيا فاهم يعني إيه مرض..

أنزل ممدوح يده بهدوء.. ثم سار مبتعدًا وفتح الباب وقال دون أن  
ينظر خلفه:

- الأستاذ باعك لابنى.. عرض عليه أنه يتجوزك.. وابنى اشترى ..  
اشترى ودفع تمك إنه عمل منه بنى آدم وشغله معاه.. ودلوقتى

ببيع شركة ابني عشان يحارب واحد محترم اسمه أحمد إبراهيم  
عبد الباقي.

- أحمد عمره ما كان محترم ويستاهل كل اللي عملته فيه.. وأنا  
مابعتش رباب.. أنا اشتريت سعادتها.. خلتها تتجوز واحد يحقلها  
كل تتمناه.. وهى في نفس الوقت خلته أسعد واحد في الدنيا في  
آخر أيامه.. وأنا مش ندمان على أى حاجة .. تنكرى يا رباب إنك  
حققتى كل اللي نفسك فيه؟

نظرت له رباب بغضب.. قامت تقاوم ألمًا أمسك بها.. غادرت..  
أخذت جميلة ورحلت.

\* \* \*

هرعت رباب إلى غرفتها.. أخرجت كل ملابسها وألقت بها في حقيبة ضخمة فتحتها أمامها.. تنهمر دموعها بلا توقف.. وجميلة تصرخ.. لا تتوقف عن الصراخ.. فتصرخ هي الأخرى.. ووقفت كريمة بلا حركة تراقب ما يحدث.. تحاول أن تقول شيئاً ولكنها لا تجد ما تقوله.. رباب تزداد دموعها وصراخها.. امتلأت الحقيبة وهي ما زالت تلقي فيها بكل شيء.. حتى انهارت قوتها.. فجلست على الأرض تلتحب.. أخذت جميلة في حضنها وبكىها سوياً.. لم تجد كريمة إلا أن تقترب فتضع يدها على كتفها وقالت:

- أنا مش عارفة أقول إيه.. بس كل اللي أعرفه إن إنتى رغم إنك أكيد مش مستوعبة.. بس إنتى المفروض تهدى.. وتحاولى تفهمى ولو فهمتى هتعرفى أد إيه إنتى فيه ناس بتحبك وعاشت عمرها كله عشان تسعدك..

نظرت لها رباب تمسح دموعها..

- أنا مش فاهمة حاجة يا كريمة.. حمايا بيقول كلام غريب.. الوضع كله مش مفهوم.. يعنى إيه أنا اتبعث واشترونى؟.. يعنى إيه كل اللي بيحصل؟

- تنهدت كريمة وقالت:

- إنتى ماكنتيش عارفة أى حاجة قبل متتجوزى المرحوم؟

- ماكنتش عارفة إيه؟
- يعنى ماكنتيش عارفة ظروف المرحوم؟
- مش فاهمة.. المرحوم ماقاليش أى حاجة.. غير إنه عايزنى وعايز يسعدنى.. أنا كنت عارفة إنه مايبخلفش هو قالى.. لكن قالى إننا مش هنيأس واتفقنا إننا هنحاول وإننا لو ما عرفناش هنعمل حقن مجهرى.
- أنا مش قصدى كل ده.
- إنتى ماكنتيش عارفة العلاقة اللي بينه وبين جوزك؟
- نظرت لها رباب متسائلة..
- هو فعلا يعرف جوزي؟.. فعلا هو اللي عرضنى عليه عشان يتجوزنى؟
- جوز حضرتك طول عمره في أمريكا من ساعة ما أهله قرروا يسافروا.. وماكنش ليه علاقة بحد هنا غير بيه وهو اللي قاله عليكى.. وهو أول ما شافك حبك.. بقى بينام ويقوم مايفكرش غير إزاي يتجوزك ويسعدك ويحققك كل اللي تتمنيه.. هو ماكانش يعرف أنه هيموت بدرى.. بدرى أوى كده.
- يعنى إيه؟
- قرع جرس الباب.. مرتين ولم تتحرك أي منهما.. سمعتا الباب ينفتح.. ثم خطوات تقرب.. أسرعت كريمة إلى خارج الغرفة..
- ده مستر ممدوح..
- دخل إلى الغرفة..

- سيبينا شوية يا كريمة.

أخذت كريمة الطفلة وأغلقت الباب خلفها بينما جلس هو بجوار رباب على الأرض.. وضع يده على كتفها وضمها إليه..  
- أنا آسف.

انتحبت رباب وكادت أن تقول شيئا ولكنه أوقفها..

- ماتقوليش حاجة.. أنا أب يا رباب.. وإنتي عارفة كويس أوى يعنى إيه الواحد يكون عنده طفل.. أنا فجأة لقيت حياتى كلها بتتغير عشان ابنى.. ابنى اللي عمره ماكان سعيد.. طول عمره حاسس إنه مش طبيعى.. ومفيش أى حاجة في إيدى أعملهاله.. ساعتها مفيش حاجة تعوضك ولا فلوس ولا أى حاجة.. أنا مش أنانى ولا قاسى ولا أى وصف وحش ممكن تكونى حاساه.. أنا أب.. أنا عارف إن الكل طلع كسبان للحظة إلا إنتى.. إنتى الوحيدة اللي لعبتى على المغمض.. زى أى طفل ساذج جابوله لعب كتير عشان ميفكرش في حاجة.. أنا آسف إنى شاركت في كل ده.. أنا مش جأى آخذ منك حاجة.. بالعكس إنتى لو عزتى أى حاجة أنا هعملهالك.. بس الوضع ده كله غلط.. الولد ده استغلنا كلنا.. استغلنى واستغل ابنى واستغلك.. أنا كنت فاكهه بيعمل كل ده عشان ابنى.. لحد ما لقيت اتناشر مليون جنيه من أرباح الشركة مش موجودة في الحسابات.. متسجلة على إنها حملة إعلانية.. ومفيش أى حملات اتعملت.. الولد افتكر إنه ضحك علينا كلنا.. وسرق ابنى.. وابنى أغلب من أنه يفهم.. اوعى تفكرى إن ابنى هو

اللي عمل كل ده.. الشركة الصغيرة اللي كبرت دى كانت في كل لحظة بتكبر فيها.. بتكبر على إيدى.. أنا اللي كنت بدعم كل حاجة من غير ما أحسس ابني .. ماكنتش أقدر أحرمه من سعادته اللي عشت طول عمرى بتمهاله.. لكن دلوقتى ابني مات.. والفلوس اللي الولد ده سرقها.. فلوسك إنتى .. فلوس مرات ابني وحفيدتى.. الحاجة الوحيدة اللي متبقياى في الدنيا ..

- أنا مش فاهمة حاجة.

- أنا عارف.. وصدقينى.. أنا طول الوقت كنت مستنى اللحظة اللي افهمك فيها كل حاجة.. وطول الوقت عارف إنى هجوزك للولد ده.. لأنى كنت فاكراه يستاهلك.. وبيحبك.. زى ما أقنع ابني.

- أقنع ابنك أنه بيحبني؟

- أنا عارف إنك مش مستوعبة.. بس دى الحقيقة.. هو اللي طلب من ابني إنه يتجوزك .. أنا كنت معترض لكن لما شفت سعادته بيكى وحلمه باليوم اللي هيشوفك فيه.. مقدرتش أمانع.. ابني حبك من أول ما الولد ده وراه صورتك.. وحكاه عنك.. قضاوا أيام مالهمش سيرة غيرك.. قالوا على كل حاجة عنك.. أمك وأبوكى.. إيه بيبسطك وإيه بيزعلك.. حبكوا لبعض..

- ليه كل ده؟

- أنا هفهمك كل حاجة.. لكن أنا عارف إنك محتاجة وقت.. هفهمك كل حاجة لما أتأكد إنك طلعتى الولد الحرامى ده من دماغك.

- هو أصلا مش في دماغى.. اللي أنت بتقوله ده يموت أى حاجة تربطنى بيه.. أنت بتقولى إنه باعنى لابنك.. وقبض التمن.
- آه طبعا قبض وقبض كتير أوى كمان.. إنتى لو تعرفى ابنى صرف أد إيه على أمه اللي في لندن عشان تفضل في المستشفى.. مش هتصدقى.. ده غير إنه لما جه أمريكا مسكه الشركة وسابله كل حاجة.. وكل ده وفى الآخر يسرق اتناشر مليون.. الفلوس دى بتاعتك انتى وبتك.. أنا ولا يهمنى المبلغ ده.. لكن أنا مش هسمحله إنه بيعيك بدل المرة اتنين وتلاتة..
- ده طلب منى الجواز.
- صمت ممدوح.. ثم قام وأجلسها على حافة السرير..
- إنتى بتحبيه؟
- أنا اللي كنت بحبه أكيد مش الشخص اللي بتحكى عنه ده.
- أكيد أنا كمان ماتوقعتش إنه يكون كده.. لكن الطمع والجشع ساعات بيكونوا أقوى من الحب ومشاعر المراهقة.
- أغمضت عينيها.. وابتلعت كلماته.. جلس على ركبتيه أمامها ثم قال:
- لو تحبى أفعصوا برجلى أنا ممكن دلوقتى حالا أعمل كده.. بس كفاية أوى وساخة لحد كده.. الولد ده هيرجع الفلوس.. غصب عنه.. وإنى حرة.. عايزة تكلمى هنا ماشى..
- ثم نظر إلى الحقيبة التي امتلأت أمامه..

- عايزة تيجى معايا وتعيشى وسطنا إنتى وجميلة.. ببقى اخترتى صح.
- أنا كل اللي عايزة أعرفه.. يعنى إيه عرض على ابنك إنه يتجوزني؟  
ويعنى إيه أنت كنت معترض؟
- إنتى عارفه إن ابني كان مش بيخلف؟  
- آه.
- الحقيقة الموضوع ده ليه سبب.. مسألتيش نفسك إزاي كان عارف إنه مش بيخلف؟
- إحنا عملنا تحاليل كتير أوى قبل الجواز.. دول صفوا دمي تحاليل.. أكيد سهل إنه يعرف.
- ابني ماعملش أى تحاليل.. وللا ماخديش بالك؟
- أكيد ماعملش وأنا معاه بس هو قال إنه عمل..
- بس التحاليل دى ماكانتش عشان يعرف موضوع الخلفة..  
- أمال؟
- دى تحاليل اللي طلبها مش ابني.. اللي طلبها الولد ده!!  
صمتت طويلا.. فصمت.. دخلت كريمة في هذه اللحظة فأمسك  
ممدوح بجميلة..
- عشان خاطر جميلة..



٦

- أنا هسيبك ترتاحى.. وهرجعلك.. أنا أجلت سفرى يومين.. لما  
ترتاحى.. هجيلك وهتفهى كل حاجة.  
قالها ممدوح وهم أن يغادر ولكنها أمسكت به..  
- مش معقول تقول كل ده وتسيبنى وتمشى!  
نظر لها ممدوح.. رأت في عينيه دمعاً حاول أن يداريه ولكنه فشل..  
ثم قال بصوت خفيض:  
- زى ما الموضوع صعب عليكى.. فهو قاسى أوى عليا.. ماتنسيش إن  
اللي مات ابنى.. أنا كمان محتاج أرتاح.. محتاج أستعد عشان  
أحكيلك..  
ورحل.

جلست وحيدة في الغرفة.. وحيدة تنظر إلى الفراغ.. لماذا تصر  
حياتها أن تنقلب رأسا على عقب في كل مرة ظنت فيها استقرارا؟..  
لماذا لم تسأل زوجها بالفعل كيف أحبها كل هذا الحب؟.. كيف  
نزل عليها من السماء ليجعل لها الأرض جنات؟.. كيف استطاع أن  
يجعلها بكل هدوء توافق؟.. أغلقت قلبها وجراحه.. وتركت له أمر  
مداواتها..

هي تفهم لماذا تحولت أمها تمامًا وتخلت عن تشجيعها إياها كي ترفض كل من تقدم لها.. كانت تعلم أنها ترفض لأنها ما زالت تحبه.. ولم تقدم سوى مبررات واهية.. ولكن أمها أبدًا لم تعترض بل أيدتها.. حتى انقلب كل شيء يوم عاد أبي.. بماله.. وراثته الذي سحربه أمي.. أمي التي وجدت نفسها فجأة تملك كل شيء بعد موت أبي..

هل كانت أمي تعيش ذات ما عشته؟.. كانت تريد أن تجد من يحمل عنها عبء الأعمال وتتفرغ هي للحاق بما تبقى من حياتها؟.. ما إن تقدم زوجي ليطلبني حتى ألحت عليّ أمي.. بالتأكيد كانت تجد هذه الفرصة هي الأمثل.. كي تلقي عليه بكل شيء وتتفرغ هي لما أرادت.

أسست جمعيتها الخيرية.. سافرت.. جابت الدنيا.. كانت تحاول اللحاق بكل ما حرمت منه.. لماذا ألومها الآن؟.. وأنا التي فعلت مثلها.. فأنا لم أوافق إلا لذات السبب .. لأن هذا الذي هبط عليّ من السماء كان هو العفريت الذي يحكون عنه في الحواديت.. لم يكن عفريتًا بخيلا يحقق لي طلبًا أو طلبين فحسب.. بل بسط لي الدنيا أنال منها ما أشاء.. كان يقبل مني بالقليل.. وأخذ منه الكثير.. لم يكن بالطبع فارس الأحلام الذي كنت أنتظره.. ولكنه كان العفريت الذي ما إن ظهر لي.. حتى فتح لي طرقًا لم أطأها من قبل.. وأعطاني كل ما أريد..

لكن هل روى قلبك يا رباب؟.. لم تسمح له أن يقترب منه.. لأنك أغلقت مسالكه.. فلم يستطع أن يرويه.. حتى ذبل وكاد يموت. كوني صريحة يا رباب مع ذاتك.. كان حبك القديم يحيا بداخلك طوال الوقت.. سجيننا بقلبك ولكنه يسجن سعادتك.. لماذا أردت العودة لمصر رغم كل ما أخبرت به زوجك؟.. لماذا أعددت هذه الفيلا رغم قولك دائماً أنك لن تعود؟ كنت تتمنين العودة..

نعم.. كنت أتمنى.. ولكن ذلك كان سري العميق الذي لم أكن أعلم به أنا نفسي.. كان يحركني لمصر دون حتى أن أدري أو أواجه نفسي.. كنت تريدني أن يراك مرة أخرى.. هذه الفتاة التي تركها مجروحة ذليلة.. ها هي تعود ملكت الدنيا بمن فيها.. ألم تكوني تتمنين لقاءه ولو لساعة؟.. ليعلم ما وصلت إليه.. ليتذوق مرارة خسارتك.. هذه الفتاة التي كان يعلو فمها شارب دقيق.. التي أخبرها صراحة أنه يريد أن يرتبط برهام لكونها جميلة.. ها هي عادت.. أجمل ما يكون.. كنت تريدين أن تقولي له ولو بدون كلمات.. ها أنا ذا.. سعيدة من دونك.. هيا.. ذق مرارة خسارتك لي.

ولكن المفاجأة أنه هو.. هو من ساقك إلى جنة زوجك!!..

باعك!!

وقبض الثمن!!.. والآن يسرق من أموالك اثني عشر مليوناً!!.. هل هذا هو الشخص الذي حافظت على حبه بقلبك كل هذه

السنين؟!.. يقبض ثمنك كأى قواد رخيص.. كم أنا حمقاء!!.. كم  
أنا تعيسة!!  
شعرت بدقات قلبها تتزايد.. الصدر يضيق.. لا تلتقط أنفاسًا كثيرة  
فرت منها.. إظلام..  
يا لحماقتي.. لقد سقطت في إغماء مرة أخرى!!

\* \* \*

إظلام تام.. لا ترى شيئاً.. تسمع خريير الماء ولا تعلم من أين يأتي..  
الخوف يتسلم جسدها فيوخزها.. ثم ينشب مخالبه.. ترتعد..  
يأتي النور من بعيد.. زوجها وهو.. يقتربان.. تهرع إليهما.. تجري في  
ظلام أحاطها.. تتخبط.. تصدم أشياء لا تراها.. تسمع أصواتا لا  
تعلم كتبها.. كلما اقتربت ابتعدا.. تكاد تسقط من الإعياء..  
يتبددان.. يتركانها في وحدتها الموحشة.. يسطع قمر.. تتعرف على  
محيطها بالكاد.. ترى جسدها وقد بدا عارياً..  
تسمع همسا.. أصوات نسوة.. تداخلت.. ثم تأتي طمأنينة من حيث  
لا تدري.. تأتي معه نسمة رقيقة داعبت جسدها..  
يهدأ الهمس ولم يرحل..

﴿كَهَيْعَصَ﴾ .. يرددها الشيخ عبد الباسط.. ويظل مردداً..

- اشعلى النور يا رباب..
- تبحث عن مصدر الصوت فلا تعلم من أين يأتي..
- اشعلى نورك يا رباب..
- الظلام في كل مكان.
- الملك حولك في كل مكان.. تتبواين من الأرض حيث تشائين.
- أعطني نوراً..
- ومن أين لك النور؟
- لا أعلم.
- النور هبة .. يعطي نوره من يشاء..
- أبدلني بنصف ملكي نوراً..

- مملكتك لا تساوي النور..
- أبدلني بملكي كله نورًا.. اهدني إلى الطريق..
- الله الهادي.
- الله تركني..
- الله خلقك.
- وتركني ..
- اخترت ملكًا لا يزول..
- أبدلني به نورًا..
- الله نور السموات والأرض.
- الله رحيم.
- الله كريم.
- من الظلمة انشق قمر جديد.. وأقمار كثيرة.. هبطت أمها من أحدها.. جاءت بها بستان أبيض.. قالت:
- متى قسا قلبك الأبيض؟
- لم أكن أعلم أن لي قلبًا أبيض يا أمي.
- هو مملكتك البيضاء.
- لقد أرهقني القلب يا أمي..
- وأرهقني.. حرري قلبك.
- مم أحرره؟
- من الطمع..
- ليس لي من الطمع نصيب.

- ألم تجمعي نسوة المدينة.. يشاهدن منك ما صرت إليه؟
- كرهت ضعفي يا أمي.
- الضعف سبيل.. والقوة سبيل.. أي السبيلين أهدى؟
- القوة تحصنني.. لا أريد أن أعود للوراء.
- احكي حواديت بيضاء لجميلة.
- أكره الحواديت يا أمي.. هي الكذب الذي لن أعلم ابنتي إياه.
- كيف وأنت تحبين حدوتتك.. يا أميرة؟
- ذهب عني فارسي.. وقبض ثمني.
- للحواديت قوانين أخرى.
- ثم صممتا.. ألبستها أمها فستانها الأبيض.. ورحلت.. كلما خطت  
مبتعدة كلما زاد النور.. حتى ملأت المكان نورًا..  
بكت رباب.. وتلا الشيخ..

﴿ كَهَيْعَص ﴾



٧

خرج من الشركة يبحث عن رباب.. لم يلحق بها.. تبتعد بالسيارة..  
جميلة في الخلف تنظر له من أعلى كتف كريمة.. وتبتسم له.. ثم  
اختفت في الطريق مبتعدة.  
وقف لا يلوي على شيء.. سار على قدميه.. استدعى عبد العزيز  
فأتى..

نزل عبد العزيز من الموتوسيكل..

- تفتكر لو كنت ماديتكش الخوذة يومها.. كنت عشت؟

نظر له مهمومًا.. ثم قال:

- يا ريتك عشت وأنا مت.

- وأنت شايف إنك كده عشت؟.. عشت بتشوف حبيبتك في

حضن رجل غريب.. هي دى العيشة اللي أنت كنت عايزها؟

- مش دى لعبتنا يا عبد العزيز؟.. زى أى لعبة لعبناها سوا.

- أنا عمري ملعبت معاك.. أنا ميت.. أنت اللي بتلعب لوحديك..

- عارف.. عارف إنى بلعب لوحدي.. كنت عايزنى أتجوز رباب؟..

وأحولها لأتعس واحدة في الدنيا؟.. كنت عايزها تعيش زيي؟..

وحيدة من بعد.. أنت مش عارف اللي حصل لأمي وجدتي؟

- معرفش.. بس الحسبة اللي أنت حسبتها عويصة أوى.. ضاع من

عمرك أد إيه وأنت شايف رباب بعيدة؟

- وسعيدة..
- وكنت فاكرا إنها هترجعلك؟
- مش دى خطتنا اللي حطيناها سوا؟.. مش ده كان وعدهم ليا؟!
- تفتكر لما تعرف كل ده.. هترجع؟
- مش عارف.
- سار مبتعدًا عن عبد العزيز.. الذي صاح به:
- على فين؟
- أحمد إبراهيم عبد الباقي.
- تاني؟
- كل ده كان غلط.. أو صح مش عارف.. بس أكيد مادام هخسر كل حاجة في الآخر.. فخليني خسران لوحدي.. زي ما أنا طول عمري لوحدي..
- بس أحمد ده السبب في كل اللي أنت فيه.
- تفتكر؟.. أحمد أكيد مش السبب في كل شيء.. بس أكيد أحسنلي أصدق إنه كان السبب أحسن ما أعرف إن أنا اللي غبي..
- سار غير مكترث بنداءات عبد العزيز.. أوقف تاكسى.. ثم وصل إلى فيلا أحمد إبراهيم عبد الباقي.. بدت له وكأنها صارت هزيلة تكاد أن تقع.. هذه الفيلا التي طالما وقف أمامها.. يراقبه .. هو وجاسمين.. ثم هو وجاسمين والطفل.. يحقد على حفلاتهما الصاخبة.. وسعادتهما التي بدت لانهائية.. هذه الفيلا التي يعرضها أحمد الآن للبيع.. قام بكل شيء كقاتل محترف.. أقنع

زوج رباب بتغيير نشاط شركته لينافس أحمد إبراهيم عبد الباقي.. لم ينظر كم أنفق من المال كي يهزمه.. خطط لكل شيء.. زوج به في صفقات كثيرة ثم التف حوله فورطه.. كال له الهزائم الواحدة تلو الأخرى.. ثم يأتي ليراقب فيلته كالمعتاد.. ينظر إلى حفلاته الصاخبة التي خبت.. ثم انطفأت فلم تقم ثانية.. نظر إلى سعادتهم المطلقة.. التي أرادها كل يوم برصاصة من رصاصاته.. حتى قضى عليها .. في البدء ظلت جاسمين تخرج لتودع أحمد صباحًا كل يوم بذات الابتسامة.. ثم ذبلت الابتسامة فصارت صفراء ثم عبوسا.. ثم لم تعد تخرج لوداعه.. كان يسعد بما فعل.. يشعر أن قد رد إلى نفسه ذاته التي سرقها أحمد.. يراقب كيف فعل به.. ويقارنه بما فعله أحمد معه.. كما سرق سعادته ونجاحه قديما.. ها هو يسترد ما سرق..

تقدم نحو باب الفيلا.. توقع أن يقترب منه رجل الأمن الذي يغط في نومه ليل نهار.. ولكنه لم يقترب.. بدا له أن قد استغنى أحمد عنه.. توفيرًا لنفقاته.. ضرب جرسًا.. فأتى له صوت جاسمين عبر الجهاز الذي عُلق على الباب.. تسألته عمن يكون.. ابتسم دون حماس.. ثم قال:

- أنا عندي معاد مع الأستاذ أحمد.. بخصوص الفيلا.

سمع صوت تهندها.. ثم قالت بفتور:

- اتفضل..

وجد الباب يفتح أوتوماتيكياً.. فدخل.. لأول مرة يدخل.. ينظر من حوله.. رأى أشجاراً ذبلت.. بالتأكيد كانت زاهية ذات يوم.. اقترب منه خادم..

- حضرتك الأستاذ اللي جاي عشان تعين الفيلا؟

- لأ.. أنا مش هعاين.. أنا هشتري على حالتها أيا كانت.

لم يرد.. ولكنه ساقه إلى الداخل..

لم يخب ظنه.. بدت الفيلا كلاسيكية جداً.. كأى فيلا يمكنك رؤية أثاثها في الكتالوج.. بالطبع ومن أين لك بخيال.. أنت شخص سطحي يا أحمد.. وزوجتك.

أبصرهما يقتربان.. فلم ينهض.. بل وضع ساقا على ساقه الأخرى.. ينتظر الاحتفال الذي سيقومه في نفسه وهو يرى الصدمة على وجهيهما.

اقترب أحمد.. فحذق به كثيراً.. ولم يقطع الصمت سوى جاسمين  
قائلة:

- إيه ده.. أنت جاي تهزر؟.. أنت إيه اللي جابك هنا؟

أشار لها أحمد أن اصمتي.. وجلس مقابلاً له..

- فينك من زمان؟..

بحث في أعينهما عن خيبة أمل أو صدمة.. ولكنه لم يجد.. فقال:

- موجود.. أنت أخبارك إيه.. بتبيع الفيلا ليه؟

أسرعت جاسمين وقالت:

- هنشتري فيلا أكبر.. عندك مانع؟

ضحك بصوت مرتفع.. ثم أخرج دفتر شيكاته..

- لا يا شيخة!!

قال أحمد بعصبية:

- الفيلا اتباعت.. أنا خلاص اتفقت مع مشتري.. ثانيا مش شايف

إن الفيلا دي تمنها تقيل عليك حبتين؟

أخرج سيجارة وأشعلها..

- أه قصدك المشتري اللي اتفق معاك.. لالا.. ده موظف عندي..

أنتوا اتفقتوا على كام؟.. خمسة ولا ستة مليون؟.. فكري..

كان يستمتع وهو يراهما يكظمان غيظهما.. بداله عبد العزيز

فجأة.. وقد حمل الخوذة وملأها بالطوب ومال على أذنه وقال:

- خد أكبر طوبة وعلى دماغهم..

ضحك بشدة وقال:

- عموما أنا عندي لك عرض أحسن.

أنزل ساقه.. وحرر شيكًا.. ثم نهض..

- امسك.. اتناشر مليون كويس.

أعجبه مشهد صعقتهم بالمفاجأة.. ثم اقترب منهم..

- الاتناشر مليون دول.. مش تمن الفيلا.. دول هدية مني.

صرخت جاسمين:

- ممكن تطلع بره يا مجنون أنت..

لم يعقب ولكنه أكمل حديثه..

- أنا آسف على كل خسارتك اللي أنت خسرتها.. صدقني أنا  
ماكنتش أتمنى إني أكون السبب فيها.. بس بصراحة مقدرتش  
أمنع نفسي إني اتقلب على ضهري وأضحك وأنا بشوفك بتخسر  
كل حاجة.. مش دى فلوس أبوك ولا أنت تعبت فيها؟  
قام أحمد بغضب وقال:

- أنت عايز مني إيه يا جدع أنت.. أنت ليه بتكرهني كده أنا  
عملتلك إيه؟

- عملتلى إيه؟.. ولا حاجة.. اعتبر الاتناشر مليون دول هدية  
جوازك.. فاكركما عزميني على حفلة احتفالك بخطوبتك.. معلىش  
ماكانش معايا أجيبلك هدية وقتها..

زفر عبد العزيز بقوة وأشار له أن يأخذ الطوية.. فأشار إليه أن  
اهدأ..

قال له أحمد:

- أنت عايز إيه؟.. أنت فعلا مجنون.

- شكراً..

ترك الشيك على طاولة قريبة.. ثم اقترب منه.. نظر إليه مطولاً..  
لفت نظره عبد العزيز وهو يقطع الفيلا بالموتوسيكل محتفلاً.. ثم  
قال:

- الفلوس أهي.. والفيلا كمان هدية خلمها معاك.

ثم لكمه بعنف.. فسقط أرضًا.. صرخت جاسمين وسبته.. ولكن  
أحمد أشار إليها لتصمت.. قام أحمد فأمسك بالشيك.. ووضعها في  
جيبه.. وهو يمسك بأنفه الذي سال منه الدم..  
- ممكن أضربك تاني؟  
قالها.. ولكمه مرة أخرى ورحل!!

\* \* \*



خرج من الفيلا تاركا الذهول والصدمة يحلقان.. كان أحمد لا يزال يضع يده مكان اللكمة.. وجاسمين ما زالت تحدد بعينها.  
لم ينظر خلفه.. وإن زالت الابتسامة من على وجهه.. انطلق خارجًا لا يلوي على شيء.. يشعر بروحه خفيفة.. يمشي لا يكاد يلمس الأرض.. يمد خطواته مسرعًا ولا يعلم إلى أين يذهب.. كان يريد فقط أن يبتعد.. لحق به عبد العزيز يدور حوله بالموتوسيكل.. ذات اليمين وذات الشمال.. يردد بلا توقف:

- فلنغزو العالم.

ولا يرد عليه.. أوقفه عبد العزيز..

- مالك؟

لم يرد ولكنه أسرع خطواته.. ويلاحقه عبد العزيز.. ولا يرد.. ولكنه توقف فجأة ونظر إلى عبد العزيز.. الذي توقف بدوره ونظر له مستفهمًا.. ولكنه أشاح وجهه عنه وأكمل مبتعدًا.. لم يلحق به عبد العزيز هذه المرة بل توقف.. وبدا عليه أن فهم ما يدور في ذهنه.. تركه يبتعد.. أوقف تاكسى.. فأسرع إليه عبد العزيز وقال:

- متأكد؟

نظر له مطولًا ثم فرت منه دمعة..

- أنت أخلص صاحب ليا.

هز عبد العزيز رأسه وابتسم..

- أمر مولاي..

نزل من التاكسي.. ترك له نقودًا لا يعلم كم هي.. أشعل سيجارة ووقف يدخنها ببطء.. ينظر إلى المقابر التي امتدت من حوله.. يحاول أن يجمع قواه كلها في قدميه ليحركهما ولكنهما أدخلتا إلى الأرض.. تمر الجنائز واحدة تلو الأخرى.. ينظر إليها متسائلًا.. متى سيأتي هو أيضًا محمولًا على الأكتاف.. ولكن أي أكتاف ستحملة؟.. أكتاف غرباء وجدوه ملقى على الأرض في مكان ما؟.. أم لعل والده سيكون أطول عمرًا فيأتي ليدفنه؟.. هل ستكون رباب هنا؟.. أم أنها لن تعلم أبدًا بوفاته؟.. عليها تعلم بالصدفة فيما بعد.. هل لولم يظهر أحمد في حياته كان سيستطيع أن يحتفظ ببعض الأصدقاء؟.. هل كانوا سيأتون بأكتافهم ليحملوه؟.. أم أن أحمد كان فقط سببًا اخترعه ليعلق عليه أزمته؟.. هل كان بالفعل سيستطيع أن يحتفظ بصداقاته؟.. أم أنهم كانوا سيسقطون واحدًا تلو الآخر؟.. كما يسقط منه كل شيء.. الحق أن أحمد اختصر عليه عشرات المحاولات للحفاظ على صداقات كان يعلم أنه لن يقوى على الحفاظ عليها.. ليت أمه كانت هنا ليسألها.. هل بالفعل كانت تخاطبه؟.. أم أنه اخترع اللعبة وصدقها كما فعل دومًا؟

وفيم يفيد كل ذلك إذا كان قدره من البداية أنه ذاهب لا محالة إلى وحدة لا حول له ولا قوة فيها؟.. الوحدة فيما يبدو ليست قدره وحده.. الوحدة قدر نكدٍ إليه كدًا.. عله عند ربه سيشفى منه..

ولكن حتى يلقي ربه عليه أن يقطع صحراء الوحدة المقفرة.. فلماذا  
يزعجه المزيد من الوحدة على الأرض ما دام هو سيساق إلى  
الوحدة الأكثر وحشة؟

رباب؟

لا أدري هل ما فعلته كان الصواب أم الخطأ؟

ولكنه يعلم أنها ستكون مطلبه الوحيد في الجنة.. سيطلبها من الله  
وهو يثق أنها حينئذ ستعلم كم أحبها.. ولن ترفض.. ألم تسع رحمته  
كل شيء؟.. أما أمه فستكون معه أيضا وجدته.. وعبد العزيز..  
ستسع الجنة يومها لكل من لفظتهم الدنيا فأعطت لهم ظهرا..  
كل من لم يكن لهم من الأرض من شيء.. سيطلب مرافقتهم..

لماذا وضع تلك الخطة القديمة حين منّ الله عليه بعبد العزيز  
وهيثم؟.. لماذا قرر أن يبتعد عن أصدقائه الحمقى هؤلاء؟.. وقتئذ  
لم يفهم أن هؤلاء هم أظهر قلبا وأرق.. كان يريد أن يكمل حياته  
كما بدأ فيها في بداية دراسته الثانوية.. ملفوفا بالأصدقاء ومحبوّبًا..  
يبعد عنه من بدوا له حمقى ومعاتبه.. كان صغيرًا وقتئذ كان كل ما  
يريده هو أن يكون له من الأصدقاء من يمكنونه من لعب الكرة  
معهم.. أن يحصل على بنت جميلة يسير معها ممسكًا بيدها ولا  
ينبت أعلى شفقتها شارب.

سيطلب المزيد.. كل هؤلاء الذين اجتمعوا مع أمه في تلك  
المستشفى.. مرضى الهانتيجيتون ديسيز.. لم يكن لهم حول ولا  
قوة.. ورثوا المرض بسبب كروموزوم ما.. أو جين لعين بدا له من

تلقاء نفسه أن يسير في عكس اتجاهه.. ما ذنب أمه وجدته وما ذنبهم جميعاً؟.. بالتأكيد سيدخلهم الله في رحمته.. ويكونون معه في جنة الله.

ولكن هل سيكون واعياً حين يأتيه الموت؟.. فيبتسم له مرحباً.. يسأله فيما كان تأخره.. أم أنه سيورث المرض الذي ضرب أمه وجدته؟.. فيكون حينئذ قد فقد سيطرته على جسده وضربته أمواج من اهتزاز عضلاته وتشنجاتها.. وفقد الكثير من ذكرياته.. قرأ فيما قرأ عن المرض أن نسبة الوراثة تصل إلى خمسين خمسين.. أي قسوة تلك!!

لماذا لا يموت قبل أن يصير إلى ما صارت إليه أمه وجدته؟.. فهما كانتا محظوظتين إذ وجدتا من يهتم بهما.. أما هو فقد راهن على ورقته الوحيدة.. رباب.. رمى أماله بسهم تمنى لو أصاب..

وضع الخطة التي بدت له حينذ محكمة.. زاد أمله وكاد يصدق نجاحها حين مات زوج رباب.. شعر أن الكون قد توحد مع خطته فأسرع له بتنفيذ مراده.. ولكنه يعلم أن رباب لن تفهم.. على الأقل الآن لماذا تخلى عنها حينئذ.. لن يستطيع أبداً إقناعها بخطته المحكمة.. ستكرهه حين تعلم ما خطط له.. كيف تلاعب بها وبحياتها.. وبأي حق..

بأي حق فعلت ذلك؟.. لماذا لم تصارحها منذ البداية بكل مخاوفك؟.. ألم تكن تلك نصيحة أمك قبل أن ترحل إلى لندن؟!!.. ولكن متى كان الغباء يبدو غباءً حين نمارسه؟

كان ذلك وقتها يمثل احتمالاً كبيراً من الخسارة القريبة.. كان من الممكن أن يخسر رباب في لحظتها.. فاختر أن يؤجل خسارته أملاً في مكسب قد تحمله الأيام وقتاً ما.

لكن رباب كانت ستختاره.. حتى لو علمت بكل شيء كانت ستختاره.. لكن ماذا كنت سأقول؟.. (رباب أنا ممكن يجيلي المرض اللي عند أمي.. الاحتمال خمسين خمسين؟!)

كانت ستخدع نفسها وتخبره أنها تقبل.. وتخبره أنها تريده أياً كان ما سيحدث.. كان سيخدعها الحب.. الخدعة التي ستندم عليها فيما بعد.

يا رباب لم يكن هذا ليقال حباً.. بل شفقة متنكرة في هيئة حب.. كنت سأحصل عليك وقتها بالطبع.. كما حصلت على صداقات وأنا طفل صغير في الابتدائي حين علم الجميع كذباً أنني مريض فأسرعوا إلى صداقتي شفقة.. ولكن مع الوقت كنت ستدركين المأساة.. أنك ظلمت نفسك معي.. فماذا حين تضطرين أن تتحملي شخصاً لا يعرفك أصلاً أو يكاد.. تضربه تشنجات عضلاته.. ولا يستطيع حتى أن يحمل كوباً من الماء.. وماذا إن لم يصبني المرض ولكن ورثه منا طفل كنا سننجبه.. كنت ستكرهيني طوال الوقت.. وإلى الأبد كلما نظرت إلى طفلك الذي نقلت إليه المرض.. لا.. لم أظلمك.. بل أنقذتك من مأساة كنت ستحيين بها معي.. انظري الآن إلى نفسك.. المال الكثير.. زوج أفنى ما تبقى في حياته لإسعادك.. جميلة ابنتك.. طفلة جميلة كاسمها.. سعيدة معك وأنت سعيدة

- بها.. أنا من أعطاك كل هذا بدلا من العيش معي.. لوفهمت  
لعلمت.. ولكن كثيرا من الناس لا يعلمون.  
في الجنة ستفهمين.. وتقدرين..  
اقترب منه عبد العزيز..  
- هتفضل واقف هنا كثير؟  
- هتزعل مني؟  
- أنت عارف إن الخطة اللي حاطبناها سوا ماخلصتش.. لسه رباب  
مش معاك.  
- اللعبة دي من أولها كانت غلط.. كفاية أوى كده.  
- بعد كل اللي استحملته ده وكل التخطيط ده شايف إننا  
مانكملش؟  
- كفاية إني خلتها مبسوطه.  
- وليه ادبت أحمد الفلوس؟  
- أنا ماكنتش عايز أذيه.. واتفاقي مع المرحوم إني هخلي أحمد  
يفلس آه لكن هرجعله فلوسه.. ده وعد.. وده اتفاقي معاه وهو  
على الأساس ده وافق إنه يشارك في اللعبة .. ثانيًا أنا كل اللي  
كنت عايزه هو إني أضربه.. مش أحدفه بالطوب يا عبد العزيز..  
وحصل.  
- أنا عايزك تكون مبسوط.. من بعدى هتبقى لوحداك لو  
مارجعتش رباب.

- أنا ما بقتش خايف من الوحدة يا عبد العزيز.. أنا عارف إنها  
قدرى اللي ما كنتش فاهمه .. ربنا اختارني إني ماعيش إلا معاه.  
- أنت هتدروش؟  
- مش دروشة.. لكن أنا ما كنتش فاهم من البداية إن ربنا عايزنى  
ليه.. وكان يببعد عني شر الناس.. أنا مسافر لندن.. هبقى جنب  
أمي في آخر أيامها.  
- ورباب؟  
- هتلاقيني أنا وهى معاك إن شاء الله في الجنة يا صاحبي.

\* \* \* -

- أعطى مالاً لا يعلم كم هو إلى حارس المقابر.. الذي نظرله بدهشة..  
كان يعلم أنه يظنه مجنوناً وهو يقول:  
- مدفون هنا من خمس سنين!!  
أعطاه كل المعلومات والمال.. فظل معه يسلك الطرق بين المقابر  
حتى وصل إلى مقابر عائلة عبد العزيز فطلب منه أن يتركه.. علق  
الرجل متردداً:  
- بس الوقت اتأخر أوى والشمس غابت.. المكان هنا مش أمان زى  
ما أنت فاكر.  
قاطعها قائلاً:  
- متخافش.. هنا صحابي.  
ابتعد الرجل وهو يوقن أنه مجنون.. وهو يقول:  
- لو عوزت حاجة ازعق عليا.

نظر إلى عبد العزيز..

- ارتاح يا صاحبي..

بكيا طويلا.. ثم اختفى عبد العزيز..

قرأ الفاتحه.. ورحل!

\* \* \*

استيقظت رباب.. فبحثت عن كريمة فوجدتها تلعب مع جميلة..  
وقفت صامتة تنظر إليهما حتى انتهت كريمة لوجودها..

- صباح الخير.. أعملك نيسكافيه؟

- كريمة... إنتى كنتى تعرفيه؟

تركت كريمة اللعب.. قبلت جميلة.. وقالت:

- تعالى يا مدام..

أنا يا مدام رباب.. أعرفه من زمان.. كان مش بيسيب المرحوم  
ثانية.. وقف جنبه في كل لحظة.. عمره ماتأخر عنه في حاجة.. من  
أيام المرحوم ما كان عايش هنا في مصر وهما ماكانوش بيسيبوا  
بعض.. مستر ممدوح كان فرحان إن أخيراً المرحوم لقى صاحب..  
بالعكس كان بيحاول ينهي العلاقة دى.. كان كل ما يروحوا حتة  
كان لازم ياخذهم هما الاتنين.. ولما عرف إن أمه عندها مرض  
غريب كده صعب عليه أكثر.. وكان دايمًا يقعد يتكلم معاه  
ويصبره ويقوله لازم ماتنساش أمك.. وإنه مش عشان أمه في  
لندن ويمكن المرض في يوم من الأيام يخليها تنسى اللي حوالها..  
مش معنى كده إنه ينساها..

- حتى لما المستشفى طلبت فلوس عشان أمه تكمل إقامتها هناك..  
ساعده وادالوا فلوس كتير..

- مسترممدوح اللي شافه في ابنه مش قليل.. ده خلى قلبه يحن  
على أى حد ظروفه كانت زى ظروف ابنه..  
نظرت لها رباب وسألتها:  
- يعنى إيه ظروفه زى ظروف ابنه؟  
بدت الدهشة واضحة على وجه كريمة.. فلم تنطق.. فعاجلتها رباب:  
- يعنى إيه يا كريمة؟  
- يا مدام .. يعنى زى ظروف المرحوم!!  
- إيه ظروف المرحوم مش فاهمة؟  
هبت كريمة واقفة..  
- إنتى ماتعرفيش اللي كان عند المرحوم؟ مسترممدوح طيب  
ماقالكيش!!  
شعرت رباب بدوار يطرق باب اتزانها..  
- كريمة أنا مش فاهمة حاجة.  
نظرت كريمة إلى رباب.. وبكت.. فبكت رباب بتلقائية..  
- يا مدام.. جوز حضرتك كان عنده ظروف صحية صعبة جدًا  
..كلنا كنا بندعيه بطول العمر.. آمال إنتى فاكره مسترممدوح  
صعب عليه أم الجدع ده ليه.. عشان ظروفه كانت شبه ظروف  
ابنه.  
- جوزى كان عنده هانتيجتون ديسيز برضه!!  
- هانتيج إيه!!  
- هانتيجتون ديسيز.. المرض اللي كان عند أمه.

- لا ماعتقدش إن ده اسم المرض.. ثانيًا ده بيقولوا اللي كان عند أمه حاجة عصبية كده بتعمل تشنجات وبتاع.. لالا المرض اللي كان عنده حاجة تانية.
- مرض إيه؟
- مش فاكراه اسمه بالظبط.. اسم مكعبل كده.. مش عارفه اسمه حاجة أنيميا!! مرض مميت.
- أمسكت رباب برأسها.. وقالت :
- كريمة.. إنتي عارفة هو ساكن فين؟
- آه.



- وصلت رباب إلى بيته.. صعدت السلم.. كانت تسمع أصواتا مرتفعة من خلف الباب.. ترددت ولكنها طرقت الباب.. فتحت لها الباب امرأة منتقبة..
- أى خدمة؟
- سألته عنه.. فنظرت لها السيدة بفضول..
- ومين حضرتك؟
- لم تجد رباب ما تقوله ولكنها وجدت نفسها تقول:
- صديقة قديمة.
- جزت على أسنانها بينما امتدت يد أزاحت المرأة المنتقبة.. فخرج رجل يشبهه كثيرًا.. أطلق لحيته.. علمت أنه أبوه على الفور.
- اتفضلى..

دخلت متوجسة.. تنظر إلى ما دخلت إليه.. كانت صالة البيت قد امتلأت بلوحات عليها آيات قرآنية.. يتصدرها تلفزيون يتلوه فيه القرآن شيخ..

- اتفضللى.. تشربى إيه؟

- أنا جاية أسأل على ابن حضرتك.

- إنتى رباب؟ مش كده؟

لم تبتد اندهاشًا.. ولكنها أومات برأسها.. فأكمل:

- هو الحقيقة مش عايش هنا من فترة.. من ساعة سفر أمه وهو نفسيته تعبت جدا.. إنتى مش كنتى زميلته فى الكلية؟

ضغطت على أسنانها وقالت مقتضبة:

- أه بس هو حول من الكلية ومعرفش راح فىن من بعدها.

- هو فضل فترة قاعد مع واحد صاحبه.. مش عارف تعرفيه ولا لأ..

اللى هو كان تعبان ده.. كان عايش فى فيلتهم أو فى مكان تبعهم

مش عارف.. الواد ده ابن رجل الأعمال اللي اسمه ممدوح

السباعى.

ابتلعت رباب ريقها.. فشعرت بغصة.. ثم بدأ جرحها يؤلمها..

- هو عايش هناك من زمان؟

- لا ده دلوقتى ما شاء الله.. عنده شقة يجرى فيها الخيل.. إنتى لو

جاية تدورى عليه.. الله أعلم ليه .. بس أنصحك تدورى عليه

عند أبوه الثانى.

- أبوه الثانى!!

- آه ما هو بسلامته.. اعتبر ممدوح السباعى أبوه.
- بس أنت عارف إن مستر ممدوح في أمريكا؟
- مستر ممدوح؟.. إنتى شغالة معاهم.. هو الواد ده عمل مصيبة؟
- لالا.. أنا مش شغالة معاهم ولا حاجة.. بس مصر كلها عارفة إن ممدوح السباعى في أمريكا مش في مصر.
- نظر لها متوجسًا ثم قال:
- آه في أمريكا عشان يعالج ابنه.. مش كده؟
- صُدمت رباب من الكلمة.. أمسكت بجانب بطنها الذي اعتصره الألم..
- مالك يا بنتى.. في حاجة؟
- لا يا حاج.. أنا كويسة.
- هو الواد ده عملك حاجة؟.. أصل بصراحة كده..
- نظرت له منتظرة أن يكمل كلامه ولكنه صمت.. بدا وكأنه يحاول انتقاء كلماته..
- بصراحة إيه؟
- الواد ده ماكانش ليه سيرة غيرك.. حتى أمه قبل ما المرض يزيد عليها.. كانت بتبعتلى توصيني يعني..
- توصيك بإيه؟
- إنى أوافق!!
- توافق على إيه؟
- نظر لها يحاول أن يستشف أي شيء ولكنه قال مرة واحدة:

- أوافق إنى أساعده يتجوزك!!
- يتجوزنى!!
- آه.. مش إنتوا كنتوا..
- ولكنه توقف وهو ينظر إلى دبلة في إصبعها الأيسر..
- لامؤاخذة يا مدام رباب.. ده كلام قديم بس إنتى اللي سألتى.
- لا أنا فعلا اللي سألت.. هو كان عايز يتجوزنى وأنت رفضت؟
- ضحك الرجل بشدة.. رأت رباب نساءً يتلصصن بالقرب منهما..
- دول الحریم معلش. امشى يا مرة منك لها من هنا.. انجروا  
هاتولنا حاجة نشرها.. لامؤاخذة يا بنتى..
- بتضحك ليه؟
- أرفض إيه بس يا بنتى.. أنا اتحايلت عليه إنى أخده ونتقدملك  
..فى الأول كان بيتحجج إن ظروفك.. لامؤاخذة يعنى وفاة والدك  
وكده.. بعد كده قالى إنك بقيتى لامؤاخذة غنية ومش هتوافقى..
- هو قال كده؟
- أنا فى الأول صدقت.. لكن فى كل مرة كان بيعى يزورنى.. كنت  
بجيبه عروسة.. الأخوات فى المسجد كتير وكلهم يتمنوا يتستروا..
- وماجوزتوش ليه واحدة من الأخوات!!
- زالت الابتسامة من على وجهه فحل محلها مرارة واضحة..
- بصى يا بنتى.. اللي أنا فاهمه.. وده فهى كآب.. مش كلام منقول  
عنه.. إن ابنى خايف.. أمه يا بنتى المرض اللي عندها ده وراثه..  
وده مش مرض سهل.. مرض ضربنا كلنا فى مقتل.. هزنا..

هز حياتنا كلها.. أكيد حكاك عنى كرجل مش محترم خان مراته  
العيانة.

- لأ هو عمره ما قال على حضرتك كلمة وحشة.

ابتسم ابتسامة صفراء وأكمل:

- مش محتاج يقول.. بس يا بنتى أنا رجل.. وليا احتياجاتى.. وأمه  
يعنى كانت خلاص.. يعنى كأننى خلاص.. فاهمانى؟

- فاهمة..

- كمان هي كانت رافضة تمامًا إننا نخلف تانى.. كانت خايفة لتنقل

المرض لعيالها.. شافت إن عيل واحد كفاية وربنا يستر عليه

..أعتقد إن ده اللي زرع في دماغه فكرة إنه ممكن يجيله المرض..

عشان كده بقولك إنى اللي فهمته من رفضه للجواز.. إنه كان

خايف لما يتجوز يعمل في مراته المقلب ده.

ضحك ساخرًا..

- يعنى لو كان اتجوزك.. وفجأة لقيتيه جاله المرض ده.. والشباب

اللي كنتى فرحانه بيه يوم فرحك.. بقى لا حول له ولا قوة.. كنتى

هتحمسى بيايه.. ولا مثلاً خلف لك عيل جاله المرض.. كنتى هتحمسى

بمقلب مش كده.

ضحك أكثر وقال:

- أهو ده المقلب اللي انا عشت فيه.. وهو فاكرنى خنت مراتى.. لكن

أنا.. لا حول ليا ولا قوة..

ظلت رباب صامته تنظر إليه.. نظر لها لا يعلم هل فهمت ما قال أم  
لا.. لما لم يجد ما يقول.. قال منادياً:  
- حاجة نشرها يا مرة منك لها..  
ثم قال لها مداعباً:  
- حريم عايزة الحرق.. لامؤاخذة يا بنتي.

\* \* \*

ركبت رباب السيارة التي انتظر فيها كريمة جميلة.. سارعت كريمة  
بالسؤال:  
- لقيتيه؟  
- لأ..  
- إنتي عايزاه في إيه؟.. الولد ده حرامى.. خدعنا كلنا وخدع المرحوم  
وخدع أستاذ ممدوح.. وباعك.. ده سرق من الشركة اتناشر  
مليون جنيه.  
لم تعلق رباب ولكنها تحركت بالسيارة.. قالت كريمة:  
- مدام؟.. اوعى تكونى لسه بتحببه.  
نظرت لها رباب..  
- أنا عايزه ألاقيه.. عشان أقتله!!

\* \* \*



## القسم الثالث



١

هيثم

عندما انزلت السيارة التي كان يقودها هيثم في بقعة الزيت الكبيرة على الطريق بدا بعد ذلك كل شيء له وكأنه خارج الزمن.. كان يرى كل ما ترتب على انزلاق السيارة كخلفية لا تهمة في شيء.. إدراكه لسخافة قراره بالضغط على فرامل السيارة بهذا العنف.. دوران السيارة.. السيارات تصطدم به من خلفه.. هل انقبلت السيارة؟.. هل رأى أم رباب والدم ينفجر من رأسها بجواره؟.. كل ذلك كان أقل أهمية بالنسبة له .. كان كل ذلك هو خلفية لحدث أكبر.. ها هو الموت.. يقترب.. الموت الذي ولد معه وعاش عمره القصير في انتظاره..

ها هو يأتيه من حيث لا يحتسب.

لمح ابتسامة طففت على وجهه في قطعة من المرآة انكسرت أمامه.. هل أنا بالفعل أبتسم؟!.. سأل نفسه هذا السؤال.. والضجيج من حوله يبتعد رويدًا رويدًا.. وحالة من الصفاء والهدوء تقترب.. ثبت عينه التي بالكاد كانت مفتوحة على وجهه في قطعة المرآة المنكسرة.. فطالعت صورته المبتسمة ابتسامة سخرية.. كان الأمر جليًا له حتى وهو في هذا الموقف أنه الآن يسخر من نفسه بشدة..

منذ طفولته وهو يعلم أنه سيلقى الموت قريبًا.. يقولون إن أفضل التقديرات والتوقعات.. إن حصل على الرعاية الطبية الجيدة.. كانت ستصل به إلى الثلاثينات من العمر.. سيكون محظوظًا لو استرق عامًا أو أكثر فوق الثلاثين.. وسيكون نادر الحظ إذا كُتب له المزيد!!

من حقه الآن أن يسخر من نفسه تمامًا.. فالموت الذي يقترب منه في هدوء الآن.. تاركًا إياه ينزف دمه ببطء.. دون عجلة وكأنما يستمتع الموت بحالة السخرية التي بدت شديدة الوضوح. وكأن كل الخوف والحرص والأدوية الرعاية والمرض.. كانت أوهاماً.. فأنت لن تموت اليوم بسبب مرضك النادر الذي قضيت عمرك القصير أنت وأهلك تصارعونه.. ستموت بسبب بقعة زيت حمقاء على الطريق.

الموت كان متخفيًا طوال هذا الوقت في زيّ المرض.. كان يسمع أقوال الأطباء ويكتم ضحكاته التي ودت لو انفجرت في وجهك ساخرة منك ومن أهلك.. حين يسمعهم يخبرونك أنك ستموت في الثلاثينات من العمر.. كان الموت وقتها يسخر منك وهو يعلم أنه ينتظرك هنا.. على هذا الطريق يلهو في بقعة الزيت.. يسألك بسخرية واضحة.. هل كنت تصدق فعلاً أن موتك سيكون بسبب الفانكوني أنيميا؟.. هل عشت عمرك كله تقرأ عن هذا المرض؟.. هل دارت حياتك القصيرة حوله وسبحت في فلكه؟.. وحياتك ترتبت عليه أليس كذلك؟..

حتى رباب التي تزوجتها.. كنت تظن أن ما زال لديك بعض الوقت معها..

شعر الآن باختفاء ابتسامته التي طالعته في قطعة المرأة.. سأل نفسه سؤالاً أخيراً.. هل كنت ستتزوج رباب لو علمت أن موتك سيكون اليوم؟.. هل كنت ستوافق على كل هذه اللعبة الكبيرة؟ هل ما فعلته كان خطيئة سأسأل الله أن يغفرها لي؟ أم أنني سددت ثمن خطيئتي؟.. لقد لبيت لها ما طلبت وما لم تطلب.. أما هو.. صديقه.. فقد حصل على كل ما أراد.. وأمه تلقت أفضل رعاية في لندن.

ياالله.. إن كان ذلك خطأ فأنت تعلم يا الله.. أنني كنت مريضاً.. وليس على المريض حرج.

هناك شيئان فقط يمكنهما أن يجعلنا من النفس البشرية أن تقدم على ما لم تتوقع أبداً أن تفعله.. الألم. والموت. وأنا كنت أملك كلا منهما!! ثم اقترب الموت أكثر.. ليكون حقاً قد امتلك الاثنين حق الامتلاك.



## ٢

رن هاتف كريمة .. فإذا به المحامي الشخصي لهيثم.. عندما تلقت المكالمة سألتها مباشرة عن سبب تجاهل رباب لمكالماته المتعددة ولكنها أخبرته أنها لم تعتمد ذلك ولكن الأحداث منذ الوفاة تلاحقها بإيقاع لم يترك لها متسعًا من الوقت.. أخبرها بضرورة أن تمر عليه لتتسلم رسالة تركها لها زوجها.. وأغلق الهاتف غاضبًا.

ظنت رباب في بادئ الأمر أن المحامي قصد أمور الميراث ولكن كريمة أكدت أنه قصد رسالة.. ولم يقل وصية، وأن محامياً كبيراً كهذا الرجل لم يكن ليخلط الأمر.

حاولت رباب أن تستعيد هدوءها.. أغمضت عينها لثوان.. حاولت أن تبعده عن رأسها.. كانت في قمة غضبها.. هل هذا هو الشخص الذي أحبته يومًا؟.. لص وقواد!!.. يبيع التي أحبته ويقبض ثمنها لها.. ثم يسرق اثني عشر مليوناً.. من أموالها هي وابنتها.. ثم يأتي بمنتهى البساطة ليطلب منها أن تزوجه.. وكأنني الحمقاء التي تركها خلفه منذ سنين.

ولكنه بدا صادقاً جداً يوم أمضى معها الليل في فيلتها.. حتى الثانية صباحاً.. كان هو كما تركته.. كان هو حب حياتها ذاته.. لم يتغير.. لم يتبدل منه شيء سوى مسحة حزن كست ملامحه.. أعلم أنني الوحيدة القادرة على إزالتها.

ولكن يبدو أنها كانت تراه كذلك عبر مرآة سذاجتها.. القواد.. اللص.. سأقتله لو اقترب مني ثانية.

فتحت عينها بقوة.. أخرجت سيجارة وأشعلتها.. وسألت كريمة عن مكان المحامي فدلتها.

مرت ساعة في الطريق ثم أوقفت السيارة.. أمضت تلك الساعة محاولة أن تخمن رسالة هيثم.. ثم فجأة قفزت إلى ذهنها فكرة لم تكن قد طرأت من قبل..

إذا كان هو باعها إلى هيثم.. فإن هيثم قد اشترى.. سرى في جسدها قشعريرة مفاجئة.. هل كان حقا على علم بما بيننا؟.. وقبل أن يتزوجني.. ودفع ثمننا له لكي يتركني.. هل هذه السيارة التي تقودها الآن هي ضمن ثمنها.. والفيلا والشركة وكل شيء؟

أوقفت السيارة أمام مكتب المحامي .. وانهارت من البكاء.. ارتبكت كريمة بجوارها وحاولت تهدئتها ولكن رباب وجهت لها سؤالاً مباغتاً..

- هيثم كان عارف اللي بيني وبينه.. وللا لأ؟

نظرت لها كريمة وقالت:

- ممكن تقرى الرسالة اللي سابهالك هيثم بيه الله يرحمه؟.. بعد كده أى سؤال هجاوبك عليه.

أدركت من إجابة كريمة أن هيثم كان يعلم بعلاقتها به.. بل إن الكل كان يعلم حتى كريمة.. وهل كانت أمها تعلم أيضاً أن كل ذلك كان صفقة؟

- مدام..

- أيوه يا كريمة..

- إنتي مش كنتي عارفة إن صحة هيثم بيه مش ولا بد يعنى؟

- آه كان باين عليه جدًّا التعب وكان على طول بيروح لدكاترة.. كان بيقوللي إن مناعته ضعيفة.

- ووافقتي تتجوزيه؟

نظرت لها رباب مصدومة.. كانت تعلم تمامًا مقصد كريمة من السؤال.. هي تسألها بدون تصريح ومباشرة.. تزوجت شخصًا ثريًا يبدو عليه علامات المرض.. هل كنت تتمنين موته يا رباب؟.. وكنت تخططين طوال الوقت للعودة لمصر رغم إعلانك المتكرر باستحالة ذلك.. كنت في قرارة نفسك تريدين العودة إلى مصر حين يموت هيثم..

انزعجت رباب من هذا الخاطر.. وقالت بصوت عال:

- وأنا كنت عارفه منين إنه هييموت!!

اندهشت كريمة لجوابها المفاجئ وأحست رباب أنها أدلت باعتراف صريح دون وعي.. ولكن الجملة التي أفلتت منها دون قصد.. جاءت بالحقيقة مباشرة أمام عينها..

هل بالفعل كانت مرغمة وأجبرتها أمها على الموافقة؟.. أم أنها لم تكن لتفعل شيئًا لم تكن تعلم أنها تريده؟.. هي بداخل ذاتها كانت تعلم تمامًا أنها تريد أن تتزوج منه.. وأنه هو الشخص المناسب الوحيد.

ولكنها فقط كانت تحتاج لضغط أمها كي لا تنكشف أمام نفسها..  
كي لا ترى بوضوح ما خططت له..  
هي وكما تعودت لا تتحرك مباشرة نحو ما تريد.. هي قادرة دومًا  
على ممارسة مهارتها الأكبر.. هي تجعل ما تريد يأتيها دون أن تذهب  
إليه.. تحرك كل الدوافع وتهيء كل الظروف حتى يحدث ما تريد..  
دون أن تكون هي المسئولة.. لأن وقت موافقتها سيكون كل شيء بدا  
وكأنما تم قدرًا.. وأنها لم تكن تخطط له من البداية.  
هي ذات المهارة التي جعلتها تخطط لتغيير ديكور الفيلا وهي تعلم  
أنها لن تعود لمصر.. تصدق ذلك تمامًا وتؤمن به.. ولكن شيئًا  
بداخلها كان يخطط بهدوء وروية وبهيء لها طريق العودة لمصر.  
ظلت تخطط بهدوء دون حتى أن تلتفت هي في وعيها أنها تخطط..  
وكأنما تحفر نفقا من أمريكا إلى مصر بوخز إبرة في الصخر.. حتى  
صار لها نفقها الذي جاءت به من أمريكا إلى مصر دون أن يبدو ولو  
لنفسها أنها خططت لذلك.  
طالما جال هذا الخاطر بذهنها.. ولكنها لم تكن تريد أن تجيب عن  
تساؤلاتها..  
رباب.. لو لم يكن هيثم يمثل لك أملا في الثراء.. وأنه سينزاح بعد  
ذلك بسبب موته أو مرضه لما قبلته زوجًا.. فكما باعك هوليهثم..  
وكما اشترك هيثم.. فأنت قبلت.. حتى لو لم تعلمي يومًا بوجود  
تلك الصفقة.. ولكنك وافقت.

كانت تدرك طوال الوقت أنها تخفي تلك الحقيقة في أعماق مكان بداخلها.. وأنها طوال الوقت كانت تعد العدة للعودة إلى مصر ملكة متوجة.. ليندم كل من آذاها.. وهو أولهم.. هي تعلم أنه إن لم يظهر كانت ستبحث هي عنه.. لثريه كيف صارت.. وأنه ولو تركها.. فإنها صارت أقوى وأسعد.. صارت ملكة.. لا أميرة تنتظر فارسًا أخرج!!.. ثم رددت للمرة المليون.. ما علمته دومًا عن نفسها دون أن تجهر به..

قالت لنفسها للمرة المليون ولكن هذه المرة قررت أن تصغي جيدًا.. لا تدعين أنك ضحية يا رباب.. رباب التي.. (وكما تعودت لا تتحرك مباشرة نحو ما تريد.. هي قادرة دومًا على ممارسة مهارتها الأكبر.. هي تجعل ما تريد يأتها دون أن تذهب إليه.. تحرك كل الدوافع وتهيء كل الظروف حتى يحدث ما تريد.. دون أن تكون هي المسئولة.. لأن وقت موافقتها سيكون كل شيء بدا وكأنما تم قدرًا.. وأنها لم تكن تخطط له من البداية).. أليس كذلك؟..

هي تدرك تمامًا أن ثمة تفاصيل قد شوهت الحقيقة.. تفاصيل من صنعها هي أو من صنع الزمن.. أيا كان من صنع التفاصيل الصغيرة ولكن من وضعها قد علم كيف يصبر على وضعها تفصيلاً تفصيلاً.. بتأنٍ وجلد.. حتى لا يشعر أحد بالتشوه الذي يحدث للحقيقة.. وكأنه يحفر نفقًا بإبرة صغيرة.. بهدوء وثبات وإيقاع منتظم.. لا

يشعر أحد بوخز الإبرة في الحقيقة حتى خلق منها وبها نفقا  
يستطيع من يشاء أن يعبر منه متجاوزًا ما حدث إلى البر الآخر..  
هي لم تبتكر هذه الطريقة.. فالكل يسلك نفقه الخاص الذي يعبر  
منه عبر حقيقته المخزية دون أن يضطر للمواجهة أو النظر  
المباشر..

لكنك اليوم تواجهين وتنظرين مباشرة إلى حقائق مخزية عنك وعن  
الجميع.

ترجلت من السيارة ولحقت بها كريمة التي أمسكت بالطفلة..  
وصعدوا إلى مكتب المحامي..  
ودقائق وكانت تقرأ الرسالة..



٣

ولدت لأجد كل شيء وقد أعد لي.. حتى موعد موتي كان قد حُدد  
بل لعله سبقني إلى هذه الدنيا..  
كان عليّ أن أعي كل شيء مبكرًا جدًا.. بل إنني كنت أتمنى لو أدركت  
مع أول أنفاسي..  
رباب.. بطبيعة الحال أنا قد رحلت عن دنياك ما دمت تقرئين تلك  
الكلمات.. رحلت وأنا حقا لا أدري أخطيئة خلفت ورائي أم أنني  
فعلت صوابًا؟!  
الأمر معقد جدًا.. والمفاهيم ستكون متناقضة حتمًا حول ما حدث..  
لأنني ببساطة أحسب الأمور بقواعد مختلفة لا يمتلكها غيري..  
فمنطقي منطوق أموات لا أحياء..  
حتمًا سيحكون لك الكثير.. كريمة.. أبي.. أو هو!  
هل عاد إليك أم لم يعد بعد؟.. هل أخبرك أم أنك فتحت تلك  
الرسالة قبل أن يلقاك؟.. لا يهم.  
هل تلعينيني؟.. أم تدركين كم أحببتك؟.. أنا أعلم تمامًا أنك لم  
تبادليني الحب بل وأعلم أن قلبك ملك له.. ولكنني لم أستطع يا  
رباب أن أتوقف عن حبك لحظة.. أنت بالنسبة لي.. أنا الشخص  
الميت منذ أن وُلدت.. أنت حياتي وعمري لا امرأة وحسب.

ما حدث هو الجنون بعينه.. أعلم ذلك.. بل إنني ترددت آلاف المرات قبل أن أقدم على فعل كل ذلك.. ولكنهما عيناك.. كلما راوغت عنهما وقعت في أسرهما.. حبك كان حلمًا جميلًا نما في صحراء حياتي القصيرة.. حضنك كان واحتي في طريقي المقفر نحو الموت.. كيف لميت مثلي في صحراء حياته إلا أن يرتوي من نبع حنانك ويستظل بحضنك ويستأنس بابتسامتك؟.. فما دام الموت قادم لا محالة.. فكيف لي؟.. كيف لي يا رباب أن أذهب هباءً؟.. تلك السنوات التي أقضيها معك.. تحمل بين أيامها عمري الحقيقي.. إن كان كُتِبَ عليّ الموت فإن عليك أن تحيي.. وقد أقسمت منذ رأيتك أن تكوني ملكة.. ومملكتي أنا حارسها في حياتي وبعد موتي.. لن تشقي مرة أخرى.. سأمنحك قدر ما استطعت.. لا لأنك زوجتي.. بل لأنك رباب.. كما وصفك هو..

أحن واحدة في الدنيا.

وقد صدق!

توقفت رباب عن القراءة..

لم تتمالك رباب دموعها.. لم تكن تعلم لماذا تبكي.. هل صدمها علمها بكم الحب الذي أحبه هيثم إياها؟.. واختلط ذلك بمعرفتها الآن بشكل مؤكد أنه كان على علم بحبها للشخص الذي باعها إياه.. هو كان يعلم!!.. لم يعد الأمر محط تخمين بل أصبح التساؤل خبيرًا يقينا.. هل يغفر له كل هذا الحب الصادق خطيئته الأولى؟..

أنا لست سلعة تباع وتشتري بحجة الحب.

ولكن يا رباب هذه الدموع ليست لذلك الأمر.. هذه الدموع لأنك تدركين أنك كنت شريكة في هذه الصفقة.. بل إنك استغللت حبه وضعفه واحتياجه لك لكي تصلي إلى مرادك.. أيتها الملكة المتوجة الآن على عرش مملكة مات ملوكها إلا أنت .. لم تبكين وقد تحقق مرادك؟.. بل كان القدر مسانداً للغاية.. ها هو هيثم يموت.. والأمر لم يعد تخميناً وانتظاراً بل هو الواقع.. لعله لو أخبرك منذ البداية بمسألة مرضه ولم يوار المرض خلف حجة مناعته الضعيفة لكنت أشد حماساً للموافقة.. لأن وقتها كنت ستضمنين أنه سيرحل.. لا تتمنين في صمت.

في أسوأ توقعاتها عن نفسها.. وفي أفسى ما تصورت عن نفسها.. لم تر رباب أنها بهذه الصورة القبيحة من قبل.. كل هذا الوقت الذي أمضته مع هيثم لم تكن تفكر في الأمر بهذه الصورة الفجة.. كانت مجرد وساوس تطفو تارة على السطح ثم لا تلبث أن تخفيها.. ولكنها كانت موجودة.

قالت رباب لنفسها بهدوء.. لم يكن ليدفعني لكل ذلك سوى الألم.. لقد تألمت كثيراً.

- ينفع أخذ الرسالة أقرأها في البيت؟
- أكيد طبعاً الخصوصية من حقلك في الظروف دي يا مدام.. ربنا معاك.

قالها المحامي وناولها منديلاً ليمسح دموعها..



## ٤

دخل هيثم الفصل وقد أمسك الناظر ببديه.. سمعه يقدمه للتلاميذ ويحذرهم من مضايقته.. بدا له ذلك الفصل كئيبيًا جدًا.. مزدحمًا لدرجة جعلته يفكر كيف سيتنفس!!.. أحس بغربة تغلف قلبه تمنع أي صلة بينه وبين هذا المكان.. لم يفهم لماذا أصر والده على نقله هنا إلى هذه المدرسة.. الميزة الوحيدة في تلك المدرسة أنها كانت بجوار الفيلا تمامًا فلم يكن يحتاج لقطع كل ذلك الطريق الطويل الذي كان يسلكه ذهابًا وإيابًا ليصل لمدرسته الأولى.. ولكن كانت مدرسته الأولى أكثر اتساعًا.. مساحتها الخضراء.. فصولها المزيّنة دومًا.. الملاعب التي لم يكن يستطيع أن يلعب فيها ولكنه كان يحبها.. كان يقضي وقتًا طويلاً يشاهد أصدقاءه وهم يلعبون.. كان يتقبل تمامًا فكرة أنه لن يستطيع مشاركتهم في ألعابهم المرهقة تلك.. فقد جرب ذلك من قبل.. ولكن كم الألم وضيق التنفس الذي أصابه وقتها جعله لا يفكر في تكرار التجربة ثانية.. خاصة مع كم الأطباء والأدوية وكل تلك المرحلة التي تلت وعكته الصحية.. فإنه لن يعود مرة أخرى لممارسة أي لعبة تجعله يمر ثانية بما مر به.

أبدله أبوه بألعاب أفضل منها.. امتلأت غرفته بألعاب إلكترونية وأجهزة ومجلات وأدوات لم يملكها الكثير من أصدقائه..

كان أبوه يسمح له أحيانا باصطحاب أحد الألعاب إلى المدرسة لتؤنسه حين يلعب الآخرون في الملاعب والمساحات الواسعة.. كان هو يكتفي بمشاهدتهم.. فإذا أراد لعب الكرة مثلهم كان ذلك ممكنا فقط على أحد الأجهزة والألعاب الإلكترونية التي أعطاه إياه أبوه.. مع الوقت صارت ألعابه أيضًا مصدرًا لجذب الكثير من ذويه في المدرسة فترك الكثير منهم الملاعب وجاء ليشارك هيثم ألعابه.. خاصة عندما سمحت له مدرسته باصطحاب ألعابه الإلكترونية إلى المدرسة في يوم من أيام الإجازات.. ملأت ألعاب هيثم المدرسة ووقف زملائه انبهارًا.. يتزاحمون ويتدافعون نحوه ليسمح لهم باللعب أو يعلمهم أصلا كيف يلعبون تلك الألعاب..

كان أبوه لا يتوانى عن جلب أحدث الألعاب من أي مكان.. حتى لا يشعرولو للحظة أنه كان مختلفا عن ذويه..

ولكن هيثم كان يعلم.. أنه يومًا ومهما أتى له أبوه بأجمل الألعاب.. فإنه لن يُسمح له بأن يشارك زملاءه لعب الكرة.. أو أن يذهب معهم للسباحة في النادي.. ولا حتى سيستطيع يومًا أن يقود دراجة.. كان يحب مدرسته جدًا.. ويشعر في كل لحظة يقضيها هناك بأنه مميز لا مختلف.. كان مدرسوّه يحبونه.. يعاملونه جيدًا بل ويسمحون له أحيانا بما لم يُسمح به لزملائه.. من منهم يملك رفاهية أن يأتي بألعابه إلى المدرسة!!؟

كون العديد من الصداقات في مدرسته تلك بفضل إقبال الكثير على ألعابه.. حتى أنه كان يهدي سرًا دون علم أبيه إحدى ألعابه لزميل له أحبه.

وحتى لو علم أبوه لم يكن ليغضب بل سيضعف عدد ألعابه ويحضر له المزيد من الهدايا ليوزعها على من يريد.

كان لا يفهم لماذا يتعجب أصدقائه من كم الألعاب التي لديه.. وكان يتساءل لماذا لا يملكون هم ألعابًا مثلها.. أليس لديهم أباء كأبيه؟!.. فإذا كان لديهم فلماذا لا يسألون أباؤهم أن يحضروا لهم المزيد من الألعاب؟

ولكن كل ذلك أصبح ماضيًا.. وهو الآن يقف ممسكًا بيد الناظر في هذا المكان العجيب المكتظ من كل جانب بتلاميذ لا يشبهون قط أيًا من زملائه.. ينهالون عليه بنظرات لم يفهمها ولكنها كانت تخترقه فيفزع منها رعبًا.. يسأل نفسه ألف مرة.. لماذا أتى به أبوه إلى هنا؟! - ده زميلكم هيثم.. منقول جديد هيثم صحته كويسة جدا لكن هو الدكتور نصحه بأنه مايبذلش مجهود كبير.. هيثم ده في وشي أنا.. أي كلب فيكوا هيغلس عليه ولا هييرذل عليه عقابه مش عند حد.. عقابه عندي أنا شخصيًا.

سمع الناظر يقول تلك الكلمات.. فازدادت نظرات الأولاد كرهًا وبغضًا.. وهو لا يفهم.. حتى رفع أحدهم يده معلنا عن وجود مكان فارغ بجواره.. نظر هيثم إلى هذا الولد.. كان الولد ينظر له مشجعًا وقد تزحج ليسمح له بالجلوس..

أثنى المدرس الذي كان يقف إلى جواره والناظر على هذا الولد..  
- يا حضرة الناظر فعلا ده مكان مناسب أهو يقعد جنب الولد  
المؤدب ده.. ده ولد شاطر وطلع السادس في امتحان الشهر.  
كانت كلمات سخيفة ولكنه لا يعلم لماذا جعلته يطمئن لهذا الولد..  
وجلس إلى جواره فإذا به يتناول عنه حقيبتة ويضعها بجوارهما..  
ولد شبح صداقة بينهما منذ هذه اللحظة.. لم يكن أي منهما يدرك  
أنها ستكون الصداقة الأهم في حياتهما.. بل ظلت هذه الصداقة  
شاحبة لا تتعدى بضع كلمات يتبادلونها كلما أتى هيثم إلى  
المدرسة.. كان يستمع بذهول للحكايات التي يؤلفها صديقه الجديد  
عنه.. ولكنه لم ينكر أبداً أنها كانت حكايات مسلية.. حتى المبرر  
الواهي الذي قدمه له كسبب لاختلافه تلك الحكايات لم يقنعه..  
قال له أنه لولا تلك الحكايات لنسوة واستولوا على مكانه.. كان  
هيثم بالفعل لا يهتم بهم ولا بتلك المدرسة.. كان فقط يأتي ليوم أو  
اثنين.. وهو يدرك أن ذلك كله لا قيمة له وأن مدرسته الفعلية  
أصبحت في منزله، فكل المدرسين الذين أحبهم هيثم في مدرسته  
الأولى كانوا يأتون له في البيت..  
ولكنه لم يشأ أن يغضبه أو يسخر منه.. فأقر الحكايات بل وأكدها  
أمام زملائهما.. ولكن جسده لم يعد قادراً على الخروج من المنزل..  
وصار المرض يقضي على طاقته.. فقرر والده مكوثه في البيت تماماً..  
فانقطعت صلته به لوقت طويل.

قضى هيثم ذلك الوقت يتبادل عليه الأطباء فرصهم في الكشف..  
سافر مرة أو مرتين إلى الخارج.. حتى رأى أباه وهو يذبل!!! نعم كانت  
تلك هي الكلمة الصحيحة حينئذ لوصفه.. كان وجهه يذبل.. كان  
أحياناً يسمع أزيز بكاء أمه في حجرتها.. ثم يفاجئه أن أباه أيضاً  
يشاركها البكاء.. أدرك أن الأمر يتعلق به.. لم يمض الكثير حتى صار  
أبوه أكثر سخاءً وأكثر حرصاً على إسعاده..

يبدو أن تلك الأوقات كانت الأوقات التي تأكد لهم فيها أن مرضه لا  
علاج له.. أم أنهم كانوا يدركون ذلك من قبل وكانت تلك الأوقات  
التي صارحهم فيها أحد الأطباء أن عمره لن يزيد عن الثلاثينات في  
أفضل الأوقات؟

لا يدرك بالضبط.. فتلك الأمور كانت مخبأة عنه تماماً..

حتى جاء اليوم الذي ضاق فيه ذرعاً من كل تلك الدموع التي  
تذرف من ورائه وتلك الابتسامات التي تزيّف أمامه.. كان الأمر قد  
تعقد تماماً.. حتى انقلب على كل شيء.. رأى الفيلا المتسعة سجناً..  
والهدايا والألعاب رشوة له لينسى وحدته وسجنه.. رأى في حنان  
أبويه قسوة السجنان.. كان يتوق للخروج إلى مدرسته القديمة.. ثار  
على كل الألعاب الإلكترونية.. وعلى كل وسائل التسلية التي  
اكتظت بها غرفته..  
بلا مقدمات.. ثار..

لم يعد يطق الصمت المطبق من حوله.. تذكر مئات المرات التي لم يحصل فيها على إجابة لسؤاله.. لماذا كل ذلك؟!.. لم أنا سجين الجنة التي اسكنتموني إياها؟.. فجننتكم سجن.. وأنا لم أفعل شيئاً. تذكركم من ليلة قضائها وحيداً في غرفته.. بعد أن يقبله أبواه.. يتمنى أن ينام فلا يستطيع.. كان يكره الليل.. لأنه كان يخلي بينه وبين وحدته.

فوحده التي كان يهرب منها طوال النهار مع أمه أو أبيه أو الخادمة وابنتها.. أو وسط ألعابه.. لما كان يجن عليه الليل.. كانت الوحدة تصحو كمشخ أو كائن أسطوري مخيف يأتي ليطبق عليه أنفاسه. حتى تولدت لديه أسطورة لا يعلم من أين أتته.. كانت كل ليلة في الثانية عشرة ليلاً.. وفي صمت الليل الذي يغلف الفيلا من كل مكان.. كان هناك صوت واحد يشق هذا السكون.. ساعة الجدار المهيبة التي تقبع في هيو الفيلا في الطابق السفلي.. كانت تدق كل ليلة مصدرة لحنا مخيفاً له.. ثم تدق محذرة اثنتي عشرة دقة.. تكرر اثنتي عشرة دقة ثقيلة.. بهوي قلبه مع كل دقة.. وهي تؤكد عليه أن الليل قد انتصف وأن مسخ الوحدة سيأتيك الآن.. فاحذر.. فكانت تتجمد عروقه وتتصلب أطرافه رعباً كلما سمع دقاتها ليلاً وهو وحيد.. بل إن أسعد لياليه هي تلك الليالي التي كان ينام فيها قبل هذا الموعد.. فكان كل يوم يجتهد في أن يجهد نفسه طوال النهار ليسقط ليلاً نائماً قبل أن يأتيه مسخ الوحدة من ساعة الجدار.. عبر الاثنتي عشرة دقة..

ولكن أبويه ولأنهما لم يفهما سر محاولاته في إجهاد نفسه.. كانا يحرصان ألا يتعب كثيراً حرصاً على سلامته.. فكانا دائماً ما يخبرانه بتلك الجملة التي حفظها عن ظهر قلب.. حتى أنه قالها لرباب فيما بعد حين سألته عن سر زيارته الكثيرة للأطباء..

كانوا يخبرونه دومًا أنه ضعيف المناعة.. وأن أي مجهود وأي تعرض حتى لنزلة برد يلحق به أذى كثيراً.

ولكنه كان يفضل الأذى عن مسخ الوحدة الذي يأتيه من ساعة الجدار.. وكان يتحمل طعم الأدوية المرووخة الإبر التي تحقن له حين يمرض.. عن الرعب الذي يلقاه مع كل دقة من الاثنتي عشرة دقة!!

حتى تغيرت الأوضاع قليلاً.. فكان يحاول أن يتسلل من غرفته قبيل الثانية عشرة بدقائق.. ويلتصق بباب غرفة أبيه وأمه.. ظن بتفكير طفل.. أن المسخ سيخاف منهما ولن يأتيه.. فكان ينتظر على باهما حتى تمر الاثنتا عشرة دقة.. فيظن أنه بذلك قد انتصر على المسخ. إضافته لهذه التفصيلة الساذجة هدأت قلبه كثيراً وجعلت الليالي تمر.. لم تكن لتمر بسهولة لولا ذلك.. بل إنه لم يعد يخشى المسخ. ولكنه في تلك الأيام بدأ يسمع نحيبهما.. ولم يتوقف بكاء أمه وأبيه كل ليلة.. كل ليلة حين يلجأ إليهما هربًا من مسخ الوحدة في الثانية عشرة ليلاً.. كان يسمعهما يبكيان.. حتى طرأت له خاطرة.. أنه هو من يؤذيهما.. لا يعلم كيف أتت له تلك الخاطرة.. ولكنه صدق وأمن أنه حين كان يلجأ إليهما هربًا من المسخ..

فإن المسخ كان يلحق بهما بدلا منه.. وأنه لم ينتصر حقا على المسخ بل جعل والديه كبشًا لفدائه.

مضت ليال كثيرة يقطع تأنيب الضمير أحشائه .. ولكنه لخوفه الشديد من مسخ الوحدة والساعة والاثنتي عشرة دقة.. كان لا يستطيع أن يتوقف عن اللجوء لبايهما.. ويسمع بكاءهما ويدرك أن مسخ الوحدة الآن يعذبهما بدلا منه..

وكان يعلم أن تلك أنانية منه.. يدرك ذلك تمامًا ولكنه لم يكن لديه شيئا ليفعله.. كان كل صباح ينظر إلى أعينهما وهما يتناولان الفطور معه.. كان يرى الذبول.. ويلمح نظرات الألم والانكسار لديهما.

كان يعتقد أن ذلك بسبب ما فعله بهما مسخ الوحدة.. أدرك فيما بعد أنهما كانا يبكيان لأنه سيموت قريبًا وأن مرضه لا علاج له ولكنه أدرك ذلك متأخرًا.

كان يتمنى لو أن لديه الشجاعة الكافية ليوقف هذه المهزلة.. وكان كل يوم يقرر أنه اليوم لن يذهب إلى باب غرفتهما.. ولكنه يجد نفسه عندما يحين الوقت قد امتلأ رعبًا فيفر إليهما فرارًا.

ولكنه ثار.. كل شيء زاد عن حده.. وحدته أصبحت ليل نهار.. أدرك أنه مسجون.. لا يحصل على إجابات شافية.. فقرر أن يثور.. فإذا به ذات صباح.. يصرخ.. يصرخ بألم.. متعلقا بباب الفيلا.. يصرخ أن أخرجون.. لعلي أجد بالخارج ما لا أجده هنا.. تسارع الجميع نحوه يحاولون تهدئته.. ولكنه لم يكن لهبدأ بل يزداد ثورة.. وفجأة

دقت الساعة.. اثنتي عشرة دقة.. ولكنها دقائق صباحية.. وعلى الرغم من ذلك فقد أثارت جنونه.. وانطلق نحوها.. لا يعلم كيف تجرأ.. ولكنه حطمها تمامًا.. انهال عليها ضربيًا.. انتزع عقاربها بعنف.. داسها بقدميه.. وهم يحاولون انتزاعه من فوقها ولكنه ظل في ثورته محطماً إياها..

ثم انكب عليها مغشياً عليه!!

عندما استيقظ وجد أباه وأمه عند رأسه.. تحاول أمه ملاحظة دموعها لإخفائها.. عندما أتم استفاقته.. رأى الطبيب وهو يللم أدواته.. ويتسّم.. شعر هيثم بكراهية مبالغتة تجاهه.. وكأنها كل الكراهية التي نمت بداخله يومًا بعد يوم لكل أطبائه الكثيرين جدًّا.. ولكل الأدوية والأشعة والتحاليل والمستشفيات وكل ذلك الهراء.. شعر بكل ذلك مجتمعًا ضد هذا الطبيب.. فقال بوهن:  
- أنا مش عايز دكاترة كفاية بقى.

ابتسم الطبيب وأمسك بيده.. نظر هيثم فتذكره، لقد قام بالكشف عليه ذات مرة.. لم تكن ملامحه من النوع الذي يُنسى.. وجه شديد البياض لدرجة توهي بشحوبه.. أنف دقيق وفم كخطين رُسما بقلم.. ترتكن النظارة الصغيرة ذهبية اللون بلا إطار على أنفه وتقع خلفهما عينان غائرتان ولكنها تنظران بثقة أضفى عليهما لونهما الأزرق بعدًا خاصًا.. كان شعره البني مصففا بعناية.. وحين نزل هيثم عينيه عنه رأى يده وقد التف حولها أشرطة الشاش.. يبدو أنها كانت تنزف.. نظر له الطبيب بلطف وقال:

- هيثم.. أنا فاهم إنك زعلان من بابا وماما ومني ومن كل الدكاترة  
اللي مريضوش يقولوك عندك إيه.. وماحاولوش يفهموك إيه  
أحسن طريقة ممكن تعيش بيها.

شهقت أمه وفرت منها دموعها.. فأشار لها الطبيب..

- صدقوني يا جماعة.. أفضل طريقة هيثم يتعالج بيها.. إنه يفهم  
مشكلته.

قالت الأم بصوت يكاد يخرج:

- ابني صغير.. طفل حرام عليكو..

- وده سبب أدعى إنه يستمتع بحياته.. الطب مش بس علاج  
وأدوية.. جزء كبير من الطب بيعتمد على ال life style..

وال improvement of patient life.

كان أبواه قد انخرطا في نقاش طويل قبل أن يفيق هيثم مع هذا  
الطبيب.. كان طبيبًا شابًا.. كان قد اطلع على حالة هيثم ذات مرة  
وهو الوحيد ضمن عشرات الأطباء الذي ألمح لهما من قبل أن  
هناك حالة نادرة تسمى fanconi anemia.. من الممكن أن تكون  
هي حالته.. ولكنه أخبرهما صراحة أن هذه الحالة لا يمكن  
تشخيصها في مصر بسهولة.. وإن كان ذلك ممكنا فهو يشك في  
جراحة أحد الأطباء أن يعلنها صراحة.. لذلك طلب منهما أن يعرضاه  
على أطباء آخرين بمصر وخارجها.. وطلب منهما تحاليل كثيرة لم  
يتركا أيًا منها إلا وقاما به.

كان كل الأطباء لا يذهبون مباشرة إلى هذا التشخيص ولكن منذ أن اقترح هذا الطبيب الشاب هذا التشخيص حتى مال الكثيرون إليه.. ولكن طلب معظمهم أن يذهبوا به خارج مصر.. وفعلوا. اتضح لهما بعد ذلك جمل الموقف.. ومهابة المرض الذي لحق بابنهما.. أو بمعنى أدق هولم يلحق به.. بل هو مولود به.. مرض وراثي نادر.. هو السبب وراء هذا الجسد النحيل قليل المناعة.. هذه الأنيميا.. هذه القامة القصيرة.. حتى أنه فسربقًا داكنة انتشرت على جلده احتار فيها الكثيرون..

أثناء غيبوبة هيثم هذه المرة.. اتصلا به فجاء فورًا.. جزء بداخل الطبيب الشاب كان مولعًا بهذه الحالة.. من النادر لطبيب شاب مثله أن يصادف حالة كتلك.. بل وينجح في تشخيصها دون أطباء كبار..

جاء مسرعًا.. ليعلم أن هيثم قد سقط في إغماءة.. كان تفسيره الأقرب بعد ما استمع لما حدث فجأة وبدون مقدمات.. أن هيثم تعرض لضغط نفسي كبير.. حتى ما إن أخبره والد هيثم أن ابنه قبل أن يهاجم الساعة.. كان ممسكا بباب الفيلا يصرخ أن أخرجوني.. حتى فهم الطبيب على الفور.. وأخبرهم أن في رأيه أن هيثم له الحق كأى مريض أن يعلم ما عنده.. قد نضطر لتأجيل فقرة الموت عند الثلاثينات.. ك life span متوقع لهذه الحالة.. ولكن المريض أى مريض عليه أن يعلم عن مرضه كل شيء تقريبًا..

ليكون قادرًا على أن يتحداه ويهزمه.. أو على الأقل ليعي كيف سيستطيع أن ينشئ لنفسه حياة بجوار هذا المرض خاصة لو أن هذه الحياة لن تمتد به سوى ثلاثين عامًا على الأرجح.

في البدء رفضت أمه تمامًا.. وبدا أبوه مترددًا.. ولكن الطبيب الشاب كان مقنعًا جدًا في نقاشه.. حتى أنهما لم يستطيعا إجابة تساؤلاته حول كيفية تفسير رفضهما التام لخروجه أو الذهاب إلى المدرسة التي هي بالفعل أصبحت بجوار البيت ناهيك عن مدرسته الأولى.. أكد لهما أن هيثم لن يتوقف عن السؤال عن السبب.. وأن حجة المناعة الضعيفة واهية.. وأنه لم يعد صغيرًا.. فهو في نهاية مرحلته الإعدادية..

ثم أضاف الطبيب نقطة ألجمت الكل.. إن تشديد الخناق على هيثم وإحاطته بكل هذه الألعاب الإلكترونية تقتل خياله.. هو في تلك السن ولكن عقله وتفكيره ما زال كطفل في الابتدائي أو أصغر.. فأنتما لم تسمحا له حتى بأن ينضج.. هكذا قالها الطبيب.. ثم أضاف.. هل هيثم يمتلك عقلية ولد سيدخل الثانوية العامة بعد قليل؟.. هل يقرأ؟.. هل يعلم شيئًا عن الدنيا غير المستشفيات والألعاب الإلكترونية؟.. هل إذا مات أبواه سيستطيع يومًا بهذه العقلية القاصرة أن يواجه ما تبقى له من العمر؟  
- أنتو بتقتلوه قبل أوانه..

كان يؤكد على ذلك.. ولكنه كان يعود فيؤكد.. أن ما زالت الفرصة متاحة.. مصارحة هيثم بواقعه بداية جيدة..

حتى يستوعب عقله سبب الخوف المبالغ فيه عليه.. وحتى يفهم هو نفسه لماذا عليه أن يحرص على صحته.. ولكن عليهما أن يلحقا بعقله.. فهو بسبب عزلته ما زال طفلاً..

وعندما أفاق هيثم.. كان الاتفاق قد تم أن الطبيب الشاب سيتولى الأمر.. وعندما سمع هيثم ذلك الطبيب وهو يقول إن أفضل حل لهيثم أن يعلم بمشكلته.. حتى انتهت حواسه كلها.. وتبخر الكره والغضب نحو الطبيب.. ونظر له مستجدياً أن يخبره كل شيء.. ولكن الطبيب طلب من أبويه مغادرة الغرفة.. ترددوا ولكنه أشار إليهما أن اطمئنا.. جرأبوه نفسه وزوجته إلى الخارج.. وأغلق الباب ولكنه لم يستطع أن يتعد فالتصق بالباب يسترق السمع..

نظر هيثم إلى الطبيب وقال:

- أنا فعلاً عايز أعرف أنا ليه محبوس هنا..

- إيه رأيك لو إديتك معلومة مقابل معلومة؟

- يعني إيه؟

- يعني مثلاً.. مثلاً.. تقولي حاجة عن هيثم أنا ما عرفهاش..

فأقولك حاجة عن هيثم أنا أعرفها.

- نلعب يعني؟

ابتسم الطبيب.. وقال: تمام.. نلعب.

كأى طفل.. اندمج هيثم سريعاً مع لطف الطبيب الشاب.. بل

استنكر كيف كان يكرهه منذ قليل..

حتى أن فرضية اللعب غطت على فضوله لمعرفة تفاصيل مرضه..  
 فعندما سأله الطبيب عن سر هجومه المفاجئ على الساعة.  
 حتى حكى له هيثم باستفاضة عن كل شيء.. دقائق الساعة..  
 ومسح الوحدة.. وباب غرفه أبيه.. وإحساسه بالذنب لأنه تركهما  
 يتعذبان بسببه.. ابتسم الطبيب الذي بدا مذهولا من سذاجته..  
 - أنت متأكد يا هيثم إنك في إعدادي؟.. كلام زي ده يقوله عيل  
 صغير.. مش شاب زيك.. الكلام ده كله مش صح.. هيثم أنا عارف  
 إن ده دورى عشان أقولك على حاجة عنك أنت ماتعرفهاش..  
 بس قبل ما أقولك لازم توعديني.. إني لما أخرجك من سجنك ده..  
 عايز منك حاجة مهمة..  
 - إيه؟  
 - أنت فاتك كتير أوى في الدنيا.. الدنيا برة حلوة.. وأنت بعقلية  
 طفل ولازم تلحق تفهم الدنيا وتكبر وتستمتع.. العمر ساعات  
 مايكفيش إننا نفضل أطفال كتير.. الحق اكبر..  
 - مش فاهم!  
 - يعنى.. أول ماتاخذ حريتك وتخرج من هنا.. استمتع بالدنيا أوى..  
 من غير ما تأذى صحتك طبعًا.. بس ماتحسش بالذنب ناحية  
 حد لأنك ما أذتس ولا هتأذى حد.. أنت بس محتاج تلحق تشوف  
 الدنيا لأن فاتك منها كتير.  
 لم يكن هيثم يعلم في ذلك الوقت أن تلك ستكون أول نصيحة..  
 وأهم نصيحة سيسمعاها ويطبقها فيما بعد في حياته..

ولكنه ترك نفسه ليستمع إلى الطبيب.. الذي شرع يحكي له كل شيء عن مرضه.. الذي واجهه في هذه اللحظة لأول مرة وجهًا لوجه..

الفانكوني أنيميا. مرض وراثي وليس معنى ذلك أن أحدًا قصد أن يورثك إياه.. ولكن يا هيثم هو مرض منحك الله إياه حتى يزيد من سرعة لقاءك به فيدخلك الجنة.. يبدو أن الله يحبك أكثر من الكثيرين فيريد أن يعجل لقاءك به.. فالله هنا الآن.. معنا في هذه الغرفة.. هذا حديث قدسي شهير.. يخبرنا أن الله عند المرضى سنجده.. كيف؟.. لا فهم.. ولكنه هنا يردك بنفسه فلا تجزع..

عليك أن تدرك من اليوم.. أنه ليس لك الحق في أن تُعرض نفسك للكثير من الإرهاق والتعب.. لأن دماءك لا تحمل ما يكفها من الدفاعات والإمكانات كأى شخص آخر..

كان هيثم يستمع.. وهو يحاول أن يستوعب ما يخبره به.. ولكنه لم يظن أنه فهم جيدًا.. فسأل الطبيب:

- ولورينا بيحبني.. وعائزني أرجعله بسرعة.. جابني هنا ليه من الأول؟

ابتسم الطبيب معجبًا بسؤاله وقال:

- لا الطب مالوش قدرة على الإجابة على الأسئلة دى.. بس لما تقابل ربنا اسأله..

شرد هيثم محتارًا.. فقطع شروده الطبيب..

- أنا هقتبح على باباك.. يسفرك بره.. بره الدنيا أوسع وأجمل  
..وعلى فكرة فيها مدارس أحلى من هنا ألف مرة.. وفيها ناس  
فاهمة حالتك كويس ويقدرُوا يتعاملوا معاها..
- بس أنا بحب هنا وعائز بس أرجع مدرستي.
- صدقنى.. مش إحنا صحاب؟
- بدت لهيتم هذه الفرضية غريبة ولكنه أوما برأسه أن نعم..
- يبقى اسمع كلامي.. بص يا هيتم.. أنت عارف أنا هموت إمتى؟  
هز هيتم كتفيه نافيًا.. فأكمل الطبيب:
- ولا أنت عارف هتموت إمتى.. ولا حد عارف.. الدنيا كلها كده  
..يبقى الشاطر اللي ماضيعش وقت.. ويوصل بحياته لأفضل  
شكل.. وفي حالتك دي.. أنت محتاج ناس وأماكن معينة.. ودول  
للأسف مش هنا..
- يا هيتم أنت مش طفل خلاص.. اللي في سنك بيقرأ ويتفلسفوا  
وبيجبوا..
- بيجبوا؟
- آه.
- مانا بحب صحابى.
- لا.. فيه حب أكبر من كده.. يالا اخرج من هنا واعرفه..
- فتح أبوه الباب.. وبدون مقدمات احتضن هيتم بقوة.. ونازعتة أمه  
حضنه.. فقام الطبيب من مكانه تاركًا لهما المكان..

ولكن هيثم وجد لرأسه طريقا بين أكتفاهما.. ونظر لطيبه.. الذي  
غمز له بعينه.. وأشار إليه أن اطمئن..  
- هنتكلم تاني أكيد يا هيثم..

\* \* \*

اندفعت رباب إلى غرفتها.. وأخرجت الرسالة وأكملت القراءة..  
تكون البدايات دومًا عادية جدًا تكاد تقسم أنها حدثت من قبل  
ملايين المرات تمامًا كما تحرك أول قطعة على رقعة الشطرنج.. من  
أين يبدأ كل شيء؟.. لا أعلم.. فهناك بدايات دومًا تسبق أي بداية..  
فلكل أمر قد حدث دافع أحدثه ولكل دافع ذكرى.. وكل ذكرى  
تدبل .. فمنها ما يموت ومنها ما يحيا إذا بعث لها من يحيمها.. يبدو  
أن لكل بداية بدايات تسبقها.

أنا لا أعلم كيف تطور الأمر بهذه الدرجة.. كل ما أعرفه هو أنني  
أحببتك.. نعم.. أنا الذي لم أحب من قبل ولا من بعد أحدًا غيرك..  
أحببتك في اللحظة التي أراني فيها صديقك – أو حبيبك إن أردت  
أن تطلقني عليه ذلك – صورتك..

ولكني أعلم تمامًا أنني يومًا سأموت.. قريبًا جدًا.. أليس من حقى أن  
أهب تلك الأيام القليلة لشخص؟.. صدقيتي.. أنا أعلم أنني  
أعطيتك الكثير.. وحاولت إسعادك كثيرًا بكل ما أتيح لي.. ولكن  
جل ما أعطيته إياك إن أنت أدركت الأمر جيدًا.. هو عمري.. فعمري  
لشخص في ظروف محكوم عليه بالموت.. هو أغلى ما لديه..

الآن.. وأنت تقرئين.. أنا قد انتهيت ومت.. والآن عادت لك حياتك  
بدوني مرة أخرى.. ويمكنك أن تحكي.. ولكن أنصفي في الحكم..

ألم أجعل حياتك أفضل؟.. لو كانت حياتك قد استمرت مع هذا الشخص الذي ابتعد عنك وحرّمك على نفسه وحرّم نفسه عليك.. وجعل مرضه حائلا بينكما.. وكنت عشت معه.. هذا الذي لا يعلم كيف يستمتع بأي شيء.. هل كان سيسعدك؟.. هو حكم على نفسه بالمرض وأغلق حياته من دون الناس ومن دونك.. وأنا الذي على الرغم من موتي المقدر.. فإننى أدركت روعة الحياة.. وحاولت جاهداً أن أمنحها إياك قبل أن أرحل.

فاحكى أنت.. أخطيئة فعلت.. أم صواباً؟  
فالأمر الآن قد انتهى.. وأنا قد رحلت..

يبدو الأمر دوماً وكأنما توقف فجأة وانتهى.. ثم قد ندرك أو لا ندرك أن الأمر كان ينتهي منذ البداية عشرات المرات حتى لفظ اللحظة الأخيرة.. فلا نية لبدء إلا ومعها نية لنهاية..

حتى قصص الحب التي نتمناها خالدة.. منذ أول لحظة ميلاد يعيها أنها تتخذ طريقاً بشرياً عكس طبيعتها.. فالبشر فانون تميل نفوسهم للفناء والإنهاء والانتها.. فلا يستطيع العقل البشري تصور الخلود إلا بقدرة تفوق قدرته أو عالم بغير طبيعته.. فالحب يجري لمستقر له.. كما كل شيء.. فلا معنى له إن لم يمت.. ولكنه قد يكون خلقاً أطواراً.. كفراشة شقت طريقها بكفاح.. فإن مات الحب قد يعطي رحيقه لمودة أو عادة أو غريزة أو أمر واقع.. فالحب حلقة تصل لحلقة لا طريق ممدود بلا نهاية..

وأنا إن انتهيت.. فقد جعلت من حياتي المنتهية.. حياة مستمرة معك أنت..

أنا تحديث الموت بك.. وبحبي لك.. حبي لك خُلق أطوارًا.. والآن ولى طور حبنا كرجل لامرأة.. وصار في طوره الآن فكرة.. تركتها لديك.. رباب يمكنك محاربة كل الألم.. ولا تنظري إلا لكيف تحققين سعادتك.

معك مملكتك يا ملكتي.. وأنت حرة تمامًا.. أنا لم أهدعك.. ولكنني كنت صريحًا معك.. نعم لم أخبرك بأمر مرضي وموتي القريب.. ولكنني أظنك كنت تفهمين ذلك.. فالمرض كان ينهشني نهشًا.. أما صديقك أو حبيبك الذي تخلى عنك وتركك لي.. فلا تلوميني.. بل لوميه هو.. هو الذي سجن ذاته في سجن أوهم نفسه به.

رباب.. نصحتني طبيبي يومًا أن أبحث عن ما أسماه هو: ( quality of life ) وما أسميته أنا لاحقًا سعادتي.. لن أبرر أي شيء مما فعلته.. فإن لم تكن محاولاتي لإسعادك وحبي لك كافية لك لتغفري لي إن كنت مخطئًا أو تشكريني إن كنت على صواب..

فالتبرير لن يصبح مهمًا.

أنا سرقت من عمرك بعض السنوات.. هي حتى هذه اللحظة التي أكتب لك فيها لم تتعد الثلاث..

ولكنني أهدك.. أنني كما سرقت منك تلك السنوات.. سأعيد كل شيء مكانه.. حتى تعلني أنني كنت على حق.

وسأترك لك الاختيار حينئذ.. سأعيدكما سوياً.. برباط لا ينفك..  
وأجعلك ترينه على حقيقته.. لتدركي إن كنت أنقذتك منه أم  
حرمتك منه.. هذا الإنسان الكاره لمعنى الحياة..

إن كنت ستختارينه مرة أخرى بعد موتي.. علميه كيف يحيا..  
وبالأحرى أن يتعلم من ميت مثلي منذ ولد كيف خطف من الدنيا  
ما شاء.. ورحل ليتترك الكل عاجزاً عن نسيانه رغم سنواته  
القصيرة..

فرغم كل شيء.. سواء كان ما فعلت خيراً أم شراً.. فالكل سيتذكر  
أن هيثم الذي مات في الأغلب في الثلاثينات من عمره.. كان هنا.  
رباب..

الآن يمكنك أن تسمعي من كريمة.. لا من والدي ولا من أي  
شخص.. الوحيد الذي يدرك تمامًا ما حدث.. أخبري كريمة أنك  
انتهيت من رسالتي وأخبرها أنك مستعدة لسماع كل شيء.. حينها  
ستحكي لك..

أحبك..

امضي في طريق سعادتك.. لا تشعرني بالذنب أبداً.. ليس ذنبك أن  
سعادتك أهم من أي شيء.  
هيثم.



## كريمة

جلست كريمة بهدوء .. كانت تجلس على كرسي مواجه تماما لرباب .. يرمق كل منهما جميلة النائمة .. أشعلت كريمة سيجارة سحبتها من علبة رباب.. لم تتفاجأ رباب كثيرا.. فهي شعرت أن كريمة على وشك إلقاء عبء قد ثقل عليهما..

كانت عينا كريمة تترقرقان بالدموع.. تنظر عبر دخان سيجارتها في أفق يبدو أنه امتد أبعد كثيرا من حدود الغرفة التي تجمعهما.. لم تحاول رباب أن تستعجلها.. ولكنها نظرت تستشف صدق مشاعر كريمة التي فاضت على وجهها.. وكأنها كانت تنتظر هذه اللحظات منذ زمن.. نظرت أخيرا كريمة إلى وجه رباب وقالت:  
- قبل ما احكى.. عايزة أسألك سؤال..

- اسألي..

- أنتى بتلومى مين.. هيثم ولا هو؟

نظرت رباب لكريمة تحاول أن تجد إجابة ولكنها لم تجد.. قالت  
بعد صمت امتد كثيرا:

- ده باع وده اشترى..

هزت كريمة رأسها نافية وقالت:

- مشكلتك إنك مابتعرفيش تحكى حواديت.. الحواديت منطقتها غير منطقتك.. الحواديت أبطالها فرسان. والفارس نبيل.. وأحياناً يكون مستحيل عليه بسبب نبلة.. أنه يوافق إن أميرته تتأذى بسببه.

- مش فاهمة!

- لو هو كان فعلاً هيجيلوا هنتيجنتون ديسيز واتجوزك.. مش كنتى هتتعذبنى بسببه؟ المرض ده مش سهل.. حطى فى اعتبارك أنه مش بس شاف جدته وهى بتتدمر.. لأ وشاف أمه.. يعنى أكيد هو أكثر حد عارف إن المرض ده لو جاله.. هيتحول لإيه.. تفتكرى إزاي كان هيوافق يتجوزك ويسيبك تتأذى أوى كده؟

- إنتى بتدافعى عنه؟

- لأ.. أنا لا بدافع ولا بنتقد.. إحنا بنحاول نقرا اللي حصل سوا زى الحواديت.. بمنطقها.. مش بمنطقك.

- يعنى إيه؟

- يعنى بقولك إن ده زى ما أنتى شايفاه قمة الخيانة وأنه باعك لهيتم.. بس دى لو اتحككت كحدوتة هتبقى قمة النبل والفروسية.. بطل الحدوتة لما عرف إن حبه للأميرة هياذيبها.. رفض.. وسأها تعيش مع أميرتاني يقدر يسعدنا ويعيشوا فى تيات ونبات ويخلفوا صبيان وبنات.

- لكن المرض ده مرض نادر.. احتمال إصابته بيه تقريباً صفر.

- ولو ماكانش جاله المرض بس نقله لبتتك أو ابنك اللي هتخلفوهم  
كان هيبقى الوضع أسوأ.
- ده خيال واسع أوى.
- مش بقولك حواديت..
- وهيثم كان عارف أنه بيحبني وإنى بحبه ومع ذلك وافق إنه  
يتجوزنى؟
- طبعا.. هيثم حسبها صح.. واستمتع باللي باقى في حياته.. وخلاكي  
ملكة مش أميرة وبس.
- وهو قبض التمن.. ١٢ مليون جنيه سرقهم..
- لا.. فعلا كل حاجة حصلت كانت بالاتفاق مع هيثم.
- طبعا بنود بيعى.
- لا.. هيثم كان كل همه إنه مايشوفش حد بيعانى زى ما هو عانى..  
ولما شاف إنه ممكن يساعده ويساعد أمه إنها تتعالج في لندن  
متأخرش.. حتى حكاية أحمد إبراهيم عبد الباقي.. دى مجرد لعبة  
اتسلوا بيها عشان يصفوا حساب قديم.
- مش فاهمة!
- سحبت كريمة سيجارة أخرى.. وقالت..
- أفهمك.



## ٧

منذ أن غادر الطبيب الشاب في هذا اليوم وقد تغير كل شيء.. لم يعد هيثم يخاف ساعة الجدار ولم يعد يكره الأطباء ولا الأدوية.. تكلم والده معه كثيرًا حول مرضه وإن لم يتطرق قط لأمر موته المتوقع عند الثلاثينات من عمره.. ولكنه كان على العكس يشجعه على التثبيت بالحياة.. يخبره دومًا أن الحياة ستظل متشبثة به مادام هو متشبثًا بها.

تكررت لقاءات هيثم مع هذا الطبيب الشاب.. أحبه هيثم كثيرًا.. وسمح له الطبيب بأن يتخذ من وقته ما يشاء.. حتى أنه سمح له بأن يهاتفه في أي وقت حتى لو كان ذلك عند منتصف الليل.. استمر الطبيب دومًا في لعبته مع هيثم.. سؤال مقابل سؤال.. كان هيثم يعشق أن يلعب معه هذه اللعبة حتى أنه قضى ليالي كثيرة يعد أسئلة يصعب عليه أن يجاوبه إياها حتى يفوز في اللعبة..

كان الطبيب الشاب حريصًا دومًا على أن يمضي بهيثم نحو النضج.. فهو قد رأى أن هيثم قد تأخر نضجه كثيرًا عن ذويه، فهو في مثل عمره لا يجب أن يكون طفوليًا إلى هذا الحد.. أبدله ألعابه الإلكترونية بألعاب أخرى.. حتى أنه جعله مدمنا للشطرنج.. لدرجة أنه حين كان يلعب على ألعابه الإلكترونية كان يلعب الشطرنج أيضًا.

خرجنا معًا كثيرًا فجابا أماكن عديدة لم يكن هيثم قد عرفها من قبل.. اصطحبه إلى دور السينما وملاعب كرة القدم.. بل جلسا على مقاهي افترشت أرصفة الشوارع.. كان هيثم لا يمل مصاحبته أبدًا حتى أنه لم يعد يفترق مدرسته القديمة.. كان الطبيب الشاب دومًا يحرص على التواصل مع والديه وكسب ثقتهم..

ذات يوم.. وهما معًا على أحد المقاهي.. كان هيثم متحمسًا جدًا لبدء لعبة الأسئلة، فقد أعد سؤالًا شيقًا ظل ينتظر أن يسأله، وما أن حانت اللحظة التي تبدأ فيها اللعبة حتى اندفع متسائلًا:  
- دكتور.. أنت ليه مصاحبني أنا بالذات؟.. أنا بالنسبة لك يعني عيل صغير.. أنت بتعمل كده مع كل مرضاك؟

عدل الطبيب من وضع نظارته.. وتهدد.. تناول رشفة من فنجان القهوة الذي كان أمامه.. لم يتعجل الإجابة، ولكنه لم يُبدِ أي اندهاش من التساؤل وكأنه كان يتوقع مثل هذا السؤال المنطقي.. وضع فنجان القهوة على الطاولة.. ونظر لهيثم بعينيه الزرقاوين الغائرتين..

- هيثم.. إحنا اتفقنا إن أهم حاجة في الدنيا إنك تحقق سعادتك.. والناس اللي حوالينا أو اللي في حياتنا ممكن يكون لهم دور في كده.. وأنت لو حسيت إن فيه حد في حياتك ممكن يكون سبب سعادتك لازم تستغله.. ده مش شيء سيء أبدًا.. المهم إنك زى ما أنت استغلته عشان يسعدك أنت كمان لازم تردله الجميل على أد ما تقدر وتحاول تسعده.. علاقتي بيك مثال حي وواضح

ومتطابق جدًا على الكلام ده.. أنت سعادتك في إيدي.. إنقاذ حياتك وتحويل مسارها للطريق الصح أنا مسئول عنه.. أظن إني ما قصرتش في ده.. بالعكس أنا إديتك كل اهتمامي ومجهودي. لم يبداً على هيثم أنه استوعب الكلام فحاول أن يستفهم ولكن الطبيب شعر بذلك فأكمل:

- أكيد أنت بتسأل أنت ممكن تعملى إيه عشان تردلى الجميل.. الحقيقة أنت مش مطلوب منك حاجة.. لكن أنا باهتم بيبك أوى كده لأنى هطلب من والدك يساعدنى إني أكمل دراستي في أمريكا.. أنا الماجستير بتاعي في الأمراض الوراثية.. أنت حالة مهمة جدًا عندي في الرسالة.. لكن الموضوع ده مالوش مستقبل هنا.. أنا عايز أكمل حياتي في أمريكا.. وأنت كمان هتسافر هناك وحياتك هتبقى هناك.. وهنفضل صحاب.. والكل مستفيد.. أولاً والدك هيتحمل مصاريفي في أمريكا.. لأنك مش هتقدر تستغنى عن وجودي في حياتك.. وأنت هتعيش في المكان الصح اللي تقدر تلاقى فيه مجتمع يقدر ظروفك الصحية بل ويدعمك إنك تعيش حياة طبيعية مش زى هنا.

كان الطبيب شديد الصراحة.. كان يقول هذه الكلمات بوضوح وثبات وهدوء ملحوظ.. كان لا يطلب شيئاً بل يقر واقعاً سيحدث.. حتى أنه حين انتهى من رشف ما تبقى من القهوة.. أضاف:

- أنا بخطط للموضوع ده من أول ما اكتشفت حالتك..

كانت الصراحة القاسية التي تحدث بها الطبيب تنسف نسفًا مفهومًا كان هيثم يعتقدده صحيحًا، ألا وهو أنه كان يعتقد أنهما صديقين.. ولكن الطبيب الشاب أشعل سيجارة أخرى.. وأخذ يشرح له أن ذلك لا علاقة له بكونهما صديقين وأن هذا هو أحد قوانين الحياة العجيبة.. المنفعة المتبادلة.. هي علاقة تجدها في جميع الكائنات الحية.

شرح له الطبيب أن حتى أنت يا هيثم يحيا على جسدك آلاف بل ملايين الكائنات الحية التي لا تراها.. تحصل منك على غذائها وترد لك الجميل بأنها تصير خط دفاع لك ضد العديد من الجراثيم المؤذية.. هذه حقيقة علمية لا يمكن إنكارها تراها حتى في كائنات غير البشر.. كالحشرات التي تعيش على أسطح أجسام الحيوانات المفترسة.. حتى أنك يا هيثم لن تستطيع أن تكمل عملية هضمك للطعام دون الاستعانة بالبكتريا التي تحيا بسلام في أحشائك.. إنه قانون الطبيعة العجيب.. لماذا نبذو متعجبين منه ما دام هو الأصل؟

نصحه الطبيب بشدة أن يبحث دومًا في حياته عن الأشخاص الذين يمكنهم أن ينفعوهم وينفعهم.. ما دام ذلك متاحًا.. وأن يدع جانبًا كل من يلوح له بكلمات الطمع والاستغلال والأناية.. ما دمت تسدد ثمن استغلالك لمن حولك وترد لهم ما أعطوك إياه قدر استطاعتك فهذا لا يعيبك..

أمضى الطبيب طيلة اليوم يشرح لهيثم طبيعة المنفعة المتبادلة.. ومدى ترسخها في جميع نواحي الحياة.. وأن كل ما فعله الطبيب أنه فقط تخلى عن ستار تعمد الناس دائماً أن يسدلوه حتى لا تنكشف أغراضهم وحرصهم الدائم على استغلال الآخرين.

كان هيثم يعلم منذ فترة أن أباه بالفعل يُعد الأسرة للهجرة إلى أمريكا.. ولكنه لم يكن يعلم أن صاحب هذه الفكرة هو صديقه الطبيب.. كان يعتقد أنهم ذاهبون هناك فقط ليجد هيثم مكاناً أفضل يحافظ فيه على ما تبقى له من صحة، ولكن يبدو أن هناك مستفيداً آخر.. هو هذا الطبيب الشاب.

على قدر ما تعجب هيثم من قانون المنفعة التبادلية أو المتبادلة هذا، إلا أنه لم يكن يستطيع أن يمنع نفسه من أن يزداد إعجاباً بهذا الشاب الذكي.. الذي حدد مرضه وحرره من سجنه بل وغير حياته كلها وقريباً سيغير موطنه وأفكاره.





بدأت كريمة في الحكى .. قررت أن تبدأ باليوم الأول الذي تراه فيه.. كان ذلك في آخريوم من أيام الدراسة.. كان هيثم لا يزال نائمًا منذ عودته من امتحانه الأخير في المرحلة الإعدادية.

كان هيثم قد ذهب إلى هذا الامتحان بحماس شديد، حيث إنه يعلم أنه امتحانه الأخير في مصر.. وسيخلص قريبًا من كل ذلك الماضي الذي اختلطت عليه فيه الأمور.. وأنه مقبل على السفر إلى أمريكا بصحبة أهله والطبيب الشاب الذي سيتولى تنظيم أمور هيثم الصحية في أمريكا.. فهي تتذكر تمامًا أن والد هيثم الأستاذ ممدوح أو مستر ممدوح فيما بعد كان حريصًا على أن يبقى الطبيب معهم في المنزل في أمريكا.. وكان ذلك واقعًا إلى أن قرر الطبيب بعد ذلك أن يستقل بذاته هناك وإن لم تنقطع زيارته لهيثم..

كانت كريمة في هذا الوقت هي ابنة خادمة المنزل التي لم تسافر معهم إلى أمريكا ولكن كريمة فعلت.. وهناك أصبحت كريمة هي الخادمة الجديدة.

قبيل سفر كريمة إلى أمريكا وبالضبط في هذا اليوم الذي ستبدأ به كريمة حكيمًا.. يوم كان هيثم قد انتهى من دراسته الإعدادية.. كانت كريمة في أواخر دراستها بكلية التمريض..

ظلت دراستها بهذه الكلية تدبنيها دائمًا بالفضل لمسترممدوح الذي شجعها وساندها من أجل الالتحاق بهذه الكلية بالذات.. ظلت زمنا تدين له بالفضل ولا تكف عن شكره في كل مناسبة لموقفه المساند لها.. كانت تندesh لماذا يساندها رجل تعمل أمها لديه لكي تلتحق بالثانوية ومن ثم كلية التمريض، بل وينفق من ماله الخاص.. ولكن نقاشًا دار بينها وبين هيثم بعد ذلك بسنوات.. أوضح لها الأمر وإن كان أصلا واضحا وجليا وهي التي لم تلحظه.

إنها المنفعة المتبادلة.. فتشجيع والدها لكريمة لجعلها إنسانة أفضل لم يكن خالياً من المنفعة التي سترد عليه.. كان يشتري لابنه خادمة من نوع خاص.. فلما كان مسترممدوح يدرك تمامًا ما سيقبل عليه ابنه من وضع حرج ومرض كان يريد وضع كريمة بجانبه دومًا.. وإلا لماذا كلية التمريض بالذات؟.. كان إصراره على تلك الكلية شبه مفهوم للجميع عدا كريمة وأمها.. من الممكن أن تكون الفرحة أو شعورهما بفضله وتفضله عليهما.. كان قد أعماهها عن غرضه الواضح والصريح.. فالأمر صفقة محسومة وبنود الصفقة شديدة الوضوح.

هي بدأت بفهم ذلك يوم قرر مسترممدوح أنها ستسافر معهم إلى أمريكا.. بل وكان ذلك قرارًا اتخذه وحده رغم رفض أمها وقلقها الشديد إلا أن مبلغا لم تعلم كم كان أسكت أمها تمامًا.. تلميح خفي ضغط على نقطة الضعف التي أنشأها مسترممدوح كان أيضًا عامل ضغط.. فسؤاله البريء ساعتها لم يكن بريئًا حين قال..

هل سأترك ابنتي التي أنفقت عليها كل ذلك المال وجعلت منها جامعية محترمة.. لكي تعود إلى الفقر والجهل؟.. سأصطحبها معي ولن تندموا إذن أبدًا.

كان ذلك تلميحًا يوحي بكل شيء.. التهديد والمن والأذى.. والتذكير بفضله.. ولكنه كان كذلك تصريحًا أنه حان ميعاد رد الثمن.. فما أنفقه مستر ممدوح فيما سبق كان ميعاد تسديد ثمنه قد حان.. الآن على كريمة أن تصير خادمة هيثم وممرضته.. وإلا فأين المنفعة المتبادلة؟

بعد هذا الموقف بسنوات.. عندما كانت كريمة لا تترك مناسبة إلا وتذكر فيها شكرها لمستر ممدوح وتصرح عن مدى إحساسها بالعجز أمام تكرمه.. حتى ضاق بها هيثم ذرعًا..

- إننى ليه بتعاملني بنفسية العبيد؟

صعقتها الجملة.. نظرت له غير متفهمة لما قال.. كان هذا اليوم الذي فطنت فيه لحقيقة ما حدث لها.. أنها باعت نفسها بمقابل مادي تحت مبدأ المنفعة المتبادلة.. شرح لها هيثم أنها ليست مدينة بالفضل لأحد.. وأنها إن كانت تخلص في عملها.. ولا تتوانى عن خدمته.. وأنها وإن كانت أصبحت غير ما كانت عليه وهربت من الفقر والجهل.. وأصبحت دجاجة أمها وعائلتها التي تبيض لهم الذهب كل أول شهر فإن ذلك كله مدفوع الثمن.. من عمرها وهجرها لأهلها.. وأن ليس لأحد فضل عليها.. كان هيثم دائمًا ما

يدخل معها في هذا النقاش ولكنها كانت لا تستطيع ولو للحظة أن تشعر أن رأسها برأس مستر ممدوح وأنها في الفضل نذ لند. فكانت ترد:

- أنت عايزنى يا مستر هيثم أعض الإيد اللي اتمدتلى.. أنا أحط عمري وحياتي تحت رجلك أنت ومستر ممدوح.. أنت متعرفش أبوك عمل إيه معايا ومع أمي وعيلتي.

كان هيثم يتعجب دائمًا من ثبات شخصية كريمة وتقبلها لدورها وتوافقها مع التقليل من شأنها في مقابل شأن أبيه وشأنه.. كان دومًا ما يسألها:

- أنتى أمريكا ماغيرتكيش يا كريمة؟

- هتغيرنى إزاي بس يا مستر هيثم؟ هو أنا شفتها!!

كان من الواضح أن معها حق، فهي لم تر من أمريكا شيئًا سوى المنزل ومرافقة هيثم في المستشفيات والقليل من التسوق.

كان هيثم يلاحظ تمامًا حرص أبيه المبالغ فيه على كريمة من الاختلاط بالمجتمع.. كان يبرر ذلك دومًا تبريرًا يجعل منه رجلا أمينًا، مخلصًا ولكن هيثم كان يعلم أن سر حرصه عليها هو ألا تتغير كريمة أو تفتن للسجن الذي وضعها فيه مستر ممدوح دون أن تدري.. كان مستر ممدوح يقول دائمًا:

- ماقدرش أسيب كريمة لوحدها كده تخرج وتتفسح.. دي أمانة معايا.. دى بنت والمجتمع هنا مش زى مصر.. كريمة لازم ترجع لأهلها زى ماخذتها.. أنا ما آمنش عليها إلا جوه بيتي.

كان هيثم يتمنى أن يرد على أبيه صراحة في هذه اللحظات.. فيخبره أنه يكذب.. ولكنه أبدا لم يفعل، ولكنه كان يناقش كل ذلك مع كريمة التي لم تكن لتبى إلا أن ما يقوله هيثم هو الجحود وتطلب منه تغيير فكرته عن أبيه فكان يرد قائلا:

- أنا مش شايف أبويا وحش يا كريمة.. دى المنفعة المتبادلة.. ده الطبيعى.. بس إنتى فى الحالة دى بتدفعى أكثر ما بتأخدى.. قاطعت رباب شرود كريمة قائلة:

- هتحكى ولا هتفضلى سرحانة فى السيجارة كثير؟

- لا هاحكى.. إنتى تسمى عن حاجة اسمها المنفعة المتبادلة؟..

قطبت رباب جبينها وبدا عليها الانزعاج..

- إنتى هيثم كان بيكلمك عن الموضوع ده برضه؟

- يبقى هو كلمك عنه.. تمام.. هحكليك بقى عن أول يوم أشوف فيه صاحبك ده لما جه يزور هيثم زيارة مفاجئة وكان معاهم ولد كمان.. اسمه عبد العزيز تقريبا..



كان هيثم قد بدأ بالفعل يفهم أكثر عن مرضه.. وكان أبواه حريصين على تشجيعه وطمأنته.. وكان قرار السفر لأمريكا شبه قد حُسم، والأمر فقط يتوقف على بعض الأمور المالية والخاصة بالعمل.

ولم يتوقف هيثم عن مقابلة طبيبه الشاب.. وكان كل الأطراف قد انتهوا من وضع تفاصيل المستقبل القريب الذي هم مقبلون عليه.

في ذلك اليوم.. آخر أيام دراسته في الإعدادية.. دق باب الفيلا.. لم يكن بالفعل هناك من ينتظر أحدًا في مثل هذا التوقيت.. فتحت أم كريمة الباب.. فإذا بصبيين في سن هيثم يسألان عنه.. بدا هذا الأمر غريبًا ولم تعتد عليه أم كريمة.. ترددت في رد فعلها ولم ينقذها سوى أبوي هيثم وقد جاء.. ليسألًا عن إن كانا صديقيه من مدرسته القديمة أم الجديدة..

من الواضح أن لو كان هذا الأمر حدث قبل أن يظهر الطبيب الشاب ويغير طريقتهما في التعامل مع الأمر لما وافق أبو هيثم ولا أمه على أن يقابلا ابنيهما.. ولكنهما رحبا بهما.. ونادى مستر ممدوح كريمة لترافقهما إلى غرفة هيثم.. واسترقت كريمة النظر في وجهي الطفلين.. فوجدت انهارًا علمت منه أنهما ليسا من طبقة هيثم الغنية الشديدة الثراء.

في البدء طرق مستر ممدوح الباب.. ليخبر هيثم أن ثمة مفاجأة لديه.. وأدخل الصبيين.. بدا هيثم متحمسًا جدًا.. هي أول زيارة منزلية يحصل عليها من أصدقاء.. تعجب كثيرًا من كونهما بالفعل يزوران.. طفقت الأسئلة والاستفسارات تطل على وجهه.. وتقفز إلى عينيه..

استأذن الوالدان وغادرا.. ولكنهما طلبا من كريمة أن تبقى لدى الباب وإن شعرت بأي شيء يضايق هيثم أن تقوم بإخبارهما.. ولكن هيثم لم يتضايق أبدًا.. بل كان الأمر مسليًا جدًا له.. سمح لهما بلعب كل الألعاب التي اكتظت بها غرفته في حين كانا يحكيان

له أثناء لعبيهما.. عن المغامرة التي قاما بها في هذا اليوم والتي انتهت بزيارتهما له.. كان هيثم منبهراً بما فعلاه.. بل صرح بحسده لهما لركوبهما الدراجة.

سأله عبد العزيز إن كان يريد أن يكرر معهما ذلك في وقت لاحق.. ولكنه أخبرهما بمسألة سفره..

كان الأمر مسلياً حتى سأله عبد العزيز عن سبب عدم قدومه للمدرسة.. وهل هو بالفعل مريض.

حكى لهما هيثم عن ال fanconi anemia التي لم يكن يعلم عنها شيئاً إلا منذ عدة أيام.. وأخبرهما بأنها مرض وراثي لا يد له فيه، ولكنه حرمه أن يكون مثلهما.. فلن يقوم أبداً ولم يبق قط بمغامرة كتلك التي قاما بها لتوهما.

لم يكن هيثم يعلم أنه تعيس إلا في هذا اليوم.. عندما حكيا له عن مغامرتهم.. والضحكات التي أطلقاها في الشوارع والدراجة التي جاب كل منهما بها الطرقات.. والحديقة والصيد وكل شيء.

نظر هيثم إلى ألعابه التي ملأت الغرفة بحسرة وقال:

- أنا مش عارف أشكركم إزاي بس اللعب قدامكم أهى اللي عايز حاجة ياخذها.

ثم مضى منزوياً إلى ركن الغرفة يقاوم دموعاً تكاد أن تفر منه.. وقتها همت كريمة التي كانت تسترق السمع والبصر من خلف الباب الموارب.. أن تسرع بنداء مستر ممدوح وزوجته.. ولكنها بغريزة

أمومة طبيعية لديها كأنثى فضلت أن تدخل عليهما الغرفة..  
فأمسكت بيد هيثم.. ربتت على كتفه قائلة:  
- كل واحد بياخذ نصيبه أربعة وعشرين قيراط.. ربنا كبير ورحيم..  
مين في سنك ربنا إداله كل اللي عندك ده؟ هما آه عندهم لعب  
مش عندك بس أنت كمان عندك اللي مش عندهم.  
نظر هيثم إلى عيني كريمة.. ثم نظر إلى صديقيه..  
- أنا دخلت على الإنترنت النهارده.. وعرفت إنى هموت لما أوصل  
تلاتين سنة.  
ساد صمت تام في الغرفة.. ولم تتمالك كريمة نفسها فبكت..  
واحتضنته.  
أشعلت كريمة سيجارة أخرى.. قاومت بكاءً كاد أن يُفجر عينيها وقد  
احمرت عيناها..  
- هيثم بيه الله يرحمه كان فاكرنى موافقة أضيع عمرى عشانه  
هو ووالده لأنى عندى نفسية عبيد زى ما كان بيقولى.. بالعكس  
بالعكس خالص يا مدام رباب.. أنا عملت كل ده ووهبت نفسى  
لخدمتهم عشان أنا عندى نفسية إنسان مش عبد.. مين في  
مكانى ده يسمع الجملة دى من طفل عنده اتناشر تلاتشتر سنة  
ومايترجش من جواه ويتهد.. أنا هموت لما أوصل التلاتين.. أول ما  
قال كده ماقدرتش أرد.. ماقلتش ولا كلمة.. بس حلفت إنى مش  
هسيب الولد ده يتعذب أبدا ويوم ما هيده العيا هبقى أنا  
ممرضته.. الموضوع مش دايمًا منفعة متبادلة.

كانت رباب تتلقى صدق مشاعرها وتشعر تأثرها الشديد حتى أنها شعرت أن كريمة هي التي تمر بظرف حرج لا هي.

- بس يا كريمة إنتى استفدتى برضه.

عضت رباب على لسانها.. لم تتوقع أن تفلت منها هذه الجملة.. إلا أن كريمة ردت بعفوية:

- أكيد.. بس صدقيني إخلاصى لهيتم بيه مالوش دعوة بمنفعتى نهائى.

أنا اعتبرته ابنى مع إنى مش أكبر منه إلا بكام سنة بس..



لم يقطع صمت الغرفة بعد أن ألقى هيثم جملته كقنبلة قضت على كل شيء، فلم يبق سوى صمت مطبق.. فقط كريمة تبكي بلا صوت محتضنة هيثم وتربت على كتفيه.. لم يشعر أي منهم كم مر من الوقت حتى استطاع هو أن يتحدث.

كان لم ينطق بأكثر من كلمة أو اثنتين منذ جاء تاركًا كل شيء لعبد العزيز.. خرج صوته بالكاد من حنجرته.. فبدا مخنوقًا متأثرًا جدًا بما يحدث.. ولكنه في النهاية استطاع أن يتكلم..

- هيثم.. ممكن أسألك سؤال.. لو قالولك عيش أنت.. وباباك أو مامتك يموتوا.. توافق؟

نظر هيثم بعينيه الممتلئة بالدموع وهو ينزع رأسه من بين كتفي كريمة ولم يبد رأيًا أو جوابًا..

- أنا عايز أقولك إنك مش أتعبس واحد في الدنيا.. وإن مرضك على الأقل هيخليك تمدد ع السرير ده وسط كل اللعب ديه وكل الناس بتعراك.. لحد متموت في يوم يهدوء.. أنا مادخلتش على الإنترنت زيك.. وشفت المرض أونلاين.. أنا عشته كل يوم من أول ماتولدت مع جدتي.. وشفته وهو بيدمرها.. مش مرض خبيث زي مرضك بيدمرك في صمت.. لا ده وحش كاسر بيخرب كل عضلة وكل عصب.. بيحولها لكائن ماتقدرش تشوفه إلا وأنت بتبكي.. حتى هو هينساك.. ومهما وقفت جنبه وقتله إنك بتحبه هينسى.. هتشوفه وهو بيتشج وبيضرب بعضلات إيده ووشه في كل اتجاه وبيطلع أصوات زي الديابه ومش عارف يمشى خطوتين على بعض، مش عارف حتى ياكل بمعلقة.. ولأنه حد أنت بتحبه لازم تقف جنبه.. بس هو هينسى كل ده ووقفك جنبه هتبقى شيء منسى بالنسبه له.. لحد ماهيجي اليوم اللي تتمنى فيه أنه يموت عشان ترتاح ويرتاح.. ولما يموت مش هتبقى عارف تزعل ولا تفرح.. والناس اللي جاية تعزيك هتقولك الحمد لله أنه مات وارتاح.. محدش فيهم هيفهم إن اللي مات ده كان حد بتحبه.

- جدتك عندها المرض ده؟

سأله هيثم وقد تعاطف معه.. ولكنه أضاف:

- جدتي جالها وماتت.. المرض ده جه لأمي.. عشان كده سألتك تفضل إنك تسيب نفسك تعيش وتخلي أمك تموت ولا وضعك

كده أفضل.. على فكرة أنا كمان ممكن يجيلى المرض لما أكبر..  
ها.. أنت حاسس لسه إنك أتعس واحد في الدنيا؟  
لم يرد هيثم وساد صمت مماثل.. لم يقطعه إلا صوت عبد لعزيز  
الذي قال موجهاً حديثه لكريمة مازحاً:  
- إيه قصته مش مؤثرة ولا إيه؟.. إشمعنى هو ماخذش حضن؟

\* \* \*

ابتسمت كريمة ابتسامة مليئة بالحنين إلى هذه الأيام.. امتد هذا  
الشعور ليملاً قسماً وجهها بالكامل..  
- عارفة يا مدام رباب.. اليوم ده بس عرفت فيه إن هيثم قوى.. لما  
قام وحضنه.. وكلمه كتير.. كلام معظمه كان جايه من كلام  
الدكتور بتاعه اللي كان يشجعه دائماً.. كلمه عن الشجاعة  
وتحدي المرض وتحدي الواقع.. كلام مايقولوش طفل كان من  
كام يوم بيخاف من صوت الساعة.. واضح إن الدكتور ده فعلاً  
كان شاطر.. أنا مش عارفة من غيره كان هيثم بقى هيثم اللي أنا  
أعرفه إزاي.  
استمرت كريمة في حديثها عن الواقعة وسردت لها أيضاً علاقة  
هيثم بهذا الطبيب الشاب.. الذي فيما يبدو كان صاحب أكبر تأثير  
على هيثم وخلصه من فكرة اليأس والاكتئاب.. ولكن رباب  
قاطعتها:

- بس أنا كنت أعرفه في الجامعة فترة كبيرة.. وعمره ما حكالي عن هيثم ولا عبد العزيز ده.

- الجامعة؟.. الوقت ده هيثم كان في أمريكا.. وكانت علاقته قلت كثير بيه وكانوا بيتكلموا كل فترة كبيرة جدا.. هو يحكيه عن أمه.. وهو يحكيه عن النجاح اللي محققه في أمريكا وإنه انتصر على المرض تمامًا.. وإنه لومات في الثلاثين فعلا هيكون سعيد عشان عاش حياته بالطول والعرض..

- أمال إزاي ممدوح بيه بيقول إن هيثم اشتراى منه؟ نظرت كريمة إلى رباب.. وقالت:

- إنتى إزاي كل ده وما فهمتيش؟!!



بدأت جميلة في الصراخ فقامت كريمة لتتفقددها في الغرفة المجاورة.. وظلت جملة كريمة تتردد في ذهن رباب بلا توقف..

- إنتى إزاي كل ده وما فهمتيش؟

بالفعل لم تكن رباب قد استوعبت الأمر برمته.. هي تعرف ذلك عن نفسها.. عندما تُصدم كانت تحتاج وقتا كبيرا للاستيعاب..

بدأ ألم جرح الزائدة الدودية المزمن يعاودها.. ولكنه أتى هذه المرة حانياً.. لعله كان ضغطة بسيطة في جانبها.. الألم الذي كان وضع كف حبيبها عليه كفيلا بتخليصها منه بل كان يعطيها إحساساً كاملاً بالراحة..

ظلت سنوات ترفض بشدة إزالة أثر هذا الجرح.. لأنها كانت توقن أن ذلك لن يُذهب عنها ألمها المزمن.. فكفه.. كفه هو فقط حين وضعها على مكان الجرح كانت هي الوحيدة القادرة على مداواتها.

عملية جراحية أجرتها عقب وفاة أبيها.. تذكر كل التفاصيل.. حين استغاثت به بعد دفن أبيها فحملها وأسرع بها إلى المستشفى تاركين خلفهما الكل.. هي لم تسنح لها الفرصة أبداً لتحكي له عن هذا اليوم.. عن إحساسها حين حملها بين ذراعيه وأسرع منطلقاً بها.. هذه اللحظة التي أنسها يتمها.. وشعرت براحة لم تشعر بها من

قبل ولا من بعد، على الرغم من آلام الزائدة الدودية التي كادت تنفجر وتُفجر معها أحشاءها.

تذكر حين أفاقت في غرفتها بتلك المستشفى.. لتجد وجهه الذي أحبته حانياً ينظر لها.. كان يومها - ويومها فقط - قد أزال كل الفواصل التي صارح من أجل إبقائها جامدة تحول بينهما.. ارتبطا بعدها.. قالت له أخيراً أحبك..

أبهرتها طريقته التي قال لها بها إنه يحبها.. لم يردها بصوت عالٍ.. بل حرك شفثيه بهدوء.. ليقولها صامتة.. بحبك.. ولكنها وإن لم تُنطق صوتاً بل رُسمت على شفثيه.. إلا أنها اخترقتها.. اندفعت منطلقاً إلى أعماق نقطة في قلبها.. لتزلزل كل عضلة في جسدها.. فتردد على طريقته بشفتها.. وأنا كمان.. بحبك..

عادت كريمة إلى الغرفة.. تخبرها أن جميلة قد عادت إلى نومها.. ولكنها طلبت من كريمة أن تتركها.. تعد لها النيسكافيه ثم تعودان للحديث..

لم تعلق كريمة ولكنها تركت لها الغرفة في صمت.. كانت الغرفة قد امتلأت بالشجن والحنين، وقد ضربا بأجنحتهما فحولاً هواء الغرفة إلى طاقة غريبة استشعرتها كريمة عندما عادت.. شعرت بحس الأنثى أن عليها بالفعل أن تترك رباب الآن وحدها.

ولكنها توقفت لدى الباب وقالت:

- إنتي قولتيلي إنكوا ارتبطوا أسبوع.. بعدها اختفى.. قعد بيعتلك نفس الرسالة أربع سنين..

- آه.. وأنا فضلت الأربع سنين دول وأكثر أرفض كل العرسان اللي  
اتقدمولى لحد ماجه هيثم ولقتنى بوافق عليه.
- ما سألتيش نفسك هيثم عرف عنك كل ده إزاي؟.. قدر يفهمك  
إزاي من غير ما يشوفك؟
- سألت.. لكن ماهتمتش بالإجابة.. كان لازم أتجوز هيثم عشان  
أقتل جوايا رباب اللي بدأت أكرهها.. وأبقى أقوى.

\* \* \*

## هيثم

تلقى هيثم اتصالا من مصر.. كان هو.. لم يجرب بينهما الكثير من الاتصالات منذ فترة.. كانا فقط يتبادلان الحديث كل حين حول مرض هيثم ومرض أمه.. وفي يوم كان قد أخبر هيثم عن حبه الجديد.. البنت الرائعة التي تسمى رباب.. ذكر له كثيراً مخاوفه من الاستمرار معها.

عارضه هيثم بشدة.. أخبره أن كل مخاوفه وهم.. وأن الحب أحيانا أقوى من المرض.. والحياة هي أولى من الموت.. لكنه كان دائماً ما يخبره عن عدم جدوى الكلمات..

أنت لم ترجدي يا هيثم ولا إلى ما آلت إليه.. أمي يا هيثم تمضي الآن في هذا الطريق.. لم تشعر بما شعرت به حين تخلى أبي عنها.. خانها مرات ومرات.. لم يستطع الحب أن ينتصر في معركة المرض.. لن أستطيع أن أتخيل رباب وهي تذبل بسببي.. لن أتركها تراني وأنا أنهار عضلة تلو عضلة.. وأحترق عصباً بعد عصب.. ولكني لن أستطيع أن أتركها يا هيثم.. هي كل ما أملك.. هي فقط من تشعرني بانتمائي لهذا العالم..

هيثم.. هل تعلم أنه إذا ما ناداني شخص ما باسمي.. فإنني أجيبه فقط لأنه يجب عليّ أن أجيبه؟.. لقد أصبحت أشعر أن اسمي لا

يمثل شيئاً.. أنا لا وجود لي.. أنا شخص محكوم عليه بالموت مثلك تماماً.. ولكني لن أموت فجأة.. ولن أعلم متى.. فقط عليّ أن أتعذب حياً قبل أن أموت وأعذب كل من أقرب مني.

كان هذا الأمر يشغل هيثم كثيراً.. أمضى العديد من الأوقات يفكر في حالة صديقه.. يقارن بين ما يقول وبين ما يخبره به صديقه الطبيب.. كل منهما يقدم الأمر على طريقته..

هو.. يرفض الحياة ويرى أنه ضيف ثقيل عليها.. يرى أنه من الظلم أن يجعل أحداً يتألم معه.. فيفضل أن يتألم وحده مزوياً.. كان يقدر شعوره ويقدر ما رآه من أمه وجدته.

بينما قدم له الطبيب صورة أخرى.. تمنحه الحق في الاستمتاع حتى آخر لحظة في حياته.. يخبره ويؤكد له أنه ليس عليه أن يشعر بالذنب تجاه أحد ولا تجاه نفسه.. فإن كان القدر قد ألقى عليه بالموت حكماً.. فإن هذا في الحقيقة هو الحكم الذي يلقيه القدر على كل البشر.. وإن كان الأمر صريحاً في حالة هيثم.. ويحدد له موعداً بالموت.. فالواقع يقول إنه أيضاً شديد الوضوح للبشر جميعاً.. فمن منا لن يموت؟

حاول هيثم التواصل مع صديقه.. حتى أنه فكر أن يرتب موعداً يجمعه مع طبيبه.. ولكن إيقاع الحياة كان أسرع.. بدأ هيثم منذ أن وصل إلى أمريكا يذوب فيها ذوباناً.. أنهى دراسته وأسس له أبوه شركة صغيرة.. ومرت سنوات سريعة.. كان هيثم يلاحق فيها الدنيا في سباقه معها.. ليعلم لنفسه قبل أي شخص آخر أنه لا يخاف..

كان يدين بالفضل لصديقه الطبيب دومًا.. وكان هو ممتنا لذلك.  
صار الطبيب في غضون سنوات قليلة طبيبًا لامعًا.. تخصص في  
الأمراض الوراثية .. التحق بمؤسسة بحثية مرموقة.. حتى أنه  
استعان بتجربته مع هيثم في أبحاثه.

كانت كل سنة تمر على هيثم بسلام تشعل قلب طبيبه فرحًا.  
حتى جاءت تلك المكالمة من مصر.. فأجاب هيثم.. طلب منه  
صديقه صراحة أنه يريد أن ينتقل إلى أمريكا ويهرب من مصر..  
سأله هيثم عن أمه وعن رباب فعلم أن أمه استقرت بمكان ما  
بلندن.. تتلقى علاجًا وتخضع لبحوث ما.. أما رباب فقد هجرها..  
لم يبد هيثم اعتراضًا.. وجرت الأمور أسرع من المعتاد.. وجاءه  
صديقه والتحق بالعمل معه..

سنة أشهر.. حاول فيها هيثم أن ينقل فلسفته إلى صديقه.. حتى  
أنه رتب موعدًا ليجمع صديقه والطبيب..

وعندما اجتمعوا حكى هيثم بمرح وكأنما يلقي دعاية عن خوف  
صديقه من الهانتيجنتون ديسيز.. لم يبدُ أن الطبيب الشاب قد  
أحب صديق هيثم مطلقًا.. فقد ظل صامتًا طوال الجلسة.. يستمع  
إلى النقاش الدائر بين هيثم وصديقه.. فلما شعر بالملل ألقى تعليقًا  
مقتضبًا حاول أن يبدو طبيبًا فقال:

- أنت خائف من خطر إن المرض يجيلك وده بالنسبة المئوية خطر  
بعيد جدًا.. وإنك لو خلفت تجيب عيل عنده نفس المرض ده  
خطر أبعد.. أنت عايش في ضغط بدون داعى ممكن عشان

صدمتك النفسية من رؤيتك لأمك وجدتك في الوضع الصعب بتاعهم.. وأنت محتار ليه؟.. ماتعمل تحليل واعرف هيجيلك وللا لأ.

كانت فكرة التحليل وقتها أشبه بقنبلة ألقاها الطبيب ولم ينزع فتيلها.. ألقاها وتعلل بموعد لديه ورحل.. تبادل هيثم وصديقه النظرات.. صمتا كثيرًا.. رغم وضوح الجملة.. ظلت القنبلة التي ألقاها الطبيب ورحل توتر مجلسهما.. حتى قرر هيثم قطع الصمت..

- يالا دلوقتي حالا نعمل التحليل.

كان الأمر مفاجئاً لصديقه.. أخبره بأنه لا يعلم إن كانت فكرة صائبة أم لا.. فلو علم يقينا أنه مريض سيزداد الأمر سوءًا..

- لكن لو عرفت إنك مش مريض.. ساعتها هترجع لرباب ولحياتك وتبطل تخلفك ده.. يابني أنا قدامك أهو.. ممكن أموت بكرة..

قالها هيثم بابتسامه عريضة وكأنما يفخر بنفسه ولكن صديقه علق قائلاً:

- حتى أنا لو مش مريض مش ممكن لو خلفت..

زفر هيثم بقوة وقاطعه قائلاً:

- يا سيدي ماتخلفش.. اتجوزها وماتجيبوش عيال.

تهند صديقه.. وأشعل سيجارة..

- أنا ماقدرش أبقى أناني يا هيثم.. ماقدرش أأذي الإنسانية الوحيدة اللي بحمها.

حاول هيثم أن يعود لحديثه عن المنفعة المتبادلة.. وأن ذلك سيكون حلاً وسطاً يسعد كل منهما.. وأن التضحية بالحصول على طفل سيكون مقابله الحصول على زوج أحبته رباب ولكنه رفض أن يكمل النقاش.. وغادر.



لم يصدق هيثم ما سمعه من طبيبه في هذا اليوم.. كانا قد تقابلا كعادتهما التي لم تنقطع.. يحدثه هيثم عن إنجازاته في العمل.. ويدون الطبيب كل ملاحظاته عن حالة هيثم الصحية.. كان هيثم يدرك أن المقابلة هدفها الأساسي هي متابعة أبحاث صديقه الطبيب ولكنه قد اعتاد مبدأ المنفعة المتبادلة.. لم يعد يرى في الأمر غضاضة.. ولم يؤثر ذلك على تفكيره في اللقاء على أنه ليس لقاء صديقين.. فلا مانع أبداً أن تستمر الحياة في روتينها وفي ذات الوقت يستفيد من يستطيع ما دام النفع متبادلاً.. ولكن هيثم فرك أذنيه بحماقة في حركة صدرت منه دون وعي.. وتساءل عما قال طبيبه.. الذي أعاد الجملة بهدوء شديد فقال:

- أنت حلمت برباب كام مرة؟

لم يكن هيثم قد حلم بها يوماً.. حاول أن يتعامل مع ما قاله كدعابة فأصر على أنه لم يحلم بها.. هنا أنزل الطبيب ساقه التي كان قد وضعها على ساقه الأخرى.. وعدل من وضع نظارته..

- مش قصدي وأنت نايم..

هنا صار للجملعة وقع ومعنى لدى هيثم.. شعر بأن الطبيب صديقه قد عراه فجأة.. حاول أن يتماسك ولكنه يعلم أنه لن يكذب عليه..  
- الموضوع مش حلمت بيها وللا لأ.. لكن أنا من أول ماشوقت صورتها معاه.. وأنا بسأل البنت دى إزاي تتساب للعذاب ده؟..  
الموضوع مش بس جمال.. هي جميلة فعلا.. لكن أنت متخيل إنها بقالها أكثر من أربع خمس سنين أو أكثر.. مش فاكر.. سايباه..  
ولسه بتحبه.. وتقريبًا عارفة ومتأكدته إنه مجنون رسمي ولسه عندها أمل.

- هو اللي زارع عندها الأمل.. بالرسائل اللي بيعتها.  
- لأ.. هو بطل بيعتها من أول ماجه أمريكا.. لو بتسألنى حلمت بيها وللا لأ.

ثم صمت هيثم للحظة وكأنه يريد أن يرى رد فعل طبيبه وصديقه.. الذي بالفعل عدل من وضع جسده وكأنه يعلن اهتمامه بالأمر..

أكمل هيثم وقد انفعل فجأة وبدون مبرر:

- أنا من حقى يكون في حياتى إنسانة زي دي.. إنسانة بالإخلاص ده.. بالحنية دى.. بالأمل ده.

- آه.. الأمل..

- يعنى إيه؟

- الأمل يا هيثم.. وجود بنت زى دى في حياتك هيديك أمل إنك تعيش أكثر.. أنا كطبيب لو هكتبك روشتة.. هكتبك.. رباب..

- لكن..

- لكن صاحبي وعشرة والكلام الفارغ ده.. صاحبك ساها.. عامل فيها فارس وبطل.. وهو حمار.. أنا ممكن في خمس دقائق بس أعمله تحليل وأثبتلك إنه سليم.. وحتى لو مريض إيه يمنع إنه يحب ويتحب.. ده إنسان كاره لنفسه وللدنيا.. وأصلا لو سبته يرتبط برباب دى تبقى بترتكب جريمة في حقها.. هي تستاهل حد أحسن.

- بس أنا هموت.

- كلنا هنموت.

وابتسم الطبيب معلنا انتهاء النقاش.. ونظر نظرة ذات معنى فهمها هيثم على الفور.. النظرة التي طالعه بها منذ أول يوم صارحه فيه بمرضه.. يوم انهار بعد تحطيمه للساعة.. نظرة تعني دائمًا.. لا عليك.. أنا موجود.

وقف الطبيب أمام منزل صديق هيثم.. ثم أخرج هاتفه واتصل بهيثم كما اتفقا.. ووضع الهاتف في جيبه.. ليتمكن هيثم من سماع المحادثة التي ستجري بينهما.. فتح له الباب فاندش من قدمه.. ظن في البدء أنه أتى ليقنعه بإجراء التحليل ولكن الطبيب لم يتحدث.. فقط جلس على الأريكة.. وأشعل سيجارة ومد يده بالأخرى ليتناولها.. ترك الصمت يجري..

ثم تحدث أخيرًا..



عندما تركها في ذلك اليوم في المستشفى عقب إجراء جراحة الزائدة، كان يعلم أنه وقع في المحذور وارتبط برباب.. أخبر عبد العزيز أن لديه خطة ولكنه يحتاج إلى ترتيب الأمور.. كان الأمر في هذا الوقت يبدو ضبابيًا.. كان لا يصدق أنه سيقبل على فعل هذا الأمر.. ولكنه وجد نفسه يخطط بدقة فيبتعد فجأة عن رباب وفي الوقت ذاته يظل في حياتها عبر رسائله المتكررة التي تؤكد أنه لن يتركها.. يعلم كل فترة أنها لم تتزوج بعد رافضة لكل من تقدم لها.. ويسافر إلى أمريكا.. يلتقي بهيثم.. يخبره بكل شيء.. والخطة تتم يومًا بعد يوم.

ولكن كان السؤال الذي لم يجبه قط.. هل حقا سيفعل ما خطط له؟.. هل حقا ستأتيه الجرأة لكي يترك رباب لهيثم؟  
كان يطمئن نفسه كل يوم.. هيثم سيسعدها.. سيحقق لها كل ما تتمناه.. سيعوضها.. حتى أنه سيجلب لها طفلًا لن يكون مسئولًا هو عنه.. حتى لو مرض هذا الطفل بألف مرض.. ولكنه لن يكون السبب.. ثم سيموت.. هيثم سيموت.. فيعود هو بعد ذلك ليخبرها بكل شيء.  
أنا أحبك يا رباب.

يخبرها عن تضحيتها من أجلها.. يقول لها بصدق إنه فضل أن يراها سعيدة على أن تشقى معه.

ستكون هي رأت بعينها الجنة التي نقلها إليها هيثم.. ستكون قد شعرت بروعة أن تكون أمًا.. فيسألها حينها هل كنت تقبلين أن أحرمك من أمومتك؟..

حتما ستثور.. ستهمه بالجنون.. ولكن دقيقة واحدة من التفكير.. دقيقة واحدة من تخيلها له وهو مريض يعاني وهي بجواره.. ستجعلها تعلم أنه كان محقا..

سيطلب منها حينئذ أن يظل بجوارها.. حتى يضربه المرض.. وحينئذ تتركه يرحل مرة أخرى.. ولكنها ستكون المرة الأخيرة.. وإن لم يمرض فلن يرحل.. سيكون هذا هو طلبه الوحيد.

أخبره عبد العزيز من قبل بسداجة ذلك التفكير.. ولكن عبد العزيز رحل.. لن يفهم أحد في هذا العالم جنونه.. لأن لا يوجد من هو في مكانه سواه.. ليت أمه كانت هنا..

خطط لكل ذلك بمنتهى الدقة. تأكد من إرساله تلك الرسالة كل يوم ليؤكد لها مرارًا وتكرارًا أنه لن يتركها مهما حدث..

فوجئ أنها بالفعل لا تنساه وإلا فلم لم تقبل بعريس غيره؟

كاد أن يضعف فيعود إليها وينسى كل ما خطط له.. ويستميحها عذرًا.. كم من الاعتذارات أنا مدين لك بها!!

ولكن صورة أمه وجدته كانت تطل كلما ضعف.. إحساسه بمرارة أمه حين خانها زوجها.. أبوه.. فقدانها للنطق..

لن يتحمل أن يفقد رباب كما فقد كل شيء.. ولكنه يريد لها لأن ليس لديه أي شيء سواها..

أي جنون تخطط له؟!.. وبأي حق تدفعها إلى الزواج من صديقك؟.. من أخبرك أن جنة أمواله ستجعلها سعيدة؟.. هي بالفعل لديها من المال ما يكفي مما ورثته من أبيها.. لكنها وحيدة وستظل وحيدة بدونه.

فقط عليه أن يضمن أن توافق رباب بهيثم.. وعليه أن يدعو الله أن يرزقهما بطفل.. لتسعد.. وأن ينتظر في صمت موت هيثم.. صديقه!!

ظل سنوات تتخبطه تلك الأفكار.. فيتأكد كل يوم أنه مجنون.. حتى جلس الطبيب على أريكة منزله في أمريكا.. وأخبره بهدوء.. أنه يستأذنه ليزوج رباب من هيثم..

انفعل وقتها.. ثار بشدة.. وكأنه لم يكن يخطط لذلك.. فاجأه بالفعل ما قال.. لم يكن يزور انفعالا.. بل ارتعد خوفا.. واشتعل غضبًا.. وألقى عليه سيل السباب.. ولكن هدوء هذا الطبيب السمج كان مستفزًا.. هدوء كان أقوى من ثورته وغضبه.. هدوء أجبره على الجلوس.. والبكاء.. بكى بشدة.. حتى أن الطبيب نهض من مجلسه.. ترجل حتى نافذة الغرفة.. مدخنا سيجارته.. تاركًا إياه يبكي.. ينتحب.. يلقي سبابه عليه وعلى هيثم.. وعلى أبيه والمرضى وكل شيء.. صرخ عدة مرات يطالبه بأن يغادر فورًا.. ولكنه ظل يدخل سيجارته صامتًا.. وجهه جامد يخلو من التأثير.. وما إن هدأ

وخارت قواه ورحل غضبه.. حتى عاد إليه وجلس بجواره.. ثم قال  
بهدهوء:

- وفي النهاية هيثم هيتموت.. مش أنت عايز تبقى بطل؟.. اسعد  
الاتنين.. اسعد رباب بجنة هيثم.. واسعد هيثم.. الحب في حالة  
هيثم.. أو بلاش الحب لو ضايقتك.. الأمل.. الحقيقة مش هيترود  
من عمره.. لكن هيخليه يعيش الكام سنة اللي فاضلين مبسوط.  
ولكنه أمسك برأسه للحظات ثم هب واقفا مواجهًا الطبيب قائلاً:  
- بس أنا ممكن مايجيليش المرض.

ابتسم الطبيب ساخرًا..

- ما قلنا كده من الأول.. خلاص بكرة هحجزلك طيارة لمصر..  
ومصاريف جوازك على حسابي.  
علم أنه يسخر منه.. كلاهما يعرف أنه لن يتزوجها.. لكن الطبيب  
أكمل:

- بص.. أنا مقدر إنك حاطط للموضوع جانب رومانسي عشان  
تحمي عقلك الواعي من الحقيقة اللي ممكن تتعبه.. لكن في  
الحقيقة أنت جبان.. ومش هتتجوز رباب.. يمكن فيه أسباب  
نبيلة زي إنك مش عايز تأذيها.. لكن في الحقيقة أنت برضه  
خايف تشوفها بتخسرك.

ثم استفاض الطبيب في شرح مزايا أن يترك رباب لتتزوج هيثم..  
قال له السيناريو الذي بالفعل جرت به الأحداث، ولكنه وقتها لم

يكن ليعلم أن هيثم سيموت في حادثة لا علاقة لها بمرضه.. ولكن ما يهم أنه مات.

ولكنه شعر وكأن الأمر يُعرض عليه لأول مرة وليس وكأنه خطط لهذا منذ سنين.. المختلف في الأمر أن كلام الطبيب كان مرتبًا جدًا.. ومنظمًا جدًا.. وجلس يسرد تفاصيل تؤكد أن الكل سيستفيد.. حتى عندما ألقى بالجملة تلك كان يعلم أنه يرميها في مقتل..

- ثانيًا هيثم بفلوسه يضمن تكاليف علاج أمك لما البرنامج العلاجي ينتهي.. أنت عارف اليوم في المستشفى دي بره البرنامج بتاع منظمة الصحة العالمية بكام؟

أدرك أنه يساومه.. بل إنه لم يحاول أن يخفي ذلك عندما كرر..  
- الكل هنا مستفيد..

ثم أضاف وكأنه تذكر ذلك للتو:

- أنت بس ابعثها رسالة قولها إنك آسف وإنك لقيت واحدة تانية.. دي الحاجة اللي ممكن تضغط عليها بعنف عشان تخليها فجأة تقرر تقبل إنها تتجوز أول عريس يتقدمها اللي هو هيكون هيثم.

فجأة أنهى الطبيب الحديث وهم أن يغادر.. ولكنه أوقفه قائلاً:

- وأضمن منين إن رباب لما تعرف كل ده هتوافق ترجعلي؟

ابتسم الطبيب وهو يعلم أنه أنهى الصفقة بنجاح..

- دي معمول حسابها.. ماتقلقش.. بس مش هقدر أقولك دلوقتي خالص.. اعتبره وعد.

كان هيثم قد سمع كل شيء عبر هاتف الطبيب.. كان يسمع الطبيب وهو يكرر بين كل جملة والأخرى.. إن هيثم سيموت.. وأن رباب هي فقط أمل يسعده.. هل نسي الطبيب أن هيثم يسمع كل شيء؟.. ولكن الأمر كان معروفا مسبقا..

لا يهم.. فأنا أعلم ذلك جيدا.. ولكنني حقا أريد تلك البنت.. لا أريدها فحسب.. أنا لن أتخلى عن كونها لي، حتى ولو كانت وفاتي بعد ذلك مباشرة.

اجتمع الثلاثة.. لم يتبادل هيثم وصديقه النظر.. أعاد الطبيب تكرار الخطة التي اتفقوا عليها.. مستمتعا برؤية هيثم وهو يزيّف إحساسه بالمفاجأة وكأن تلك المرة الأولى التي يسمع فيها هذا الكلام.. ولكن في النهاية قال هيثم:

- أنت صاحبي.. ولو فعلا مش عايز تتجوزها، ماقدرش أقولك غير  
إني فعلا هخلها أسعد واحدة في الدنيا.. أنا هعمل ده عشان دى  
رغبتك وأنا صاحبك مش أكثر.

طلب الطبيب منه أن يرسل الآن الرسالة التي يخبر فيها رباب أنه ارتبط بفتاة أخرى.. لكنه كان قد أعد قرارا.. واستجمع شجاعته ليخبرهما به..

- بس أنا مش موافق على إن ده يحصل إلا لما أعمل التحليل.  
ابتسم الطبيب وتبادل نظرة مع هيثم ثم ردد: حقك!!

\* \* \*

## رباب

كان على رباب أن تقضي تلك الليلة.. بعد كل ما حدث وكل ما  
كُشف لها.. تقضيها كأبي إنسان آخر تستلقي فقط على سريرها  
وتغمض عينيها لتنام..

وكان العالم كله لم يتأثر ولو قليلا بما يحدث معها.. العالم من  
حولها مستمر بدأب في إكمال حلقاته المتتالية من الليل والنهار..  
تذكرت رباب كم من ليلة استلقت فيها على سريرها تقتلها  
الوحدة.. ويقهرها ضعفها.. ولم يتوقف الليل يوماً ولا النهار ليعلنا  
تعاطفهما معها..

كانت تمضي تلك الليالي التي أصبحت الآن ماضياً.. تتساءل هل  
يشعر بها تتألم؟ أم أنه يقضي ليلته منشغلا عنها لا تأتيه حتى ولو  
كخاطرة في ذهنه؟ وما أن تلقاه في الصباح حتى يتلقاها بجموده..  
فتوقن أنها بالفعل كانت وحيدة بالأمس.

ولكنها اليوم أدركت أن لعل الأمر لم يكن كذلك.. لعله كان يتألم..  
لعلها هي التي لم تكن تشعر بما بداخله.. لعل ألمه ووحدته كانا أكبر  
بكثير من ألمها ووحدتها..

ما إن جالت تلك الخاطرة بذهنها حتى انتفضت رباب غضبًا، تلقي اللعنات على نفسها وعليه..

تتعجب كيف تتعاطف معه الآن بعد كل ما كُشف لها من أفعاله.. هذا اللص.. القواد.

دوت جملة كريمة في رأسها..

(مشكلتك إنك ما بتعرفيش تحكى حواديت.. الحواديت منطقتها غير منطقتك.. الحواديت أبطالها فرسان.. والفارس نبيل.. وأحيانًا يكون مستحيل عليه بسبب نبله.. إنه يوافق إن أميرته تتأذى بسببه)..

اللعنة على الحواديت.. وعلى كل هؤلاء الأميرات الحمقى.. على ضعفهن.. سذاجهن.. أنا لست أميرة.. أنا ملكة.

نظرت رباب في الظلام الذي يحدق بها.. حتى أن الستائر الثقيلة في كل مكان قد حالت دون أن يتسرب أي شعاع لضوء.. شعرت بنفسها تذوب في الظلام.. يمس شفيتها ملوحة الدموع التي تتسرب بهدوء.. علمت تمامًا لماذا تبكي.. تبكي لأن حقيقة واقعة بدت لها وسط كل هذا الظلام.

قاومت الفكرة ولكن الحقيقة كانت أقوى منها.. في وضوحها وحضورها القوي.. حقيقة أنها تفكر فيه الآن.. حتى أنها لا تفكر في زوجها ولا أمها.. بل فيه.. تريد أن تتقبل ما فعله بها وتسامحه.. ولكنها فقط تقاوم.. تقاوم من أجل ماذا؟ كرامتها؟ أم مملكتها الجديدة؟..

فجأة انقطعت أفكارها.. لم يعد صوتها يتردد داخلها.. لم تعد الحقيقة تطاردها.. انقطع كل شيء عدا الظلام.. غلفها الصمت.. شعرت أنها تغوص في سريرها.. ويتفكك جسدها قطعة قطعة تنسال الدموع ولكنها تشعر براحة تسيطر على جسدها.. تأتي زاحفة إلى كل خلية به..  
تسمع صوتا عذبًا يشق الصمت..

﴿كَهَيْعَصَ﴾ .. إنه الشيخ عبد الباسط.. يشدو من بعيد..

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ، زَكْرِيَّا﴾

كانت في نقطة ما من عقلها تعلم أن الصوت يأتي من خارج غرفتها.. تعلم أن كريمة بالتأكيد من أدارت الكاسيت.. تريد أن تنشر صوت عبد الباسط في أرجاء الفيلا..

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ وِذَاءَ حَفِيًّا﴾

يا الله.. كم ناديتك!.. أن تنزعني نزعًا من ضعفي.. تجعل لي من بعد ضعف قوة.. اللهم إني أشكو إليك ضعفي وقلة حيلتي.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ

أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾

ما أبدع كلماتك يا الله! والله إني وهن العظم مني.. خار جسدي..  
انسالت روحي..

تتذكركم من ليلة قضتها تسمع سورة مريم.. تسبح الله كل ليلة وهي تقف مأخوذة بآياته.. تبكي مع زكريا عليه السلام.. وتفرح لفرحه يبحي.. وتسال الله أن يرزقها يومًا كما رزق زكريا من قبل.. نعم يرزقها..

طفلا تلقمه صدرها الصغير.. فلا تشعر بالوحدة أبدًا.. يرزقها طفلا منه.. هذا الأحق الذي أحبته وخذلها.. رحل وتركها تزوج غيره.. لقد دعوتك يا الله.. وأنت أقرب من حبل الوريد.. اللهم إني لا أعترض حكمك.. لك الأمر من قبل ومن بعد.. ولكن قلبي عنده.. فلم يا رب لم تمنحني معه حياة وترزقني منه طفلا؟..

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئُ ﴾

ترددت الآية فزلزلتها.. إن أردته فهو ينتظرك.. يريدك الآن.. إذا شئت معه حياة اذهبي إليه وتزوجيه.. أنت من ترفضين..

انشقت الظلمة عن اتساع أخضر.. مرج ممتد.. تجلس هي أسفل شجرة.. تحيط بها سواقي تدور بلا ماء.. تصدر أزيزًا يشق الأذان.. وكأنها تطلب الماء حثيثا.. يكاد صوتها يشق أذنيها.. تحاول أن تضغط عليهما ولكن أزيز السواقي يزداد.. تشعر بحلقها يجف.. والمرج الأخضر يتحول لونه إلى الأصفر عند الأفق..

يتوقف أزيز السواقي.. هدوء مستمر للحظات.. والأصفر يأتي من الأفق ليقتل خضار المرج عمداً.. يزداد الأمر سوءًا إذ امتلأ الأفق بغبار لا أول له ولا آخر..

يعلو صوت العاصفة القادمة من بعيد رويدًا رويدًا.. وكأن جيشًا يأتي من بعيد.. تنسمر أطرافها.. وهي ترى جيش الغبار يتقدم نحوها.. تزداد الرياح قوة فتتحول من بعد رقة قسوة ومن بعد لطف جفاء.. بدأت أول سرايا الغبار تصل إلى موقعها.. كانت مازالت سرايا صغيرة.. ذرات تراب تتعلق في الرياح ثم تضرب وجبها بعنف.. بدأت تتألم.. شعرها يتطاير يملؤه التراب.. ذرات تراب اخترقت فمها فكادت أن تختنق.

(قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيا)

اهتزت الشجرة من فوقها هذا.. سمعت أصوات السواقي.. ولكنها لا تثر عطشًا الآن وإنما هو صوتها تتفكك.. تتفكك أخشابها واحدة تلو أخرى.. يعلو صوت طرقة تلو الأخرى وكأنما تتألم السواقي إثر ضربات متتالية..

اقترب الجيش بقوة.. غمرتها ذرات الرمال.. ألقها الرياح أرضًا.. كانت تريد أن تصرخ ولكن الرمال وقفت على باب شفيتها تريد لحظة انفراجهما لتقتحم فمها بقوة.. لم تستطع.. انحنت على الأرض ثم سقطت.. تداري وجبها بكلتا يديها.. هاربة من ألم السياط التي تضرب بها ذرات الرمال وجبها..

كم استمرت تلك الغارة؟.. لا تدري.. هل هي لحظات؟.. أم أن عمرها كله انقضى وهي تقف تلك الوقفة في وجه الرياح والرمال؟.. هل كان ذلك عمرها كله؟.. السواقي العطشى تنفك واحدة تلو أخرى.. والشجرة التي كانت تستظل بها تنحنى للرياح لكي تنجو..

هل بالفعل قضت هي عمرها كله منحنية بل منكفئة على وجهها  
تدريه خوفاً وجزعاً.. هل انحنت كتلك الشجرة لتنجو؟..  
سمعت أصواتا علمت أنها من ذاكرتها.. تذكرت يوم زفافها إلى  
هيثم..

لماذا تذكرت ذلك اليوم الآن وبالذات؟..

هل كان هذا هو اليوم الذي انحنت فيه لتمرير الرياح؟..  
ولكنها فجأة أقامت جسدها وأظهرت وجهها للرياح.. تركت الرمال  
تنهال عليها بسياطها.. فتحت فمها لتصرخ.. ولكن الرمال لم تترك  
لها فرصة.. هاجمت حنجرتها بقوها.. خنقت كل منفذ هواء لديها.  
انسابت الدموع..

جف الحلق..

اختنقت الأنفاس..

نزفت دمًا.

تلقت الماء بعد ألم..

ولكنها ظلت مقيمة جذعها.. لا تنحني.

قالت بهدوء: ولكنك اللهم إن أردت شيئاً تقول له كن فيكون.  
قالتها بثبات.. فهدأ كل شيء.. انشق الغبار.. فإذا بالكون كله  
أجمل.. وإذا بالسواقي تدور.. والماء في كل مكان.. وصفار التراب  
ينحسر.. وتزهدهر المساحات حولها اخضراراً.. تسقط الشجرة  
أوراقها التي ذبلت وتبديل بأوراق جديدة.. أكبر وأكثر ظلاً..

يأتي من الأفق.. هو.. نعم هو.. يخطو بفرسه نحوها.. ويتقدم لها  
ويركع طالبًا أن تسامحه..  
ولكنها.. تتركه راکعًا.. تقفز على فرسه.. وتنطلق به هاربة نحو الأفق.  
يصرخ: إلى أين؟  
تصخ مبتعدة: لا أعلم!!

\* \* \*

١٣

استيقظت رباب في الصباح تشعر بعطش شديد.. كانت كريمة قد دخلت الغرفة ممسكة بالنيسكافيه.. تحمل جميلة بين ذراعها..

- صباح الخير يا مدام.. النيسكافيه..

تناولت رباب ابنتها وقالت بوهن:

- مايه.. أنا عايزة مايه..

غادرت كريمة مسرعة تأتي لها بكوب من الماء.. كانت جميلة صامتة.. تنظر لأمها بتعجب.. كانت تحمل شيئاً في يدها.. نظرت له رباب.. فإذا به كتاب صغير.. يبدو أن كريمة كانت تلهو معها.. كتاب ملون.. من الكتب التي قررت رباب أن تتخلص منها.. نظرت إلى ابنتها وقالت:

- الحواديت يا جميلة.. الحواديت كدابة.

جاءتها كريمة.. ناولتها الماء.. فشربت.. نظرت إلى كريمة بياس وقالت:

- كريمة.. احكى لجميلة كل الحواديت.. لكن أنا مش هقدر أسمع نفسي إنى أقولها الحقيقة.. إن الحواديت كدابة..

جلست كريمة إلى جوارها.. وقالت:

- مسيرها تكبر وتعرف.. لوحدها.

قامت رباب تبحث عن رسالة هيثم التي كانت تقرأها.. حملتها تنظر إليها..

ثم أمسكت بولاعتها بهدوء.. وأشعلت فيها النار.

لحقت بها كريمة.. وقفت خلفها تنظر إلى الرسالة المحترقة.. وضعت يدها على كتف رباب.. وقالت:

- الشيء الوحيد الذي لسه مقلتكيش عليه.. هو إني أنا كمان شاركت مع الكل في الاتفاق.. بس بشكل غير مباشر.

نظرت لها رباب بدهول..

- حتى إنتي يا كريمة؟!

قالت كريمة محاولة أن تبرر فبدت وكأنها تتوسل إليها..

- يا مدام رباب أرجوكي افهميني.. أنا وهبت عمري وحياتي لممدوح

بيه وابنه.. هيثم من ساعة ماجاتله فكرة إنه هيتجوزك.. وهو كل

يوم بيعي يحكيلى عنك وياخد رأيي في كل تفصييلة عشان توافقى

عليه.. قالى عنك كل حاجة عرفها من صاحبه.. وسألنى إيه اللي

ممكن يخلى بنت زيك تحبه.. سألنى عن رأيي عشان أنا بنت زيك..

وقتها كنت حاسة بيكى رغم إني عمري مشفتك.. كنتى صعبانة

عليا.. زى ما كان هيثم صعبان عليا.. إنتى كنتى آخر أمل ليه

عشان يفرح قبل ميموت.. وصاحبه كمان كان صعبان عليا وأنا

عارفة إنه هو كمان بيحبك.. صدقيني هو ماباعكيش هو حسيها

كده.. حسب إن كده بيسعدك.. مش سهل أبداً إنه كان يسبب

نفسه لحد ما يشوفك بتكرهى حياتك معاه بسبب مرضه..

جلست رباب على الأريكة وقالت: شاركتي إزاي؟

صمتت كريمة لحظات وكانها تتذكر ثم قالت:

- في يوم جالي هيثم وكان مش طابق نفسه..

ثم أكملت كريمة حكايتها عن ذلك اليوم.. حين دخل هيثم الفيلا غاضبًا.. حاول أبوه أن يهدئ من روعه.. ولكنه كان يصرخ في وجه كل من يعترضه.. يمسك بأي شيء تصل إليه يده فيقذف به أرضًا ويحطمه.. كانت ثورته تلك تذكرنا جميعًا بيوم كان صغيرًا فهاج مدمرًا ساعة الجدار.. يومها كان صغيرًا يحارب مسخ الوحدة الذي يخشاه.. ولكننا لم نفهم في ذلك اليوم أنه كان أيضًا يحارب مسخ الوحدة مرة أخرى.. عندما شعر بأن هناك احتمالًا ألا يتزوجك.. ظل يصرخ.. "هتجوزها.. غصب عنه"..

حتى هذه اللحظة لم يكن أحد في البيت يفهم ما يقول سوى كريمة.. ولكنه شرح لأبيه وأمه كل شيء.. كل شيء عن خطة زواجه برباب.. وقال في نهاية حديثه:

- الحيوان بعد ما عشمى.. وخلانى أتعلق بيها.. رجع في كلامه وبيقول مش هيسيبها إلا لو اتأكد إنه عيان.. ولو نتيجة التحليل قالت إنه مش هيعيا لما يكبر.. مش هيسبها.. الحيوان ده كده كده هيدمر البنت دى لو رجعلها.. أنا عايز رباب.

وظل يصرخ في أرجاء الفيلا.. "أنا عايز رباب"..

حاول أبواه تهدئته ولكن ثورته كانت تزداد.. كان لم يعد من الممكن أن يتصور هيثم أنه لن يحصل على شيء أراد.. بل أراد بشدة..

ها هو يقولها صريحة لأبويه.. زوجوني إياها.. وكأنه يطلب منهما شيئاً كأى شيء اعتادا أن يليباه له..

اتصل أبوه بالطبيب صديقهم.. حتى يسرع إليهم ليساعدهم في تهدئته ولكنه لم يكن يحتاج لإتمام الاتصال.. إذ بالطبيب يقف لدى الباب.. فتفتح له كريمة.. يدخل بابتسامته الواثقة..

- صوتك جايب آخر الشارع..

أخرج من جيبه ظرفاً أبيض كبيراً بعض الشيء.. أخرج منه ورقة واحدة فقط..

- بوسيتف.. إيجابي.. هانتيجتون ديسيز.. صاحبك بالكثير قدامه عشر سنين ويبقى مايقدرش يشيل كوباية ميه.

أطلق هيثم صرخة فرحة لم تكن كريمة قد سمعت منه مثلها من قبل.. كانت فرحته لا توصف إلا بأنها المرة الوحيدة التي رآته فيها سعيداً هكذا.. انطلق يقبل أبويه والطبيب حتى أنه قبلها هي.. وانطلق يقطع الفيلا ذهاباً وإياباً وكأنه أحرز هدفاً للتو.. لم يوقفه إلا ضيق صدره من فرط المجهود.. فجلس يتصبب عرقاً.. وهو مازال يحاول أن يخرج صوته جاهداً ولكن التعب قد أنهكه.

\* \* \*

انهارت رباب فسقطت أرضاً..

- هو فعلا عيان؟.. فعلا؟!..

شعرت رباب أن الغرفة تدور بها.. شعرت وكأن أباه وأمه ماتا ثانية الآن.. وكان اليتيم يضربها مرة أخرى بعنف.. احتضنت جميلة

وكانها تخفي عنها الخبر.. للحظة نسيت كم الغضب الذي بداخلها نحوه.. تمننت لو تراه الآن فتخبره أنها تسامحه.. أنها لن تتخلى عنه حين يمرض.. ولكنها انتهت.. حين سألتها كريمة:

- عرفتى بقى أنه فارس نبيل وإن دى حدوتة من حوادث ألف ليلة؟ عرفتى إنه ضحى بالكام سنة اللي بعد فيهم عنك رغم احتياجه ليكي.. عشان تحققى سعادتك وتخلفى جميلة.. من غير ما يكون لها أب يدمر لها سعادتها لما تشوفه إنسان مريض مشوه مش بيقدر يتحكم حتى في أقل عضلة في جسمه..

- بس هو رجع تاني يطلبنى للجواز!

- آه.. رجع لأنه ضمن إنه مش هيظلمك.. رجع يقولك تعيشوا مع بعض الكام سنة اللي فاضلين.. لحد ما يبدأ ينهار.. وقتها هيسيبك ويختفي.. عشان مش هيقدر يشوفك وإنى بتكرهيه.

أفلتت جملة من رباب:

- أنا عمرى ما هاكرهه لما يعيا ولا هتخلى عنه.

نظرت لها كريمة وابتسمت واحتضنتها ولكن رباب قالت:

- وإنى إيش عرفك إنه هيعمل كده وإنه كمان هيسيبنى لما يحس إن العيا جاله؟

نظرت كريمة لرباب بحنان وقالت:

- لأنه قالى كده.. مش قلتلك أنا شاركت فى الخطه.



كان على الطبيب أو هيثم إخباره بنتيجة التحليل.. ولكن الطبيب أضاف اقتراحًا جديدًا.. كريمة.

رأى الطبيب أن من الأفضل أن تقوم كريمة بذلك.. ليسمع رأيًا نسائيًا حول ما سيقدم على فعله.. إذ إن الطبيب استشعر منه تراجعًا عن موقفه تجاه التخلي عن رباب من أجل صديقه..

كان هيثم يجلس في غرفته ومعه الطبيب حين سمعا طرق كريمة على الباب فأذنا لها.. وما هي إلا لحظات وعلمت كريمة بالأمر.. كانت قد رأت فرحة هيثم للتو.. والآن يُطلب منها أن تشارك معهما في إقناعه بالتخلي عنها.. أخبراها أن الأمر لن يكون صعبًا فهو مقتنع بالفعل ولكنهما يريدانه أن يسمع رأيًا نسائيًا حول الأمر.. وأنه بالفعل يقوم هنا بدور البطولة إذ يتخلى عن حبيبته من أجل سعادتها.

لم تخف كريمة عنهما في هذه اللحظة اقتناعها التام بنبل الموقف إن تم.. بل إنها تحمست بالفعل للتطوع لهذه المهمة التي ترى فيها أنها تشارك في بناء سعادة هيثم وإنقاذ فتاة مسكينة ستفقد حبيبها.

انطلقت نحوه طالبة لقاءه.. توقعته أن يأخذ الأمر من وقتها القليل.. ولكنها وجدت نفسها تقضي معه ساعة تلو الأخرى.. يحكى لها عن رباب.. حبه لها.. وعن رغبة هيثم في الزواج منها.. وعن مخاوفه من مرضه الوراثي.. صرح لها بوضوح عن تراجعته عن موقفه.. عن رغبته في قضاء ولو ساعة واحدة بجوار رباب.

تتذكر تلك اللحظة..

حين فرت منها دموعها.. ونظرت له وهو يحكي بحماس.. وأشارت له فجأة بيدها أن توقف.. وأخرجت ظرفاً أبيض يحمل علامات طبية ما.. ثم قالت:

- أنت فارس نبيل.. وحدوتتك حكيمها لكل الناس.. ماتندمش على قرارك حتى لورباب شافتك أحقر إنسان في الدنيا.. فأنت أنبل شخص في الدنيا.. خاصة أن كل مخاوفك من المرض.. مش مجرد مخاوف.. أنت هتكون بتأذي رباب لو ارتبطت بيها.. أنا أسفة إني هاكون الشخص اللي هيقتل جواك أي أمل.. بس أنا حبيت أكون الشخص اللي يقولك أد إيه أنت نبيل.

ناولته نتيجة التحليل. وأمسكت بيده.. وحاولت أن تضيف شيئاً ولكنها لم تجد ما تقول.. فرحلت.

كانت قد تركته مأخوذاً بما سمع.. ينظر إلى الظرف الأبيض وكأنه ينظر إلى مقبرته التي سيدفن بها.. بيد مرتعشة فتحه.. ليعلم أن ما خاف منه كل هذه السنوات لم يكن شبحاً.. بل واقعاً.. سيأتي لا محالة.. كان يعلم أن هناك احتمالاً كبيراً وواضحاً جداً أن هيثم وصديقه الطبيب قد زورا نتيجة التحليل.. أو بالأحرى لم يكن هناك تحليل وتلك نتيجة مزورة لإقناعه فقط بترك رباب.. كم هم حمقى؟! الأمر وراثي.. وهو لا يخشى على نفسه فقط بل على ذرية ينجمها من رباب فتصبح فريسة المرض.. سواء كان مريضاً أو ليس

مريضاً فهو سترك له رباب لا محالة.. هي فقط مسألة وقت لكي يتقبل الأمر ويقدم عليه.

توقفت كريمة عند الباب لتلقي عليه نظرة أخيرة.. كان قد قام من مجلسه حاملاً الورقة بيده.. تعثر مرة أو أكثر.. ولكنه أكمل طريقه نحو النافذة.. فتحها لتلاعب الستارة بقوة وتضرب وجهه.. ولكنه أزاها عن طريقه.. وقف يواجه ارتفاع بضعة وعشرين طابقاً.. ظنت كريمة للحظة أنه من الممكن أن يكون فكر في الانتحار.. فزعت للفكرة وحاولت أن تجر ساقها نحوه لتنقذه.. ولكنها لم تستطع.. ظلت ترقبه بحذر وخوف.. وهو واقف لا يتحرك.. تجمد الدم في عروقها.. لم يتحرك.. ولكنه أخرج الورقة.. وتركها للرياح التي تداعب ستائر نافذته.. وشرد يرقب الورقة التي حملت خبير مرضه اليقين تطير بعيداً.. وكأنها تخبر الكل بالأمر.. كان يقول شيئاً ولكن كريمة لم تستطع أن تميزه، كان يبدو كشخص يتبادل الحديث مع آخر..

أخيراً دار بجذعه للخلف.. فوجد كريمة ترمقه.. بدا عليه الارتباك وهو يقول:

- لما بمر بمواقف زي دى مش بلاقى حد أكلمه.. فبكلم نفسي .. ماتخافيش أنا مش مجنون.. أنا عارف إني بكلم نفسي.

أدركت كريمة أنه كان يبرر حديثه الذي لم تميزه هي منذ لحظات.. حاولت أن تضيف تعليقا مناسباً ولكنها وجدت أي شيء سيكون سخيفاً حتى حين قالت: كلنا.. كلنا كده.

ثم ضحكت ضحكة عصبية بدت أكثر انفعالا من اللازم.. بدت حمقاء جدًا وشعرت بالغباء إذ لم تجد كلمة واحدة تواسيه بها.. إلا أنها قالت:

- أنا مش عارفه أقول إيه..

ابتسم وقال:

- لوفي يوم من الأيام لقيتي فرصة قولي لرباب إني فعلا عملت كل ده عشانها.. قوليلها إني كان نفسى نهاية الحدودتة تكون قريبة وسعيدة.. بس أنا مش هقدر.. أنا عارف إني بدمر كل اللي كان بينا.. سيبك من الكلام الفارغ اللي بضحك بيه على نفسى إني هرجعلها بعد ما هيثم يموت وأقولها إني بحبها وعملت كل ده عشان أسعدها.. ده كلام فارغ.. وقتها هتكون كرهتني.. ثانيا هرجع لها بإيه جديد؟.. منا هكون عيان برضه.. أنا كل اللي أتمناه كأمل.. أمل مش هيتحقق.. إنها تسامحني.. تقولي إنها مقدره اللي عملته عشانها.. أنا باخرف صح؟

- لا أنت مش بتخرف.. أنا لو مكانها هشوفك حد نبيل جدًا..

نظرت كريمة إلى رباب التي كانت تصغي لكل كلمة.. وقالت:

- بعد شهور العدة لازم نسافر لندن.

تعجبت رباب فأكملت كريمة قائلة:

- هيثم الله يرحمه سايبلك رسالة هناك.. في خزنة في بنك بيتعامل معاه هناك..



## هو ورباب

تتذكر هي تلك الكلمات التي قالها في لقاءهما الذي سبق كشفها لكل شيء.. كانت بالفعل لا تفهم شيئاً مما قال ولكنها الآن تدرك كم كان يتألم في كل كلمة قالها..

- (أنا عملت المستحيل عشان مبقاش لوحدى.. وما عرفتش.. لو تعرفي يا رباب الوحدة حولتني لإيه.. كنتى حسيتي بكل الألم اللي بيعصرنى كل يوم.. حتى أهلى وأمى مشيوا.. أعز أصحابى مات.. بس أنا قدرت أتعايش وأنط فوق ألم الفراق.. شفتهم في كل حاجة حواليا وعشت معاهم في خيالى.. لكن أنتى لأ.. أنا حياتى واقفة عليكى.. أنا عملت اللي مافيش إنسان يعمله عشان أحافظ عليكى.. لو ضعيت منى مش هعرف استوعب.. مش هعرف أعيش من غيرك مش مسألة حب وبس.. رباب.. أنتى الوحيدة في الدنيا دى اللي مديانى سبب إنى أصدق إنى عايش.. وإنى بعيش حياة بجد.. أنا عشت طول السنين اللي فاتت من يوم ما بعدت عنك عندى أمل في اليوم ده.. إنى أرجعلك وأمسك إيدك بجد.. أنا عارف إنك مش فاهمة ولا كلمة.. ولا هعرف أفهمك.. بس أنا مش عارف لو طلع كل ده ع الفاضى وطلع إنى

هخسرك زى مخسرت كل حاجة.. بجد مش عارف هستوعب  
إزاي.. أنا فكرت في كل الاحتمالات إلا الاحتمال ده.. لأن الاحتمال  
ده معناه إنه اتهد آخر سبب كنت ساند عليه عقلى وحياتى.. أنا  
أسف إنى جبان.. أسف إنى أجبن حد في الدنيا.. بس أنا بخاف  
لأنى لوحدى.. وخايف أكثر إنى أبقى لوحدى وأنا محتاج حد  
جنبى).

كل كلمة قالها كان ينزف من ورائها ويصرخ منها ألماً..

\* \* \*

كان قد انتهى لتوه من قراءة الفاتحة عند قبر عبد العزيز.. أعلن في  
تلك اللحظة موت عبد العزيز الذي ظل يرافقه طوال تلك  
السنوات في خياله.. قرر في هذه اللحظات أن عليه أن يتقبل الأمر..  
الوحدة هي مصيره الذي عليه أن يرافقه حتى يضره المرض  
بطعناته.. أي غياب هذا الذي سيطر على عقله فجعله يفقد كل  
شيء؟! وهل لم يكن يتوقع أن تثور عليه رباب حين يأتها بعد كل  
هذه السنوات؟.. كيف اندهش لطردها إياه من الشركة؟.. بل كان  
عليها أن تقتله أيضاً..

لم تكن الأحداث بمثابة مفاجأة وإن كان ظل سنوات ينتظر موت  
هيثم ليعود إليها.. ولكنه كان في كل يوم يمر يعلم يقينا أنه ينتظر  
وهمًا أوهم نفسه إياه ليخفف على نفسه حقيقة وحدته الأبدية..

بدأت له كالأعباء السخيفة التي يخدع بها نفسه كل مرة كي لا يواجه حقيقته.

قرر أن يسافر إلى لندن ليقضي ما تبقى من الوقت مع أمه.. لم يتبق له سواها.. يعلم أنها بعد القليل من السنوات أو الشهور أو لعلها الأيام لن تتذكره مرة أخرى.. ولكنه لا يجد الآن ما يفعله سوى أن يقضي معها ما تبقى لديها ولديه من الوقت. أعد أمتعته وسافر..

جلس بالطائرة يرقب الأرض وهي تبتعد عنه بقوة حتى اختفت.. ابتسم بمرارة وهو يسخر من نفسه.. "أنت كنت مصدق إنك لما هترجعها هتاخذك بالحضن وتقولك بحبك.. أنت كان فين عقلك وأنت بتسيبها لهيتم؟.. نبل وفروسية زى ما كريمة قالت.. ولا حجة وضعف وجبن منك؟" ..

هل نسجت كل هذه الخيوط المتشابكة من أجل أن تخفي عن نفسك حقيقة أنك جبان؟.. أغمض عينيه وقال لنفسه بهدوء:  
- ماكانش ينفع أعيش معاها وتخدع نفسها إنها بتحبني وبعد كده تتمنى موتى عشان تخلص من جحيم مرضى.. أنا عملت الصح.  
فتح عينيه.. ليجد عبد العزيز!!

بدأ له كأنعكاس لصورته في زجاج نافذته.. يضحك ملء فمه.. وهو يقول وقد سعل من فرط الضحك:

- أمال طلبت منها الجواز ليه تانى.. ما دام سيبتها كل السنين دى؟

راجعلها ليه يا بطل؟.. وليه ما عدتس التحليل مع إنك عارف ومتأكد إنه مزور وإن هيثم ضربلك النتيجة عشان تسيما؟ حاول أن يتجاهله.. حاول أن يتذكر أنه ودعه لدى المقابر.. ولكن عبد العزيز لم يرحل.. لم يجد بدءاً من إجابته..

- أنا إديتها كل حاجة.. بقت مليونيرة.. أم.. بقت ملكة.. كل ده ماكانتش هتحققه معايا.. وكل ده أنا دفعت تمنه وحدة وغربة وألم.. من حقى دلوقتي يتردلى جزء من التمن ده.. أعيش معاها اللي ممكن ألحقه من عمري قبل ما أبقى مصدر ألم للى حواليا..

علق عبد العزيز تعليقا أخيراً واختفى..

- كل الألعاب دى فى خيالك أنت بس.. أنت بس اللي بتلعها وبتتحكم فى قواعد ألعابك عشان تفضل لعبتك مستمرة.. أنت ما عدتس التحليل لأنك جبان.. كنت عارف ومتأكد إنهم هيزوروا التحليل ويقولولك إنك بوسيتف.. وبالتالى تلاقى حجة لعقلك عشان يتقبل إنه يسب رباب.. ورفضت طول السنين دى إنك تتأكد.. بس كل ده مش الحقيقة..

- حتى لو أنا مش عيان.. ده مكنش هيغير الواقع.. لأنى كنت هضر رباب برضه فى ذريتنا.. أنت أكثر حد عارف أنا اتعذبت أد إيه وأنا بشوف المرض ده بيكبر حواليا فى اللي بحمهم.. أه يا عبد العزيز أنا خططت كمان للعبة التحليل عشان أقنع نفسى أسيما بحجة أكبر.. الحقيقة لو عايزنى أعترف بيها..

قولى أنا ذنبى إيه فى كل اللى حصل.. ساعتها حاسبنى على اللى عملته.

كان يعلم فى نفسه وإن لم يخبر عبد العزيز بالأمر.. أن التحليل الذى طلبه من هيثم وطبيبه كان هو الفخ الذى أعده ليقلب كل الموازين فيما بعد.. كان عليه فقط أن يراهن أن هيثم وطبيبه سيؤران التقرير.. كانت مغامرة كبيرة.. بل مقامرة ألقى فيها بأثقل أوراقه.. فلو لم يزورا التقرير سيخسر كثيرا.. خسارة قد لا يتحملها.. وإن زوراه.. ستكون تلك ورقة التوت التى سيداري بها عورته أمام رباب.. انظري لقد خدعاني.. جعلني ذلك أتركك ظنا مني أنني مريض..

كانت تلك لعبة تُلعب على المحك.. ولكن حتى إن فشلت فسيجد وقتها طريقة أخرى ليخبرها أنه كان محل خديعة.. وأنها تأمرا عليه ليتركها.. بالطبع لن يملك الشجاعة ليخبرها أنه خطط لتركها.. أنه أجبن من أن يستمر معها وأنه يريد أن يوكلها لغيره ليسعدها.. ثم بعد ذلك يحيا معها وقد أعفي من مسئولية إسعادها.

لم يكن ذلك ذنبى يا رباب.. كل شيء أقوى مني.. إن لم أكن فعلت ذلك.. كنت بالتأكيد سأتألم حين أراك تكتشفين ضعفي ومرضى ونفسي المحطمة..

لم أكن لأترك نفسي أتعري أمامك هكذا.. اذهبي إلى الجنة.. اسعدي.. وسأكون من بعد موته فارسك النبيل الذى ضحى بسعادته من أجلك..

حاول وصف ما حدث له كثيرًا.. لم يصل أبدًا للوصف الدقيق.. حاول أن يعبر ففشل وحمل الحقيقة ما لم تكن تحمل.. ولأنه أراد أن يفهم ماذا حدث وكيف حدث فقد أعاد سرد كل شيء لنفسه مرارًا وتكرارًا فلم يدرك لماذا حدث ولا كيف انتهت الأمور إلى هذه النهايات.. ومن فرط محاولاته لشرح ما حدث لنفسه حتى يعيد اتزانته الذي فقد.. من فرط التبريرات والتفسيرات غابت الحقيقة فما عاد يعلم هل أضاف إلى التفاصيل ما يبرئ به نفسه حتى لا يبدو أمام نفسه أحمق.. أم أن الحقيقة نقصت أشياء تعمد إخفاءها فتسربت إلى عقله الباطن ونسبها عمدًا حتى صارت لا شيء.. الحقيقة أنه لا حقيقة أمامه إلا حقيقة واحدة.. إنه انتهى إلى ما صار إليه وأنهم انتهوا إلى ما صاروا إليه.. لكن كيف حدث بدقة؟.. هذا سؤال صعب رغم أنه عاش كل شيء ولكن من منا يملك هذه القوة الخارقة من مواجهة النفس.. من السهل جدا أن نخترق مبررات ونضيف تفاصيل على أن نذكر الحقيقة هكذا كما هي.

هو يدرك تمامًا أن ثمة تفاصيل قد شوهدت الحقيقة.. تفاصيل من صنعته هو أو من صنع الزمن.. أيا كان من صنع التفاصيل الصغيرة ولكن من وضعها قد علم كيف يصبر على وضعها تفصيلا تفصيلا بتأنٍ وجلد.. حتى لا يشعر أحد بالتشوه الذي يحدث للحقيقة.. وكأنه يحفر نفقا بإبرة صغيرة.. يهدوء وثبات وإيقاع منتظم..

لا يشعر أحد بوخز الإبرة في الحقيقة حتى خلق منها وبها نفقا يستطيع من يشاء أن يعبر منه متجاوزًا ما حدث إلى البر الآخر.. هولم يبتكر هذه الطريقة.. فالكل يسلك نفقه الخاص الذي يعبر منه عبر حقيقته المخزية دون أن يضطر للمواجهة أو النظر المباشر.. ما أكد له ذلك أنه كلما قابل أحدا روى له غير ما كان.. والكل سعيد فلماذا لا يسعد؟..

وصل إلى المستشفى التي تنتظر فيها أمه ضيفا لن يأتي.. لن تشفى من المرض.. يتناوب عليها الأطباء.. تتجرع عشرات الأقراص.. ولكنها لم تعد لتتلق.. وكأنها انطفأت بعد ضياء.

ظلت سنوات ترسل لابنها رسائل تترجاه ألا يزورها.. ترفض كل المحاولات التي بذلها معها لتوافق على لقائه.. حتى لم تعد قادرة على إرسال الرسائل.. ولكنه اليوم قرر أن يأتي.. لا لزيارتها.. بل لأن هذا هو المكان الوحيد الذي يمكنه أن يذهب إليه..

بعد أن تقدم أول خطوة داخل المستشفى توقف.. نظر خلفه.. وكأنه ترك عالمًا آخر للتو.. ثم أكمل.. كان قد راسل المستشفى واستعدوا للقاءه بترحاب كبير.. هو المتبرع الأكبر لهذه المستشفى ممثلا عن شركات هيثم.. كانت كل التبرعات تتم من خلاله.. ولكنه جاء اليوم لا ليتبرع بل ليطلب منهم صراحة لقاء أمه..

رافقه طبيب وممرضتان إلى غرفتها التي لم يصدر عنها أي أصوات مزعجة أو مرعبة أحيانا كالتى تصدر من المرضى في الغرف الأخرى.. أخبرهم برغبته في الانفراد بها..

أخبره الطبيب بأنها في أغلب الظن لن تتذكره.. أوماً برأسه أن أعلم.. فنزل إلى رغبته..

وقف للحظات لدى الباب تلتصق يده بالمقبض.. ابتلع ريقه.. تذكر لغتهما الخاصة.. تحريك الشفاة.. أن أحبك.. هل تتذكرين يا أمي؟

وفتح الباب..

ليجدها.. هناك جالسة على كرسى متحرك.. تنظر إلى الحديقة الممتدة أسفل نافذتها.. لم تلتفت لترى من دخل غرفتها..

من زاويته لم ير إلا نصف وجهها.. بدت أكبر من عمرها بعشرين عامًا.. هاجمت التجاعيد وجهها.. ترهل الجلد أسفل وجنتها.. قص شعرها كرجل.. كان قد أغار عليه الشيب.. كانت شديدة النحافة..

بدا له ذلك واضحًا وهو ينظر إلى ذراعها اللتين ارتفعتا إلى أعلى تدوران بحركات لا إرادية.. بدا أنهما سيتحطمان من فرط النحافة ومن تكرار الدوران..

كان كأنه يرى جدته قبل أن تموت.. قفزت ذكرى جدته أمام عينيه وهما تنظران نحو أمه.. تلك الجالسة أمامه على كرسىها المتحرك لا تدري أنه يقف خلفها على بعد بضعة خطوات.. يرقبها.. يود لو تهنض.. تنظر له.. تحتضنه.. هذا اللقاء الذي كانت تصر ألا يتم..

أدرك الآن لماذا أصرت على ذلك.. كانت تعلم أن هذا اللقاء سيؤلمه.. بل سيحطمه.. وكانت تخشى عليه أن يراها هكذا.. فيكرهها.. أو يكره أن تلك المرأة - أمه - قد تكون السبب في تعاسته إن هي أورثته المرض.

لم يكن يفكر في الأمر على هذا النحو من قبل.. ولكن الآن بدأ يفكر بهذا الأمر.. ولكني يا أمي أسامحك لا ذنب لك..

فإذا به يقول.. وهل كانت رباب لتسامحني إن كنت تزوجتها فدمرت لها حياتها وحياة أولادنا؟

لا أظن أن أحداً يملك تلك القدرة الهائلة على المغفرة.. فأنت يا أمي لو كنت تدركين قبل ولادتي كم التعاسة التي ستلحقيني بي.. بالتأكد كنت لن تُقبلي على ولادتي.. ولكنك وقتها لم تفكري بهذا الأمر.. ليتك فكرت.

أو لعل أحداً لم يخبرك.. لا يهم.. المهم فقط أن تتحركي الآن نحوي.. وأن تفتحي لي حضنك لأبكي لساعات..

ولكنه وجد نفسه يتراجع خطوات ويخرج مغلقا الباب مرة أخرى وكأنه لم يدخل.

ظل كل يوم يأتي.. يرمقها من بعيد ويرحل.. ينتظر اتصالا من رباب لن يتم حتى قرر أن يقوم بما أجله سنين.. تحدث مع الأطباء بالمستشفى.. أخبرهم أنه مريض هانتيجتون هو الآخر.. ليته أحضر نتيجة التحليل ولكنها طارت من نافذته في ذلك اليوم..

قاموا بفحوصات كثيرة.. أجروا له تحليلا.. أصبح يتمنى أن يأتي التحليل سلبياً لا ليهرب من المرض.. بل ليوثق أن هيثم وطيبه خدعاه.. فيخبر رباب بالأمر.

جاء التقرير.. فتح الظرف ببطء.. مرت بذاكرته كل الأحداث.. نظر إلى نهاية التقرير.. ليرى الكلمة التي تمناها.. سلبى.

مرت شهور العدة وسافرت رباب إلى لندن.. بدافع الفضول نحو الرسالة التي تركها لها هيثم في بنك ما هناك.. لم تنتظر.. خرجت من المطار إلى البنك.  
انتظرت كريمة وجميلة خارج غرفة الخزائن.. فتحت الخزينة لتجد رسالته..

(يبدو أنك بلندن الآن.. علمًا بأنني موقن أنه سيكون هنا أيضًا مع أمه في المستشفى التي ترقد بها.. لعله قد علم الآن أو لم يعلم بعد أنني من خدعه.. وأخبره أنه مريض لكي يتركك لي.  
إن لم يكن يعلم فعليك إخباره أن الأمر كله كان خدعة وأنه ليس مريضًا.. لن أعتذر لأنني موقن أنه كان سيحرقك بكرهه لحياته سواء كان مريضًا أو سليمًا.. تتساءلين لماذا تركت لك هذه الرسالة هنا.. لأنني أريدك أن تذهبي إليه.

رباب.. أنا لست بهذه القسوة.. فما حدث كان الأفضل للجميع.. هذا السيناريو على تعقيده حصل الكل فيه على مكافأته.. الكل مستفيد.. كنت أتمنى أن أحقق له أمنيته بأن أجعلك أمًا.. وتكون جميلة قرة عينك.. ولكن القدر كان أذكى منا كلنا، وكأن مصيرًا أراد بشدة أن يربطكما ببعضكما البعض.. لم أملك حيوانًا منويًا واحدًا يصلح للحقن.. نعم.. كل تلك الخطط التي خُطت لها.. ولكن القدر يريدك أن تكوني أمًا منه هو.. هذه هي الحقيقة.. هذا هو الرباط الذي لن ينفك بينكما.. كان مكر الله أكبر من مكرنا.. لو حكينا تلك الحدوتة لطفل لرفض تصديقها.. ولكن القدر كان حازمًا.. على كل

ما حققت لك ولكني لم أكن أملك القدرة على أن أحقق حلمًا واحدًا فقط.. وهو الأهم لك.. ابنا أو ابنة.. استبدل طبيبي عينة أخذها منه بحجة تحليل مرضه كان قد احتفظ بها في بنك الحيوانات المنوية ليستفيد منها في أبحاثه عن الأمراض الوراثية فيما بعد.. بنطفتي التي حصلوا عليها في المعمل.. فصارت جميلة ابتكمما.. يبدو أنه حان الوقت لتكرهيني بدلا منه.. ولكنك حين تهدئين ستشعرين بقدر ما فعلته من أجلك.. ومن أجله..

ادعي لي بالرحمة.. أحبك!!

أغلقت رباب الرسالة بهدوء.. كانت لا تستطيع أن تستوعب كل هذه المفاجآت في هذا الوقت الضيق.. ولكن هذه تختلف..

جميلة.. وصل بهم الأمر أن تمتد أيديهم نحو جميلة.. فإن الأمر أكبر من طاقة استيعابها.. شعرت بفراغ في رأسها.. حالة لم تستطع وصفها سوى أنها الآن منهارة تمامًا.. وكأنها جسد لا طاقة تسرى به.. جسد خاوي من أي شيء.. تتمنى السقوط مغشيًا عليها ولا تستطيع.. تتحرك لا تعلم كيف ولكنها تخطو نحو كريمة وجميلة..

تعلم أنها سترى جميلة الآن لأول مرة لا كابنة هيثم بل كابنته هو!!

تلك الابنة التي تمنتها منه سنين.. امتلكتها الآن..

ترن الآية في أذنيها.. (قال كذلك قال ربك هو على هين)..

ما إن رأتها حتى اندفعت نحوها تحتضنها.. لم تتركها تغادر حضنها حتى غادرتا البنك.. كانت كريمة تنتظر معرفة ما دار بالداخل.. ولكن رباب ظلت صامتة طوال الطريق..

فقط بحثت على GPS الخاص بالسيارة عن موقع ما.. ولم تحدث.. فقط أدارت سورة مريم.. وظلت تستمع إلى آياتها. لم تنطق حرفاً.. دمعت كثيراً ولكنها لم تتكلم.. ولكن كريمة لمحت رغم كل ذلك ابتسامة تشق طريقها نحو شفيتها.. بدت في البداية ابتسامة تستحي أن تكشف عن ذاتها.. ولكنها امتدت رويداً رويداً لتملأ صفحة وجهها.. ثم بدأت تصدر ضحكات متقطعة.. تعلو.. حتى أصابتها هيساتريا ضاحكة لم تستطع أن توقفها.. لم تستطع كريمة فعل شيء سوى مشاركتها الضحك.. وجميلة تنظر نحوهما بذهول..

قالت رباب وسط الضحك:

- الكل مستفيد لكن مين هيقدر يعترف إنه كان عايز كده؟.. كل واحد شايف إنه ضحية والحقيقة.. الحقيقة إن ماحدث هيقول الحقيقة للتاني أبداً.

وصلت رباب إلى الموقع الذي كانت قد بحثت عنه.. ركنت السيارة وطلبت من كريمة أن تنتظر.. نظرت كريمة لتجد نفسها في مستشفى.. هل هي تلك المستشفى التي تنتظر فيها أمه؟.. بدأت تشعر أن ذلك له علاقة برسالة هيثم وإلا لماذا ترك الرسالة في لندن بالذات؟ هل قرر هيثم قبل موته شيئاً لم يخبرها به؟.. ولكن قبل أن تستطيع أن توجه هذه الأسئلة لرباب.. كانت رباب قد ابتعدت..



سألت رباب عنها.. عن أمه.. كانت لا تملك صفة قرابة تمكنها من تبرير السؤال.. ولكنها فوجئت حين سمحوا لها بالزيارة وأعطوها كل الإجابات.. شكرها أحد الأطباء على المبالغ التي وجهتها لهذه الحالة كـرعاية لها.. حاولت رباب أن تبدو متماسكة وهزت رأسها وكأنها كانت على علم بأمر التبرعات.. اقتربت من الغرفة.. فقال لها الطبيب الذي رافقها:

- الشخص الذي يقف بالباب هو ابنها.. تبرع كثيرًا أيضًا من أجل البرنامج العلاجي لكي يستمر..

تركها الطبيب ورحل.. لتراه.. يقف على باب غرفة أمه كطفل صغير.. يبكي.. ويتخفى حتى لا تراه.. كان الألم يصرخ من كل لقطة في ذلك المشهد.. كانت ترى كل ما حُكي لها ملخصًا في هذا المشهد.. كانت كل التبريرات التي ساقتها لها كريمة عن لماذا تركها.. ولماذا خشي عليها من أن تراه مريضًا بالهانتيجتون ديسيز ملخصًا أمام عينيها.. هو لم يكن يريد أن تقف يومًا مكانه.. على باب غرفته لتراه وقد افترسه المرض.. تتألم في صمت لكي لا يراها.. كانت تلك اللحظة الأولى التي تدرك فيها أن كريمة كانت محقة.. هذا هو الفارس النبيل.. يقف أمامها الآن.. هو من تخلى عن سعادته لأجل سعادتها.

لم يعلم أن هيثم خدعه وزور له تقرير مرضه.. وأنه لن يأتي أبدًا اليوم الذي ستراه فيه منكسرًا من المرض كما يرى هو أمه الآن أو كما رأى جدته من قبل..

لا تخف أيها الفارس النبيل.. أحتاج فقط لبضع لحظات لأسيطر فيها على نفسي وسأفرح قلبك بأنك لست مريضاً.. وسأطمئنك أنني فهمتك تماماً.. وأني أقدر تماماً ما فعلته من أجلي.. بل سأخبرك أن لك ابنة..

ولكنها فجأة أدركت.. أن جميلة إن هي ابنته.. فهل يمكن أن تكون يوماً مكان أمه وجدته؟.. اللعنة على ما فعله بها هيثم.. هل ستمرض جميلة؟..

أدركت أنه كان محققاً حين تركها.. خوفاً من أن يمرض أو تمرض ذريته.. كم الفزع الذي أصابها الآن على ابنتها جعلها تصدق أنه لم يكن مخطئاً أبداً.. كانت تريد أن تصرخ.. تخرج لتأتي بجميلة.. تجري لها كل الفحوصات الآن.. تطالب الجميع بإخبارها هل ستمرض أيضاً.

حاولت أن تناديه.. وتلفت نظره إلى وجودها.. ولكنها رأته يخرع على ركبتيه باكياً.. يسند رأسه إلى الحائط.. شعرت أن عليها أن تحترم خصوصيته الآن.. فغادرت نحو السيارة.  
ما إن رأتها كريمة حتى اندفعت نحوها..

- إحنا بنعمل إيه هنا بالضبط؟

حكيت لها رباب عن كل شيء..

- يعني جميلة بنته؟

قالتها كريمة وهي لا تكاد تصدق أنها استطاعت أن تخرج الجملة.. ولكن رباب أعادت على مسامعها أن نعم.. هكذا قال هيثم.

أخبرتها بحيرتها.. هل تخبره؟.. هل تطلب منه أن يرافقها لإجراء تحليل دي إن إيه؟.. لكن كريمة أوقفت حماسها قائلة:  
- إنتي عارفة معنى أنها تكون بنته إيه؟.. إنه رجع لحياتك تاني.. إنتي متأكدة إنك عايزاه يرجع؟  
لم ترد رباب.. ولكنها أدركت أنها لا تعلم حقا ما تريد، ولكنها قالت بعد ذلك ما شعرت به حقا:  
- أنا ماعزتش أي حاجة من اللي حصل.. وحصل..  
نظرت لها كريمة وقد فهمت ما أرادت أن تقول ثم قالت:  
- الظاهر إننا قربنا من نهاية الحدوتة..

\* \* \*

كان قد غادر الطابق الذي يحوي غرفة أمه.. وترجل نحو الطابق الأرضي متجاهلا المصعد.. كان يرى أنه ليس في عجلة من أمره.. يمر في ذهنه تساؤل عن عدد الأيام التي قضاها هنا في لندن وهي تتكرر كحلقات ثابتة.. لا يتغير فيها شيء.. وهو الآن يرحل من المستشفى مستعدًا لتكرار الحلقة في يوم آخر.. نزل عددًا من درجات السلم.. ثم تحسس هاتفه في جيبه.. فكر أن يتصل برباب.. سألها عن الخدعة التي خدعني بها هيثم.. لن أخبرها أنني أردت ذلك من البداية خوفًا عليها لكنني فقط سأركز على نقطة الخدعة.. أنا لست مريضًا.. سامحيني..

ولكنه أبعد يده عن الهاتف وشعر بسخافة الأمر.. كيف يريد أن يكون بريئاً جداً في النهاية بعد كل ذلك؟!..

وصل إلى الطابق الأرضي.. أوقفته إحدى العاملات بقسم الاستقبال.. وهي تناديه باسمه.. كعادته لا يشعر بأي فضول حين يناديه أحد.. ولا يشعر بوقع الاسم داخله وكأنه لا يدل على أي شيء.. وكأن هذا الاسم لا يدل عليه.. هو لا يشعر أصلاً بانتمائه لهذا العالم.. يعلم أنه يتمنى لو يغادره في أسرع وقت.. كم أنت محظوظ يا هيثم أن غادرت هذا العالم سريعاً.. هذا العالم الذي لا يعطي لأمثالي سوى الألم والفراق والوحدة.. دون مقابل.. إن أردت فقط الحصول على مقابل فسيتهمونك بالخسة والندالة.. أنا أريدك يا رباب.. ولست ندلاً أبداً.

كررت العاملة نداءها بلطف.. فاستدار نحوها.. مستفهما بعينه عن سبب مقاطعته.. فأخبرته عن رسالة تركت له..

- متى؟

- في الصباح.

تناول الرسالة متعجباً.. لم يتسلم رسالة من أحد في عمره كله. ابتسم ساخراً من نفسه وهو يتناولها.. وهو يردد.. من يعرفني في لندن؟!..

كانت الرسالة مختصرة جداً..

(أنا عملت اللي عليا واللي وعدتك بيه.. أنا وعدتك وعمري ماخلف وعدي.. زى ما قتللك كل حاجة معمول حسابها..

أنا في لندن في مؤتمر مهم لمدة أربعة وعشرين ساعة مش هقدر أقابلك.. أتمنى لما أراجع حسابي ألاقيه زاد.. مش هحدد رقم.. شوف أنت أنا أستاهل كام)

كانت الرسالة من طبيب هيثم.. مرفق بها رقم حسابه.. لم يفهم شيئاً.. ولكنه دس الورقة في جيبه.. وخرج من المستشفى.. تحرك ببطء عابراً بوابة المستشفى.. ما إن غادرها حتى ملاً صدره من الهواء النقي خارجها وكأنه خرج للتو من عمق البحر.. نظر إلى سيارة الأجرة التي تنتظره.. وما إن اقترب منها حتى رحلت لينكشف خلفها.. آخر ما توقع أن يراه.. رباب..

- أنا ممكن أوصلك..

ابتسمت رباب بتوتروهي تقول جملتها.. بينما توقف هو مكانه يستوعب الموقف.. ولم يتحرك.. بدا له أنه استمر في صمته وسباته مائة عام.. ولكنها تحركت أخيراً نحوه.. وابتسمت في هدوء أكثر..

- أنت مجنون.

هز رأسه بصعوبة موافقا على جملتها.. حاول أن يتكلم ثم تذكر رسالة الطبيب التي في جيبه.. يبدو أن شيئاً ما لم يفهمه فعلة الطبيب فأقنعها لتأتي إليه.. قال:

- رباب.. إنتى بتعملى إيه في لندن؟

هزت كتفها وقالت:

- مش عارفة فعلا.. بس واضح إن فيه حاجات كتير بتحصل في حياتى غصب عنى.. إحنا محتاجين نستوعب حاجات كتير.. بس

لحد مده يحصل أنا عندى لك خبر أتمنى يخليك أسعد في  
حياتك اللي جايه.

لم يفهم ما تريد ولكنه كان يرى عينها اللتين لم تثبتما في  
مواجهته.. كان يفهم أنها غاضبة منه فقال مندفعًا:  
- رباب.. أنا محتاج أفسر لك حاجات كثير.  
أشارت بيدها وأكملت:  
- أنا فاهمة كل حاجة.. وفاهمة إنك فاهم إنك هتعييا قريب.. بس  
كل ده مش حقيقى دى كانت خدعة من هيثم عشان توافق  
تسيبنى.. هيثم زور التحليل بتاعك.

تفاجأ من معرفتها بهذا الأمر.. وجد نفسه يتظاهر بالمفاجأة.. وكأنه  
لم يكن يعلم ذلك..

جلسا سويًا.. كان طوال الجلسة يضغط على رسالة الطبيب بعنف  
في جيبه.. ولكنه لم يفهم على الرغم من كل ما حكى له.. أين دور  
الطبيب في الأمر؟.. بل بدا لها أنها لم تلتق به.. كان لا يصدق أنه  
الآن جالس مع رباب.. ينظر إلى قسماات وجهها التي لم تتغير.. يسمع  
صوتها الحاني.. يشعر بدفاء وجوده بجوارها.. كان قد شرد عن  
حديثها التي توجهه له.. ثم قاطعها قائلاً:  
- أنا آسف يا رباب..

نظرت له رباب فلم تتمالك نفسها فبكت وقالت:  
- أنا فعلا مش عارفة أنت بطل وفارس زى ما كريمة بتقول. ولا  
مجنون زى ما كل حاجة حواليا بتقولى..

حاول أن يدافع عن نفسه ولكنها سحبته من يده وقالت:

- تعالى معايا..

تحركا سوياً فوجدها تقوده مرة أخرى إلى المستشفى.. تصعد للطابق الذي يحوي غرفة أمه.. تقف لدى باب غرفتها.. شعر ببرودة أطرافه.. منعها من فتح الباب.

- مش لازم تشوفي أمي وهي في الحالة دي.

لكنها ابتسمت وأزالته يده التي أمسكت بمقبض الباب برفق.. فأزالتها من عليه بسهولة وكأنها تنزع يد طفل صغير.. وفتحت الباب..

نظر إلى الداخل.. ليرى أمه ليست في ركنها المفضل.. أمه كانت جالسة على الأرض.. يضرب المرض في أطرافها لا تستطيع أن تتحكم بعضلة واحدة.. ولكنها مستلقية أرضاً.. تلهومع طفلة صغيرة.. نظر إلى رباب..

- دي جميلة بنتك؟

هزت رباب رأسها.. واقتربت.. لتجلس بجوارهما.. كانت جميلة تبدو سعيدة تقلد حركات أمه اللاإرادية.. وتملأ الغرفة ضحكاً.. اقتربت رباب من أمه.. وطبعت قبلة على جبينها.. ظن هو أن أمه قد هدأت للحظة.. وأنها نظرت نحوه نظرة كالثي اعتاد أن يراها.. انتظر أن تكلمه كما تعودا ولكنها لم تفعل.. رآها تحاول أن تحتضن رباب.. تركت رباب نفسها حتى تتمكن أمه من احتضانها.. واقتربت هو ببطء.. وأمسك بيد أمه.. وقبلها وهي ترتجف بين يديه.

وقفت كريمة تنظر إليهم في سعادة وكأنها ترى نهاية الحدوتة التي ظلت تتابع أحداثها منذ زمن.. وكانت تعلم أن سطرًا واحدًا في تلك الحدوتة سوف يُحكى بعد قليل.. عندما يعلم الجميع أن جميلة هي حفيدة هذه المرأة المسكينة وابنته.. نهاية سعيدة.. والكل مستفيد تمامًا كما أخبرها هيثم وطيبه..

ولكن رباب قامت وأمسكت بيد جميلة وقالت:

- قضى وقت أكبر مع ماما.. ولو عزت منى أى حاجة كلمنى ومصاريف علاجها هيبقى تبع المؤسسة الخيرية بتاعتنا.. أتمنى أشوفك في مصر..

تفاجأت كريمة وألقت عليه نظرة فوجدته مصدومًا من الرحيل المفاجئ.

- رباب..

ناداها.. ولكنها لم ترد.. أخذت جميلة ورحلت فلحقت بها كريمة وهي لا تفهم!!

نظر إلى أمه.. التي عادت إلى ركنها.. فتحرك نحوها.. وقف خلفها مباشرة ينظر من النافذة ويرقب رباب وهي تغادر المستشفى.. ثم تحدث لأمه:

- ياما كنت أنا اللي بسيبها في عز احتياجها ليا وأمشى.. إنهارده دورى عشان أحتاجها وتمشى..

كان يتمنى الآن أن تقف أمه.. تحتضنه.. وأن يتبادلا حديثهما  
بلغتهما التي اخترعها.. ولكنها لم تمهض.. ظلت جالسة تنتفض بعنف  
بحركاتها اللاإرادية.. لا تنطق.

شعر بيد تربت على كتفه..

- عبد العزيز..

- أرجع ولا لسه مصمم إني مت.. على فكرة أنت عمرك ما كلمت  
مامتك.. دى لعبة.. أنت شاطر أوى في لعبك بتعرف تقدر كل  
حاجة في لعبتك عشان تفضل متزن وماتمارش من الضغوط..  
بس أنت دايمًا كنت بتلعب لوحك أو بتلعب مع حد ما يقدرش  
يغير قواعد اللعبة.. أنا مثلا في إيدى إيه عشان أغير قواعد  
اللعبة؟.. أنا ميت.. ومامتك دى في إيديها إيه؟.. عمرها ما هتنطق  
ولا تقولك إنك عشت في وهم.. لكن لعبة رباب دى كانت كبيرة  
عليك.. مالعبتهاش مضبوط.. أنت مقتنع إنك فارس ولا إيه؟!؟

لم يرد.. لم يرد لأنه كان يدرك أن اللعبة تنتهي الآن..



عندما وصلت رباب إلى مصر.. نفذت كل ما نوت فعله.. تخلصت من كل الكتب الصغيرة والألعاب والدمى التي ملأت غرفة ابنتها.. وصممت لها غرفة ملأها بألعاب إلكترونية وبألعاب للذكاء.. وصنعت نسخة مماثلة لتلك الغرفة بالشركة لتلتصق بمكتبها.. اتصلت بمستر ممدوح مرة أو مرتين لتستعين به في فهم كم الأعمال التي كان عليها القيام بها.. أرسل لها مجموعة من الموظفين مكنوها أن تمسك بزمام الأمور.. طلب منها أن تأتي إليه في أقرب فرصة ليقضي مع حفيدته إجازة طويلة ينتظرها بشغف.. كانت ترد ساخرة:

- حفيدتك بتموت فيك.

أحيانا كانت تتمنى أن تخبره أنه لا علاقة له بها.. ولكنها كانت لا تنكر أنها تستمتع كثيرًا بخداعه كما خدعها كثيرًا هو وابنه.. كانت قد نوت أن تخبره ولكن ليس الآن.. ليس قبل أن تنقل كل هذه الأموال لمملكتها الخاصة.. أو لعلها لن تخبره أبدًا.

كانت تتلقى اتصالاته من لندن كل يوم.. ولكنها كانت تترك الرد عليها لأحد مساعديها.. تؤكد على مساعدتها أن يكونوا ودودين معه وأن يصروا دائمًا على أن يعرضوا المال والمساعدة عليه.. كانت تعلم أنها تؤلمه بذلك.. كانت تفعل ذلك وهي لا تريد أن تفكر في

الأمر وكأنها تتجرع دواءً مُراً.. ترى نفسها كل يوم تتصرف على غير طبيعتها.. تعلم أين الصواب وتحيد عنه..  
لم تأت كريمة إلى الشركة منذ أسبوع.  
كانتا قد تشاجرتا في آخر مرة.. تتعجب كريمة من عدم إخبار مستر ممدوح بحقيقة حفيدته المزعومة.. وحرمان جميلة من أيها الحقيقي الذي هو حي يُرزق.  
ولكن رباب كانت تصرخ في وجهها:  
- إنتى مش فاهمة حاجة.. ومش هتفهى..  
كان قد مر شهر على عودتها لمصر.. علمت فيه الكثير من الأمور عن طبيعة عملها الجديد.. كانت تشعر بقوة لم تشعر بها من قبل..  
كانت تستمتع بكل دقيقة تمر عليها وسط هذا الكم من العاملين والموظفين.. كانت تتمنى لو أنها دخلت شركتها ترتدي تاجاً عالياً.  
ولكن في هذا اليوم عندما عادت إلى فيلتها..  
كان كل شيء مختلفاً.  
كان مستر ممدوح يجلس في وسط الفيلا.. يدخل سيجاراً.. وتقف خلفه كريمة.. ترمقها بنظره غضب واسعة.  
فهت رباب على الفور.. أن كريمة قد أخبرته بكل شيء.  
انطلقت جميلة تجري نحو جدها وتعلقت به.. فأزاحها عنه بهدوء..  
واستمر في التدخين.. وقال بصوت تملؤه الثقة:  
- خلىنا نخلص كل حاجة في هدوء.. حقت من ميراثك هتاخديه بالظبط.. الباقي كله هيتكتب باسحى.. مفيش مليم هيتكتب باسم

جميلة لأن في الحقيقة مالهاش أى نصيب.. البنات دى تتكتب  
باسم أبوها الحقيقى..

جلست رباب على أقرب مقعد بجواره.. حاولت أن تستجمع  
انكسارًا وضعفًا ترسمه على وجهها وقالت بصوت منخفض:

- ده إنسان ما يستاهلش يعيش مع بنتى.. ده مجنون..  
- ولكنه نهض معلنا انتهاء النقاش.

- بصى يا رباب.. جميلة هتعيش مع أبوها وإنتى هترجعيله.. وكل  
اللى حصل ده كان لعبة بيتسلى بيها ابنى.. وأنا مش هعيش اللي  
باقى من عمرى شايل ذنب جميلة.

- يعنى أنت بتجبرنى إنى أرجعله.. عشان متشيلش ذنب!!  
- لا.. لأن كل ده كان غلط من البداية..  
ظهر فجأة الطبيب وكأنه ظهر من الفراغ..

- مدام رباب..

نظرت له رباب تتساءل من هذا الشخص وأين كان..

- مدام رباب.. مش هنقدر لا أنا ولا مستر ممدوح نشرحك أكثر من  
كده.. لكن تقدرى تقولى باختصار ده وعد وعدناه لهيتم بيه.. إننا  
ننضيف مكانه بعد ما يخلص لعب.. وبالمناسبة أنا السبب فى إنك  
تخلفى.. لأن هيتم عمره ماكان هيقلف.. كل ماتبصى لجميلة  
اشكرينى ..

الموضوع باختصار شديد.. قدامك أربعة وعشرين ساعة تبلغى  
فهم أبو جميلة بالحقيقة.. وإلا هنضطر إحنا نبلغه..

بالإضافة إنك لما تسمعى الكلام وترجعيله وتعيشوا في تبات  
ونبات.. وتبقى توتة توتة خلصت الحدوتة على خير.. هتلاقى في  
حسابك مبلغ كويس أوى تقدرى تقنعى بيه نفسك إنك بتعملى  
الصح.. ومستر ممدوح هيسيلك شركتك الصغيرة دى تلعبى بيها..  
لكن لوركبتى دماغك.. كل اللي إنتى فيه ده مستر ممدوح يقدر  
يدوس عليه في لحظة.. هتخسرى كل حاجة وإنتى عارفة كويس  
أوى أنه يقدر يعمل كده ببساطة.. وحتى جميلة بنتك مصلحتها  
في إنك تسمعى الكلام.

- وإنتوا مستفيدين ايه!!

تهمد ممدوح قائلًا:

- النهاية السعيدة..

وأضاف الطبيب:

- الكل لازم يستفيد.. إحنا مش بنظلم حد.

ثم قالت كريمة بهدوء:

- توتة توتة.. خلصت!



طلبت منه الحضور إلى مصر.. فحضر.. قالت له وهي تكاد تصدق ما تقوله.. إنها فقط احتاجت كل ذلك الوقت لكي تستوعب ما حدث.. ولكي تعلم كم كان فارسًا رائعًا.. لم تخبره قط أنها فقط تخشى من ضياع ما وصلت إليه.

ثم طلبت منه أن يستعد لأعرب خبر سيسمعه في حياته..

- ابنتي؟!.. جميلة ابنتي؟

- نعم هي ابنتك.. رأيت القدر وهو يحكم قبضته؟ يريدنا معًا.

- ولكني..

- لا تقل شيئًا.. دعنا نترك القدر يطفو بنا على أي سطح أراد.. ما دمنا معًا.. سنحيا سعداء.

أمسك بيد جميلة.. لا يصدق أنه يمسك بيد طفلته.. تذكر مرضه.. تذكر أنه يومًا ما قد تلعنه تلك الطفلة بسبب أنه أورثها المرض.. ولكن هولم يقصد أصلا أن تكون له ابنة.. تذكر حين طلب منه الطبيب عينة من حيوانه المنوي متعللا بتحليله.. لم يفكر أبدًا أنه قد يحتفظ بتلك العينة في بنك الحيوانات المنوية لكي يستخدمها فيما بعد.. كان ذلك خيالًا بعيدًا عليه.. فضلًا عن أنه لم يكن يعلم بإمكانية وجود مثل هذا البنك من الأساس.. تذكر رسالة الطبيب التي تركها في لندن.. تذكر قول الطبيب له قبل أن يحدث كل شيء

عندما سأله إن كانت رباب ستعود له بعد موت هيثم.. فأجابه وقتها.. أن كل شيء قد أعد جيداً.  
لقد صدق.. رباب وجميلة وهو.. الآن معاً..  
عليه ألا ينسى أن يحول مبلغاً ضخماً لحساب الطبيب..  
تباً الكل مستفيد بالفعل.  
نظرت رباب للسعادة التي في عينيه.. نظرت لنفسها وهي تعلم أنها لم تخبره بخبر جميلة سوى للحفاظ على مملكتها..  
كانت تلك المساومة صريحة جداً.. كان عليها أن تفعل ذلك تحت غطاء أنها تعود لحبها الأول..  
عليها أن تقنع نفسها بذلك.. عليها أن تبدو سعيدة معه..  
ولكنها عندما نظرت في عينيه أكثر.. خفق قلبها بقوة.. تماماً كما كان يخفق سابقاً.. حاولت جاهدة ألا تمسك بيده ولكن رغبة قوية لديها جعلتها تفعل ذلك.  
شعرت بانتفاضة يده عندما أمسكت بها.. وجدت نفسها تقول:  
- شكراً إنك عملت كل ده عشاني.. شكرا على إنك بالرغم من كل شيء ماخرجتني من حياتي.  
علم أنها تقصد الرسالة التي ظل يرسلها لها مراراً..  
"رباب أنتي أحن وأجمل بنت في الدنيا.. مهما حصل مش هينفع أسيبك تخرجي من حياتي".

كانت ستجن من قولها تلك الجملة.. كانت تشعر أنها تقولها بصدق  
فاختلطت عليها مشاعرها ولم تعلم بالفعل ما كان يدور بداخل  
صدرها.. هل تشكره أم تلعنه؟!!  
شعر بالحرَج بداخله.. أراد أن يصدق أنه بالفعل هذا الفارس  
النبيل الذي تحكي عنه.. ولكن الأمر كان شديد التعقيد بالفعل.  
ظلا ينظران إلى بعضهما البعض صامتين.. يحدث كل منهما نفسه  
متسائلا عن حقيقة مشاعره.

\* \* \*

حاول وصف ما حدث له كثيرًا.. لم يصل أبدًا للوصف الدقيق..  
حاول أن يعبر ففشل وحمل الحقيقة ما لم تكن تحمل.. ولأنه أراد  
أن يفهم ماذا حدث وكيف حدث فقد أعاد سرد كل شيء لنفسه  
مرارًا وتكرارًا، فلم يدرك لماذا حدث ولا كيف انتهت الأمور إلى هذه  
النهايات.. ومن فرط محاولاته لشرح ما حدث لنفسه حتى يعيد  
اتزانه الذي فقد.. من فرط التبريرات والتفسيرات غابت الحقيقة  
فما عاد يعلم هل أضاف إلى التفاصيل ما يبرئ به نفسه حتى لا  
يبدو أمام نفسه أحمر؟.. أم أن الحقيقة نقصت أشياء تعمد  
إخفاءها فتسربت إلى عقله الباطن ونسبها عمدًا حتى صارت لا  
شيء؟..

الحقيقة أنه لا حقيقة أمامه إلا حقيقة واحدة.. أنه انتهى إلى ما  
صار إليه وأنهم انتهوا إلى ما صاروا إليه.. لكن كيف حدث بدقة؟..  
هذا سؤال صعب رغم أنه عاش كل شيء،

ولكن من منا يملك هذه القوة الخارقة من مواجهة النفس؟.. من السهل جدًا أن نخلق مبررات ونضيف تفاصيل على أن نذكر الحقيقة هكذا كما هي.

هو يدرك تمامًا أن ثمة تفاصيل قد شوهدت الحقيقة.. تفاصيل من صنعه هو أو من صنع الزمن.. أيًا كان من صنع التفاصيل الصغيرة ولكن من وضعها قد علم كيف يصبر على وضعها تفصيلا تفصيلا بتأنٍ وجلد.. حتى لا يشعر أحد بالتشوه الذي يحدث للحقيقة.. وكأنه يحفر نفقا بإبرة صغيرة.. بهدوء وثبات وإيقاع منتظم.. لا يشعر أحد بوخز الإبرة في الحقيقة حتى خلق منها وبها نفقا يستطيع من يشاء أن يعبر منه متجاوزًا ما حدث إلى البر الأخر..

هولم يبتكر هذه الطريقة.. فالكل يسلك نفقه الخاص الذي يعبر منه عبر حقيقته المخزية دون أن يضطر للمواجهة أو النظر المباشر..

ما أكد له ذلك أنه كلما قابل أحدًا روى له غير ما كان.. والكل سعيد، فلماذا لا يسعد؟!

- بحبك.

قالها لها بصوته هذه المرة وليس فقط حركة يرسم بها الكلمة على شفثيه..

فاخترقتها الكلمة.. أطلقت بقلها ينابيع سعادة كانت تتمنى سماع الكلمة التي تفجرها.. ولكنها في ذات الوقت زلزلتها شعورًا بالذنب..

ولكنها قررت ألا تلتفت لشيء وتستمتع بالسطح الذي جعلهما  
القدر يطفوان عليه.

فقالت وقد أَلقت كل التفاصيل المرهقة خلفها.

- بحبك.

بدا لها كالظمآن يرتوي.. تهدهد فرحًا وهو يقول:

- أنا حاسس إنى أخيرًا مش لوحدى..

قالها وهو يلعن كل التفاصيل.. مقررًا أن يتقبل النهاية السعيدة..

وكررها.. أن أحبك.. وبداخله يحرق كل الأدلة حول الشكوك التي

تحوم حول مصداقية هذه النهاية.

- أحبك.

وظل يكررها عشرات المرات وهي كذلك وكأنهما يتعودان قولها..

وكانهما يؤكدان عليها إذ إنها تحتاج إلى تأكيد.. وفى كل مرة

يرددانها.. يحرقان التفاصيل التي كانت تغلف الطريق الذي سلكاه

ليصلا لتلك النهاية..

كانا كلما طاردتهما التفاصيل.. يرددان.. أحبك.. فيحتميان بها.

اتصلت رباب يومًا بكريمة.. وقالت:

- شكرًا.. أنا باحكى لجميلة حواديت زى ما علمتيني.. فعلا أنا

ماكنتش بعرف أحكى حواديت.



عندما أغلق عليهما الباب.. كانا قد أعلننا زوجًا وزوجة.. قالت له  
رباب:

- مهما حصل.. مهما حصل ماتسيبنيش.

- حاضر.

كان صادقًا هذه المرة بالفعل.. وكان قد وعد أمه في لندن ألا يترك  
رباب أبداً قبل أن يعود ليتزوجها.

نظر لها وقال: إنتى أجمل من ربهام على فكرة..

ابتسمت وقالت: ربهام مين؟.. أنت متجوز ملكة.



يوماً دخلت جميلة غرفتهما.. كانت أمها نائمة.. وهو بجوارها يدخل  
سيجارته.. فلما رآها أطفالها.. وابتسم لها مادًا ذراعيه ليحضنها،  
ولكنها وقفت عند حافة السرير وقالت:

- بابا.. أنت اسمك إيه؟

نظر لها غير مصدق أنه بالفعل ينظر إلى ابنته.. وأخبرها باسمه..  
وعندما نطق اسمه كان يشعر للمرة الأولى في حياته.. أنه ينتمي

لهذا الاسم.. وأن هذا الاسم بالفعل يعكس واقعاً حقيقياً.

كرر اسمه لها مراراً حتى تحفظه.. ولكن الحقيقة أنه كان يستمتع  
بتكراره ويزيل وحشة ظلت سنين بينه وبين اسمه.. فقد أصبح

أخيراً موجوداً!!!

تمت



دار إضافة  
للنشر والتوزيع

الإسكندرية

ج ٠ م ٠ ع

www.Idafabooks.com